خواطر قاضٍ

بقلم

القاضى المستشار

محمد مرشدى بركات

obeikandl.com

obeikandl.com

تصميم الغلاف: محمد حسن

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر: دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة – ج. م. ع
هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ – فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

إهداء

إلى ولَدَيَّ خالد وسارة وفقهم الله ورعاهم
وسدد على طريق الخير خطاهم وإلى..
أرواح والِدَيَّ وشقيقتي د. رقية أسكنهم الله
فسيح جناته.

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة الكتاب

قرأت فى كتاب «تعلمت من الحياة» – الذى نشـرته دار الهلال المصرية منذ حقبة من الزمـن، وهـو عبارة عن نتف متفرقة مـن الدرر الثمينة – لكوكبة من أفذاذ الشـرق وعلماء الغرب من الأقيال الذين تركوا بصماتهم على الحياة التى عاشوا بين ظهرانيها فى بلادهم، جاء فى توطئته: سـئل أديب كبير: ما الذى تحبه وتهواه فى حياتك؟، فأجاب: القراءة، ولا سيما تاريخ تراجم العظماء.

لا جَـرَم أن ذكـرت هذا الكتـاب المفيد، لأن مقـالا ورد فيه يدل علـى العقل الخلاق Creating mind، أثر فى تكوينى، وكان بعنوان «الحياة تافهة إذا خلت من مثل أعلى»، للعلامة «الأستاذ الدكتور عبد الرزاق السنهورى» الذى أفاد بعلمه النافع الغزير على من يعمل فى الحقل القضائى، ناهيك عن مراكز العلم الفقهى فى مصر والبلاد العربية قاطبة، حيث توسـد القضاء وكان رئيسـا – ولا كل رئيس – لمجلس الدولة المصرى، أشار فيه هذا الفقيه العظيم إلى أن حياته لم تكن لتسـير نحو التألـق الفكرى القانونى، الذى جاء يتدفق كتدفق ميـاه النيل، والعطاء الفكرى الألمعى، الذى تـرك أثره البالغ فى المجتمع القانونى برمته، لولا إيمانه بهذا المبدأ الذى ترسمه وجعله لنفسـه نبراسـا وديدنا فى الحياة، لتغير نهجه وتبدلت أفكاره، وما كان قد وصل إلى ما وصل إليه من التألق والنبوغ.

قـد كان والـدى – رحمة الله عليه – مثلا أعلى لى فى الحيـاة. هذا الوالد الكريم، فقد أباه فى سن باكرة، ولم يكن قد شب عن الطوق بعد، إذ كان فى السابعة من عمره، فتكفله خال والدته المرحوم «فتح الله باشا بركات» الذى كان له دوره فى الحياة السياسية المصرية ونفى مع خاله الزعيم «سعد زغلول» إثر اندلاع ثورة ١٩١٩ إلى جزيرة «سيشل»، وبعد وفاته أحاطه خاله المرحوم اللواء «عاطف باشـا بركات» بكامل رعايته، فكان كلاهما المثل الأعلى له فى الحياة إذ تعلم من الأول معنى العصامية، ومن الثانى الشجاعة فى إبداء الرأى والهمة فى اقتحام كل ماهو جاد فى مسيرته.

كان – رحمه الله – يجيد الإنجليزية والفرنسية، فضلا عن تألقه فى اللغة العربية وإجادته لها إجادة تامة حتى إنه كان على حد تعبير الأديب الكبير الأستاذ «يوسف جوهر» – فى

لقـاء لنـا معه بجريدة الأهرام إذ قـال لى: إن والدك كان، واللغـة العربية توأم لا ينفصل، إثـر التحاقنا معا بكلية الحقوق جامعة فؤاد الأول عـام ١٩٣٠، ففى الندوات الأدبية التى كانت الجامعة تعقدها لطلابها بين الحين والحين. بان ذلك جليا. ووضح لنا أجمعين. كان – رحمه الله – قارئا نهما فى شـتى صنوف المعرفة، ويكتب فى الصحافة المصرية وخاصة جريدة السياسة التى كان يترأس تحريرها الدكتور «محمد حسين هيكل باشا».

علمنى والدى – رحمه الله – ماذا أقرأ؟.. وكيف أقرأ؟ حتى أدْمنت القراءة إدمانا، وإذا كان القول المأثور يقول: منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب مال، فقد كان دأبه أبدا هو طلب العلم – دون المال – فأصبح قاضيا شجاعا فى إبداء الرأى وفى كلمة الحق، عالما قوى الحجة ذرب اللسـان ناصع البيان، يحرص دائما على تغذية عقله بالقراءة، فعلمنا فأحسن علامنا، وربانا فأجاد تربيتنا، وذلك بمشاركة – المغفور لها – والدتى التى بذلت من نفسها كل مرتخص وغال فى سـبيلنا، وأدلت بدلوها فى تكويننا، ومن مأثرها أنها كانت تمدنى بالنقود، لكى ابتاع بها ما شاء لى من الكتب، فضلا عن أنها كانت تأتى بها إلىَّ.

كما ترك أستاذنا «العقاد» بصماته الواضحة على حياتى حتى أستطيع أن أزعم إننى قد قرأت جميع تواليفه مرة ومثنى وثلاث، ونهلت من منهلها العذب، فاستقام عود اللغة لدى واسـتوعبت الغزير من علمه وأدبه، نثرا وشـعرا، فقد تميز أستاذنا «العقاد» عن أضرابه من المفكرين والأدباء بعبقريته التى قلَّ أن يجود بمثلها الزمان.

أمـا الدكتـور العالم «على عبد الواحـد الوفى» (ابن خلدون الصغير) كمـا أطلق عليه فقد أخـذت منـه معلى عمق القراءة وتنوع الثقافة، إذ دبج يراعه ما يربو على السـبعين كتابا فى مجالى الفكر المتباينة، وإذ استشهدت بكتابه القيم «المساواة فى الإسلام»، وأنا لما أزل – بعد – فى القسم العلمى بالثانوية العامة، فما كان من أستاذ اللغة العربية إلا أن وجه إلىَّ تحية بالغة لقرائتى لهذا الكتاب المتميز.

عكفت على قراءة الكتب وانكببت عليها وأنا فوق سـن العاشرة بقليل، فى شتى مناحيها وتباين موضوعاتها، فمن الأدب العربى إلى الأدب الغربى، وكذلك الأمريكى، فقرأت الكامل للمبرد، والأغانى للأصفهانى، ولسان العرب وغيرها من أمهات الكتب، وكذلك استهوتنى مؤلفات «شكسـبير» و «نيتشة» و «تشـارلز دكنز»، و «جوركى»، «وتولستوى» و «بوشكين» عباقرة الأدب الروسى، وكذلك نوابغ الفكر الأمريكى مثل أرنست همنجواى، وأرثر ميللر،

وويليام جيمس ديورانت، الذى جاءت موسوعته قصة الحضارة تفتق أذهان القارئين فى كل مكان وزمان، ناهيك عن «هاريت بيتشر ستو» صاحبة الكتاب الرائع «كوخ العم توم» الذى صور مأساة الزنوج فى أمريكا تصويرا هز قلوب البشر؟.

كان المتعلمـون فى الماضى يذهبون إلى دكاكين «الوراقين» يطالعون الكتب فيها، ومازلت أتذكر أن أحد الأدباء القدامى، ولعله «أبو هفان» الذى قال: لم أر قط ولا سمعت عمن أحب الكتب أكثر من «الجاحظ» فإنه لم يقع بيده كتاب إلا اسـتوفى قراءته كاملا حتى إنه كان «يكـترى دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظـر»، حيث كان فى عصره أكثر من مائة وراق، وكانوا علماء مجيدين، منهم «النديم» صاحب الفهرس، و «ياقوت الحموى» صاحب معجم البلدان ومعجم الأدباء. وكان «الحسن بن سهل» كما كتب صاحب «الكشكول» فى كشكوله يقـول: إن القـارئ يجب أن يعرف الضـرب على العود، ولعب الشـطرنج، والصولجان، ويعرف شـيئا من الطب، والهندسـة، والفروسية، والشـعر، والنثر، وأيام الناس، ويتعلم أحاديث السمر، ومحاضرات المجالس؟.

وها هوذا «أبو الدرداء» يقول: «لو أعيتنى آية من كتاب الله. لم أجد أحدا يفتحها علىَّ إلا رحيلى» إلى برك الغماد، لرحلت إليه. وبرك «الغماد» هو مكان قفر كان يضرب به المثل فى الوحشة وطول المسافة وبعدها.

هكذا كانوا يحرصون على العلم، وعلى القراءة، وعلى شد الرحال إلى المكان الذى يعثرون فيه على ضالتهم فى «بواكير شبابهم»، مع بعد الزار، ومشقة المزار.

قال الشاعر:

ما يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه
فإن من أدبته فى الصبا كالعود يسقى الماء فى غرسه
حتى تراه مورقا ناضرا بعد الذى أبصرت من يبسه

والذى لا مراء فيه أن الكلمة التى ولدت من رحم القراءة، لعبت دورا هاما وأدت رسالتها فى الحياة الإنسـانية، جعلت الأمم تشـق طريقها فى الظلمات بمصابيح الرواد العظام التى كانت أشبه بمصباح «ديوجين» فأخرجتها من ربقة الجهل ومن تحنط الجمود إلى نور العلم، وهـا هى ذى أوربا تمعن نظرها وتعمل فكرها فى مؤلفات العرب والمسـلمين التى أشـرقت عليها فى العصور الوسـطى، ويحدثنا التاريخ أن «ألفونسـو» ملك «قشتالة» قد أمر بترجمة

الكتب الإسلامية فى مؤلف باسم Libros del Saber لجعل المعارف العربية متاحة «باللغة القشتالية». كذلك بترجمة «الإنجيل»، وتعليم أبناء وطنه اللغة العربية، ليستقرئوا علم وفكر العرب.

أما القارة الأروبية بأكملها فقد يممت وجهها شطر الفيلسوف الحبر الفهامة والعالم العلامة «ابن رشد» فعرفت طريق النهضة، بعد أن قرأت مؤلفاته، واكتشفت مهاوى جهلها الذى كانت تلج فيه فى الإمساء والإصباح!.

فهل لسائل – بعد ذلك – أن يسأل: هل القراءة لازمة؟. وهل القراءة مفيدة؟

نترك لمن يعن له أن يسأل، أن يعيد قراءة هذه المقدمة.

أما بعد، فمن خلال قراءاتى المتواضعة كتبت هذه الخواطر فى مناسبات شتى متفرقة نشرت فى الصحف المصرية، رأيت أن أجمعها بين دفتى هذا الكتاب.

المستشار محمد مرشدى بركات

القاهرة ـ ٢٧ ـ ١ ـ ٢٠١٣

openkandl.com

رسول السماء. وريحانة الأنبياء

يذكـر «مصطفـى صادق الرافعى» من تاريخ.. الواقدى « أن المقوقس عظيم القبط فى مصر زوج ابنته (أرمانوسـة) من (قسـطنطين بن هرقل) وجهزها بأموالها حشما لتسير إليه حتى يبنـى عليها فى مدينة قيسـارية والتقى فخرجت إلى بلبيـس وأقامت بها.. وجاء عمرو بن العاص إلى بلبيس محاصرا لها حصارا شـديدا واحتدم جيشه بجيش الرومان الذين هزموا على يديه وأخذ أرمانوسة وجميع مالها من بين ما أخذ.. وأحب عمرو ملاطفة المقوقس فبعث إليه ابنته معززة مكرمة مع قيس بن العاص السهمى فسر المقوقس بها سرورا عظيما.

وكان لأرمانوسة جارية تسمى «مارية».. وكانت ذات عقل ودين، جزعت جزعا شديدا جـراء ما سمعته عن عمـرو بن العاص وجنده إذ قيل لها إن هؤلاء العرب ينفضهم الجدب علـى البلاد نفض الرمال على الأعين فى الريـح العاصف وإنهم غلاظ الأكباد مثل أبلهم، ولاعهـد ولا وفـاء، ثقلت مطامعهم وخفت أمانتهـم وإن قائدهم ابن العاص كان قصابا فى الجاهلية فما نزعه روح الجزار، ولا طبيعته، وتوهمت «ماريا» أوهامها ووقعت فى شـراك هاتيك الأوهام فيممت وجهها شـطر سـيدتها أرمانوسـة تبث إليهـا فزعها فما كان من أرمانوسـة إلا أن قالت لها: «إن أباها (المقوقـس) قد أهدى إلى نبيهم (محمد عليه الصلاة والسلام)، بنت (أنصتا) – وهى بلدة من بلدان الوجه القبلى فى مصر فكانت عنده أى عند الرسـول فى مملكة بعضها السـماء وبعضها القلب.. وأن أباها قد أرسـلها إلى النبى ومعها «دسـيس» يعود إليه كاشفا له عن حقيقة هذا الدين.. وحقيقة هذا النبى، وأرسل الدسيس إلى والدها مخبرا إياه أن المسـلمين هم العقل الجديد الذى سيسـطع فى العالم تمييزه بين الحـق والباطل.. وأن «نبيهم» وهو أطهر من السـماء فى سمائها وأنهم جميعا ينطلقون من حدود دينهم وفضائله لا من حدود أنفسـهم وشـهواتها، وإذا سـلوا السـيف سلوه بقانون وإذا أغمدوه أغمدوه بقانون، وكان رد «المقوقس» على هذه الرسـالة : إنهم لا يغيرون على الأمم ولا يحاربونها حرب المُلك.. فهم من وراء أسلحتهم أخلاقهم، وبذلك تكون أسلحتهم نفسـها ذات أخلاق، وأن هذا الدين سيندفع بأخلاقه فى العالم اندفاع العصارة الحية فى الشجرة الجرداء.

وأردفت أرمانوسة قائلة: المسلمون ليسوا كهؤلاء العلوج من الروم.. إن هذا لعجيب فلقد مات «سقراط» و«أفلاطون» و«أرسطو» وغيرهم من الفلاسفة والحكماء، وما استطاعوا أن يؤدوا بحكمتهم إلا الكتب التى كتبوها أفتسخر الحقيقة من كبار الفلاسفة والحكماء وأهل السياسة.. ثم تستسلم « للرجل الأمى» الذى لم يقرأ أبدا ولم يجلس ولم يتعلم: والعجيب أن قومه قد ماكروه فكان فى ذلك «كالمسيح» كان ميلاده فاتحة خير للعالمين.. وللناس أجمعين.

وقد بعث برسالته إلى العالم ليتمم مكارم الأخلاق، قال الله تعالى له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [سورة القلم – الآية ٤] ولو سئل أكبر فلاسفة الدنيا كما قال «الرافعى»: «أن يوجز علاج الإنسانية كلها فى حرفين لما زاد عن هذا القول، فالإسلام يرسى قواعد الخلق المتين على أساس مكين، ويجعل الإنسان بعيدا عن الدنايا والخطايا والذنوب والعيوب، وقد جعل الرسول الغاية من رسالته أن يتمم مكارم الأخلاق، ذلك أن الحسد داء ينهك الجسد، ومن هنا جاء قول الشاعر:

اصبر على كيد الحسود ... فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها ... إن لم تجد ما تأكله

والحقد صنو الحسد فهو داء خطير ووباء كبير لأن النفس العالية لا تضمر حقدا ولا تحمله لأحد.

وكما قيل : إن الكريم إذا تمكن من أذى جاءته أخلاق الكرام فأقلعا، وترى اللئيم إذا تمكن من أذى يطغى فلا يبقى لصلح موضعا، ومن هنا جاء قول «رسول الله» صلى الله عليه وسلم: (ولاتحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا) فأكمل المؤمنين إيمانا عند «رسول الله» صلى الله عليه وسلم أحسنهم خلقا.

كان دعاؤه إلى الله: «اللهم حسن خَلقى وخُلقى.. اللهم جنبنى منكرات الأخلاق». فالأخلاق تجنب الناس النفاق وتنأى بهم عن الإملاق.. إملاق الفكر وإملاق الضمير.

وكان «محمد» عليه الصلاة والسلام قد جاء إلى العالم عابدا متعبدا فى «محراب الغار». قبل أن ينزل إليه الروح القدس «جبريل عليه السلام» برسالة السماء، متواصل الأحزان يمعن نظره إلى الوجود، ويعمل فكره فى كنه الخلق الموجود، ويخلص من فكره إلى أن هناك الخالق الأعظم لهذا الكون. من رأه أحبه.. ومن خالطه أجله.. ومن تعامل معه هابه ووقره.. باطنه يتساوق مع ظاهره.. يعتنق الأمانة حتى سمى بالأمين لا يعرف الختل أو الكذب، صريحا ودودا كريما أجود من الريح المرسلة، لا يعرف النزوة ولا يقارف الشهوة، حتى قيل فيه إنه كان يبيت الليالى المتتابعة وأهله طاويا لا يجدون عشاء إلا شطر شعير..

درعه مرهونة عند يهودى فى ثلاثين صاعا من شعير.. خيرَّه الله بعد النبوة أن يكون له مثل (أحد) ذهبا فقال: «لا يارب أجوع يوما فأدعوك وأشبع يوما فأحمدك». أليس هو القائل: «اللهم أحينى مسكينا، وأمتنى مسكينا، وأحشرنى فى زمرة المساكين»؟!.

نزلت رسالته إليه من السماء.. رسالة جامعة مانعة متينة البنيان متكاملة الأركان، تدعو إلى الخير والعفو والتسامح والسلام لا إلى العسف والعسر بل تدعو إلى اليسر، فمن يسر على عبد يسر الله عليه، وإن أكرم الناس عند الله أتقاهم.. وإلى حب الناس بعضهم لبعض، وإلى عدم المحاباة فمن أمرَّ على الناس أحدا (محاباة) «فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا» وإلى الخلق الحسن.. «فأكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا»، وإلى الأخذ بالسبع الجاريات: سبع جاريات للعبد أجرهن وهو فى قبره، وهو بعد موته: من علم علما أوحفر بئرا أو عرَّش نخلا أو بنى مسجدا أو ورث مصحفا أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته، فإنها جميعا من قبيل الصدقة الجارية يدوم نفعها ويتوالى جزاؤها فيؤول إلى صاحبها نفعها وثوابها، كما دعا عليه الصلاة والسلام إلى التوكل على الله.. لو إنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتعود بطانا.. فمن سره أن يكون أعز الناس فليتق الله فلا ينبغى لمؤمن أن يذل نفسه فمن أعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس منا.. كما حث إلى عدم الغضب وإلى ملك زمام النفس عنده فقال قولته الكريمة لمن جاء يستنصحه: «لا تغضب» وإلى عدم كنز الذهب والفضة فمن يكتنزها ولم يؤد منها حقها إلى يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها فى نار جهنم يكوى بها جنبه وجبينه وظهره، ومن ثم كان نهيه عن كنز الأموال والحث على الزكاة مصداقا لقول الله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة التوبة – الآية ٣٤]، كما دعا إلى العلم، قائلا: «من سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله طريقه إلى الجنة».. «وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع».. «وأن الأنبياء لم تورث درهما ولا دينارا وإنما وُرثوا العلم».. وإلى عدم الغيبة فمن قال باطلا فذلك هو البهتان، وإلى قضاء حاجات الناس: «أبلغونى حاجة من لا يستطيع إبلاغها»، كما دعا إلى – الاستعانة بالله – «استعن بالله ولا تعجز. وإن أصابك شىء فلا تقل لو أنى فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وماشاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان». يقول النبى عليه الصلاة والسلام: «تبسمك فى وجه أخيك صدقة.. وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة.. وإرشادك الرجل فى أرض لك صدقة.. وبصرك للرجل الردئ البصر لك صدقة.. وإماطة الأذى عن الطريق لك صدقة.. وإفراغك دلوك فى دلو أخيك لك صدقة..

وأخيرا وليس آخرا قال الرحمة المهداه – الذى كانت شرعته الرحمة فإنما هو «الرحمة المهداه».. أرحموا من فى الأرضى يرحمكم من فى السماء. وحذر من الظلم، «وإياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»..

وهاهم أولاء الإخوة المسيحيون يبدون تجلتهم للنبى عليه الصلاة والسلام فيقول «جاك صبرى شماس»:

إنى مسيحىٌ أجل محمدا ... وأجل ضادا مهدها الإسلام
وأجل أصحاب الرسول وأهله ... حيث الصحابة موقفٌ وإمام
كحلت شعرى بالعروبة والهوى ... ولأجل طه تفخر الأقلام
أودعت روحى فى هيام محمد ... دانت له الأعراب والأعجام

ويقول «حليم دموس»

إنى مسيحى يحب محمدا ... وآراه فى فلك العلا عنواناً

كما يقول أيضا الشاعر النصرانى «جاك شماس»:

يممتُ (طهَ) المُرْسَلُ الروحانى ... ويُجلُّ (طه) الشاعرُ النصرانى
يا خاتمَ الرسل الموشح بالهدى ... ورسول نبلٍ شامخ البنيان
وأذود عنك مولها ومتيما ... حتى ولو أجزى بقَطع لسانِ
مهما مدحتك يا (رسول) فإنكم ... فوق المديح وفوق كل بيانِ

وإذا كان الفضل ما شهدت به الخصوم أو الأعداء فهوذا.. البروفيسور «H. prideaux» فى كتابه «حياة محمد» يعترف بالسمات السابغة «لمحمد» وبأنه أعظم القادة الذين عرفهم التاريخ، وكذلك (IRVING) «واشنجتون أرفينج» فى مؤلفه عن هذا «الرسول» الكريم، و «مايكل هارت» الذى رأى فى «النبى الرسول» أنه كان الرجل الفريد الذى يعتبر فى تاريخ البشرية أعظم شخصية فيها، وأنه أعظم العظماء جميعا، ناهيك عن «تولستوى وتوماس كارليل وربنسون»، والكاتب العالمى الإيرلندى «برنارد شو»، أما القائد العسكرى الفذ «نابليون بونابرت» (NAPOLEON BONAPARTE) فقد أشاد بالتشريع الإسلامى وبعبقريته، وبعبقرية من جاء به، وذلك فى مذكراته التى خطها فقد شهد فيها على عظمة هذا النبى وعلى إنسانيته وعلى عظم رسالته التى بُعث بها ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وتمنى أن يشيد نظام الحكم بأية دولة بما يتناسق مع مبادئ القرآن الكريم، وكذلك أرتآه أول جنرال عسكرى (First insuvgent) فى التاريخ.

أما دائرة المعارف البريطانية فقد ورد بها : « كان محمد أظهر الشخصيات الدينية العظيمة وأكثرها نجاحا وتوفيقا». فعليك الصلاة والسلام ياسيدى يا رسول الله.

المسلمون الألبان.. والشيخ تركمان ؟!..

بين الحقيقة الناصعة البلجاء المستقرة فى بطون أمهات المراجع والكتب ومن بينها (معجم البلدان) لياقوت الحموى، والتى تثبت حق مسلمى كوسوفو التاريخى فى وطنهم وبلادهم، وهاتيك المآسى الدامية الحمراء التى تخضبت بلون الدماء.. دماء الضحايا والشهداء من المسلمين الأبرياء والتى تترى لنا أخبارهم الحزينة السوداء صباح مساء.

فمِن ذبح للشباب والرجال والأطفال إلى اغتصاب جماعى للحرائر من النساء حتى فر الألوف من سكان البلاد مذعورين، وجلين، يحتمون بالوهاد والسهول والوديان ويختبئون وراء الجبال دون غذاء أو كساء، أو حتى شربة ماء، حتى بلغ عددهم قرابة المليون أغلقت حدود الأقاليم المتاخمة لبلدهم فى وجوههم فأمسوا ضائعين تائهين.

هم من بين الرغام رغام، بعد أن نشبت فيهم نار الضلال الضرام، فما لهم حتى القيام قيام، ولا بين الفرقدين مقام، وما فتئت (قضيتهم) قضية إبادة شعب برمته، ومسح شخصيته ومسح هويته، حديث الأنام، ما حاد عن ذكرها سيد أوغلام!.

ففى (كوسوفو) أو (كوسوفا) كما ينطقها المسلمون هناك، شعب يباد، وينثر عليه الرماد، يدفن حيا تحت الثرى ويهال عليه تراب النسيان. وها هى ذى جريمة القرن العشرين تغطى بفظاعة إثمها، وفظاظة جرمها وقتامة غبارها ووحشية مقترفها «سلوبيدان ميلوسوفيتش» السفاح الصربى تغطى بسوأتها على جرائم «جنكيز خان» المغولى، و «هولاكو» التترى، و «هتلر» النازى، أساتذة الخراب، وصناع اليباب، وزبانية الشيطان، ومعدومى الضمير والوجدان، على مر العصور وشتى الدهور.

نقول بين هذا، وذاك تجئ قصة أو رواية الكاتب اليوغوسلافى الكاثولوليكى «أيفو أندريتش» جسر على نهر درينا «مفصحة بإرهاصات أديب، وتنبؤات لبيب، عما سوف يحدث فى هذه المنطقة الساخنة من العالم التى ترقد على فوهة بركان أشبه ببركان «فيزوف» ما أن يهدأ حتى يقذف بحممه الملتهبة من جديد، وتظهر مأساة هذا الشعب المسلم من تحت الركام وكأنها حفريات كانت مطمورة فى أعماق الثرى فاكتشفها هذا الكاتب «الدبلوماسى» الفذ ونقلها إلى اللغة العربية الأديب الدكتور سامى الدروبى بفن

واقتدار فجاءت كما يفعل عالم الحفريات، أو أستاذ علم الطبقات، يريك ما يراه بما عثر عليه، وألفاه من صور الحياة الأولى، فى عصورها الخوالى!.

فنهر درينا، الذى تجرى عليه هذه القصة وحواليه.. يسيل فى القسم الأكبر من مجراه خلال وديان ضيقة بين جبال وعرة ولا تنفرج شطئانه أودية واسعة إلا فى بعض المواقع فتتشكل على هذا الشفير من شفيريه رحبات خصبة من الأرض بعضها منبسط وبعضها متموج بين صخور «بوتكو»، وجبال أورافيتشا.

وعلى الضفة اليمنى من النهر يقع مركز المدينة وسوقها التركى.. ينوء جزء منه فى الطريق المؤدى إلى «سراييفو».

وثمة جسر غريب فريد أقيم على المجرى الأوسط والأعلى من نهر رودينا، هو العقدة اللازمة التى تربط البوسنة والصرب وقد بناه الوزير الأكبر محمد باشا سولوفيتش الذى ولد فى قرية صغيرة من قرى البوسنة قرب بلجراد حيث كان قد دخل فى دين الإسلام وأصبح ضابطا تركيا، فوزيرا متألقا صاحب حول وطول. ويعرج المؤلف على أعمال التخريب التى قام بها «راديرسلاف» الصربى فى محاولة منه لهد هذا الجسر وهدمه.

وتتوالى أحداث الكتاب عبر القرون متنوعة أشد التنوع، لكنها ترتبط دائما بجسر «رودينا» كوارث الطوفان والأوبئة، واحتلال الجيوش النمساوية المجرية للبوسنة سنة ١٨٧٨ – الحروب البلقانية – وقتل الأرشيدوق فرانس فريدناند سنة ١٩١٤، ونجم عن ذلك نشوب «الحرب العالمية الأولى».

ويحكى لنا المؤلف عن طريق المترجم النابه ما يكشف كما ألمحنا عن حفريات تاريخية لها مغزاها ومرماها. «فأمام الجسر، وعلى الضفة الوعرة منه ذات الحجارة الكلسية الرمادية حفرتان مدورتان، ثم حفرتان وهكذا دواليك ذهب بشأنها الأطفال (مذهبين)، وتفرقوا إلى (فئتين) (الأطفال الصربيون) يرونها ترجع إلى ماض قديم، موغل فى القدم وأنها أثار سارافيتش وماركو.. بينما يراها الأطفال المسلمون أنها لا يمكن أن تكون كذلك، وإنما هى أثار السيدة «عالية» التى كانت تمتطى صهوة جوادها المجنح تجتاح به الأنهار وتقتحم به الأخطار بوثبة واحدة.

ويردف المؤلف قائلا: ما من مرة استطاع أحد أن يزحزح أحدا عن رأيه، كما يقص لنا قصة «فاطمة بنت عبدان» ذات الهمة والجمال والدلال، وما ينى يتكلم عن العوامل النفسية، والعلاقات الاجتماعية التى تسيطر على سكان هذه البلاد فيحدثنا أنه فى إبان

الثورة الصربية كان الشعب قد حور أغنية من الأغانى الفولكلورية تبدأ بهذين البيتين: «حين كان» على بك «فى ريعان شبابه كانت فتاه تحمل رايته».. فجعل الصرب الأغنية تصدح بأنه: «بينما كان» جورج «فى ريعان شبابه كانت فتاه تحمل رايته».. ويعلق المؤلف قائلا: وكان ذلك فى غضون عام ١٩٤٥، غداة انتهاء الحرب العالمية الثانية.

وفى خلال ذلك الصراع الكبير الغريب الرهيب الذى يقوم منذ قرون خلت بلاد البوسنة هذه بين عقيدتين كان الخصمان لا يسلب أحدهما الأخر نساء وخيلا وسلاحا فحسب بل يسلبه كذلك أغانى وأشعارا!!.

ويذكر «أيفو أندريتش» كيف توغل النمساويون داخل البوسنة وجاسوا خلال ديارها من أقصاها إلى أقصاها، وكيف جمع «عثمان أفندى» الناس لمقاومة المحتل الدخيل.. وإن «على خجا» الأقل عنفا كان يتألم أشد الألم من الشقاء الذى يقترب إذ كان يشعر بعذاب وسخط لا يستطيع أن يشعر به إلا مسلم مؤمن يرى اقتراب قوة أجنبية لن يستطيع النظام الإسلامى القديم أن يصمد لها مدة طويلة.

ويشير «أندريتش» إلى اعتقاد الأتراك منذ أزمنة بعيدة جدا إلى أن وليا من أولياء الله الصالحين يدعى «الشيخ تركمان» استشهد فى سبيل الله ليبعد هؤلاء الذين جاءوا لاجتياز نهر درينا.. وأنه إذا اتفق وزحف جيش من الجيوش على هذا المكان، فإن الشيخ تركمان، يخرج من قبره ليدق عنقه ويوقف زحفه.

وهكذا نجح ايفواندريتش فى تصوير قصة الصراع الذى يدور رحاه بين الصربيين والمسلمين، فى تلك البلاد البعيدة.

والسؤال الذى يثور: وماذا بعد هذه الإغارات المتتالية، والمتوالية (لحلف الناتو) وبقيادة الولايات المتحدة الأمريكية؟. هل تنجح فى محاولة وقف هذه الجريمة اللاأخلاقية، والمذبحة الدموية التى يقودها رئيس سفاح، ضد شعب أعزل من السلاح؟.

هل ينجح (حلف الناتو) فيما أراده.. وفيما أقدم عليه؟.

أم هو (الشيخ تركمان) سوف يهب من رقدته، ويصحو من غفوته، ليكسر شوكة (سلوبيدان)، وينقذ شعب «كوسوفو» الذى بات مهيضا محصورا بين مطرقة الصرب، وسندان الغرب؟!.

بابا مصر - والعرب -.. غزير العلم، وجم الأدب..

فوق قمم الجبال وفى السفوح وأسفل الوديان، وفى الأديرة الموحشة التى ران عليها الظلام وتغشاها الإظلام، ولم يطأها من قبل إنسان.. وفى جوف الصوامع المتناثرة على كثبان الرمال فى الفيفاء، وفى بطون البوادى والقفار الصماء، وداخل «القليات» القابعة على الرمال الحصباء، عاش الرهبان المسيحيون الأوائل يتبتلون فى محاريبهم، بنسكهم وصيامهم وصلاتهم، للرب الخالق الواحد الديان.. رهبان الله.. الذين نزحوا إلى الصحارى مودعين الدنيا بالآخرة من أجل دينهم الذى فجر منهم معينا دافقا مع شظف عيشهم من ندرة الماء وضآلة الغذاء إلا بالنذر اليسير منهما بما يمسك رمقهم ويقيم أودهم فبطونهم طاوية وأديرتهم خاوية يمر عليهم الأصرمان وقد غاب عنهم الأبيضان هذه هى الحياة فى الصحراوات يوحى كل ما فيها بالموات، لا ينفكون ينظرون إلى القبور، ويفكرون فى البعث والنشور، وهوذا «ذو نواس» يحفر الأخاديد العميقة المملوءة بالنار يقذف فيها كل من يتمسك بالمسيحية.. ولم لا؟ ألم يلق الجبابرة أمثاله بالمسيحيين للأسود والنمور الجائعة فتلتهمهم أمام الجمع الصاخب لا لشئ سوى أنهم آمنوا بالعزيز الحكيم. هاتيك الصحارى التى امتزجت بالتاريخ منذ أمد بعيد دالة على الوجدان المسيحى منذ عصر الرومان. حيث دأب الرهبان المسيحيون فى العصور الأولى للمسيحية على استخدام المعابد الوثنية مثل معبد الدير البحرى، ومعبد الأقصر، للعكوف فيها على ذكر الرحمن.

لاقى المسيحيون فى سبيل إيمانهم بعقيدتهم الويل والثبور وعظائم الأمور، وذاقوا عذاب الهون على يد روما القديمة، وروما البيزنطية، حيث اعتلى دست الحكم الإمبراطور قسطنطين الكبير، الذى نقل عاصمة الإمبراطورية من مدينة روما القديمة إلى مدينة بيزنطة أو القسطنطينة. ارتقى الإمبراطور «ديقلديانوس» عرش الأمبراطورية البيزنطية، فشدد من قبضته على الكنيسة المصرية، وأنزل بها ألوانا من العذاب المهين، وأعمل قتلا فى المسيحيين المصريين، فقضى بسببه مئات عديدة من الألوف، وهو ما عرف فى التاريخ باسم «حقبة الشهداء»، وأقيم عمود السوارى بالإسكندرية تخليدا لذكرى أولئك الشهداء الذين جادوا بالدماء من أجل عقيدتهم التى عضوا عليها

بنواجذهم، وجاء استشهادهم نقطة تحول فى تاريخ المسيحية فى مصر، يُؤرخ بها – فى التقويم القبطى حتى الآن.

دارت عجلة التاريخ وتسلم الإمبراطور «جوليان» مقاليد الأمور فى مصر، فانتهج نهج سلفه فى تعقب المسيحيين، وجاء من بعده «سيروس» – من قِبل الإمبراطور الرومانى «هرقل» (٦١٠ – ٦٤١) ليكون نائبا له فى حكم مصر، وأحكم هو الأخر سيف الظلم على رقاب المسيحيين المتدينين، جمع بين السلطتين الدينية والدنيوية، فسلط نيران حقده – هو الآخر – عليهم، حتى اضطر البابا البطريرك «الأنبا بنيامين» هلعا من بطش ذلك الامبراطورى الوثنى، إلى أن يفر هاربا فى حلكة الليل بيمما وجهه شطر الصحراء، مفترشا الغبراء، وملتحفا بالسماء، نازحا إلى الكهوف النائية، البعيدة عن الأعين، متنقلا من كهف إلى كهف، ومن مكان إلى مكان حتى يكون بمنأى عن بصر الإمبراطور الطاغية، وعن بصيرته. وإذ استبد اليأس بعسس «سيروس»، فى العثور على البابا الهارب أو اقتفاء أثره، ألقى «سيروس»، الذى لم يكن ليغمض ناظريه عن البابا المؤمن، القبض على أهله وذويه، انتقاما منه، وقذف بهم فى غياهب الجب، ثم شوى لحومهم بالنار، وألقى بأجداثهم فى مياه الأنهار، بعثت المسيحية فى مصر فى آواخر القرن الثانى الميلادى على يد كل من (كلمنت Clement) و (أورجين Origen)، وتوغلت فى أرجائها، على يد القديس «مار مرقس الرسول» عام ٦٣ بعد الميلاد، الذى تربع على الكرسى البابوى المرقسى، وقبض عليه الملحدون الوثنيون فى الإسكندرية وفصلوا رأسه عن جسده وأزمعوا على أن يوقدوا فى الجسد النيران، فأخذوا يكومون الحطب تمهيدا لحرقه، وما كادوا يفعلون هذا حتى هبت فى وجوههم عاصفة هوجاء وهمى عليهم المطر كالسيل الجارف فتركوا الجثة وولوا بوجوههم مدبرين، فدفنها المؤمنون فى الكنسية المسماة «بوكاليا» ودعوها بعد ذلك باسمه وقيل إن المسيح عليه السلام كان قد بشره قبل استشهاده «بنيله إكليل الشهادة» (تشدد يا بشيرى وليفرح قلبك)، وذلك بعد أن نشر الدين الجديد فى ربوع مصر. حيث كان أول المؤمنين بالمسيحية صانع أحذية مصريا يقيم – فى الثغر – يدعى «أنبانوس» حوّل بيته – بعد اعتناقه المسيحية – ليصبح أول كنيسة فى مصر وفى أفريقيا.

وجاء آخر الرهبان الذى تأسى بمن سبقوه من أرباب الكنسية المصرية، القديس الراحل «الأنبا شنودة الثالث» الذى كان امتدادا للرهبنة التوحيدية «للأنبا أنطونيوس»، ورهبنة

الشـركة «الرهبنة الجماعية» (للقديس باخوميوس). حرص الأب شـنودة، منذ رسامته فى ١٤ نوفمبر ١٩٧١ على بث روح المحبة والوئام بين مسيحى مصرى ومسلميها بجهد مشكور وغير منكور وانفتحت الكنسية المصرية فى عهده على العالم شرقا وغربا، وشمالا وجنوبا.

ولفـظ «البابـا» يعنى أبا للأباء.. وهو نـوع من التقدير والتبجيل، جمع الأب شـنودة بـين الثقافة الدينية، والمعرفة الفلسـفية، متبحرا فى علـوم الدنيا، والآخرة. فأصبح عقلا للكنيسة، قلبا للدين.. وأبا لجميع المصريين.

كان يحرص دائما على النعرة المصرية والوحدة الوطنية، لم تفل شـباته أو تلن قناته، فى سبيل هدفه الأسمى المنشود.

كان إبان دراسـته، الأول دائما، سـواء فى المدرسـة أو الجامعة، أول بابا يمد جسور الحـوار مع بابا روما والفاتيكان رأس الكنيسـة الكاثوليكيـة بالعالم، بعد توقف دام لعقود عديدة. وأول بابا يقرض الشعر ويستظهر ألاف الأبيات، يستدعيها من ذاكرته، تنساب من قريحته على لسانه فى برهة وجيزة، مستشهدا بالكثير منها، حسبما تستدعى الأمور.

سبر أغوار اللغة العربية وهام بها عشقا، وبذ أقرانه فيها، فأبدع فيها نثرا وشعرا، وكان الأول دائما فى مراحل حياته المختلفة، وهو أول بابا يتخرج فى كلية ضباط الاحتياط برتبة مـلازم، وخدم بالقوات المسـلحة. وأول بابا يحصل على عضويـة نقابة الصحفيين ويرأس تحرير «مجلة مدارس الأحد» وهو فى مقتبل العمر، وأول بابا يدخل سـفارة السـعودية، ومشـيخة الأزهر، ودار الإفتاء. وسـار على نهج «قداسة البابا كيرلس السادس» فى الدفاع عن القضية الفلسطينية، ورفض زيارة بيت المقدس إلا مع المسلمين وبعد تحريرها.

جمـع فى شـخصيته – فى ثوب واحد – بين طالب العلـم، والمعلم الزاهد. «ولد يتيما ليس له من أب يعزيه أو خال يواسـيه» فأصبح أبا للجميع: يقول هو عن نفسه فيما سمى فى الغرب بمصطلح الذكريات «Recollections / Reminiscence»: «كنت طفلا وحيدا.. ماتـت أمـه دون أن يرضع منها، وكانـت الحاجة «زينب» – جارتنـا – أمى بعد أمى، فأصبحت شـقيقا لابنها – زهرى فى الرضاعة. كنا نأكل ونتمشـى سويا، نصطاد السمك ونجلس على شاطئ النيل معا ونأكل العيش والبلح الأخضر، حيث كنا روحا واحدا تسرى فى جسدينا».. وكنت أسير من منزلى إلى المدرسة، حيث كانت تبعد كثيرا عن البيت الذى أقطن فيه، وكنت دائما أفكر وأقول لنفسى، متى ينتهى هذا الطريق الطويل؟ «ولم ينته هذا الطريق من حياته عبر سنى عمره».

كان الأب شنودة، يعكف دوما على كتب الأدب والعلم، فاغترف منها ما غذى به قلبه، وأضاء به عقله وفكره حتى انتهى به المطاف إلى أن يحصل على أربع درجات فى اللاهوت، وسبع درجات فى الدكتوراه الفخرية، من جامعات العالم الشهيرة.

استوعب ما جاء بالكتاب المقدس من آيات الله، وكذلك ما جاء فى التوراة والقرآن، فكانت رسالته كلها محبة فى الله، فنقطة الانطلاق الأولى فى المسيحية هى المحبة .. فالله ذاته محبة (رسالة يوحنا الأولى ٤: ٨)، والله فى المسيحية هو الله المحب، ويسمى هذا الحب (آغابى – Agape) تمييزا عن حب الإيروس (EROS).. حب الملذات. تأمل معى قوله، فى كتابه (ما هو الخير): «أحبب من يكرهك، واستمر على حبك له حتى يحبك، ولا تقسو على أحد» ويقول: «إذا أعطاك الله موهبة ابتهل إلى الله أن يعطيك معها اتضاعا.. لئلا تقع بسببها فى الكبرياء وتهلك.. فالاتضاع هو الأساس، الذى تبنى عليه جميع الفضائل.. وكل شئ تعطيه ستجده فى الأبدية.. محب المديح يخسر محبة الناس.. كل الأشياء تعمل معا للذين يحبون الرب.. ليتنا نحاسب أنفسنا قبل أن يحاسبنا الناس، بل قبل أن يحاسبنا الله».

بعد أن أصدر الرئيس «السادات» قراره رقم ٤٩١ لسنة ١٩٨١ بإلغاء قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٧٨٢ لسنة ١٩٧١ بشأن تعيين الأنبا شنودة بابا للإسكندرية وبطريركا للكرازة المرقسية، شد رحاله إلى الدير الأثير لديه (دير الأنبا بيشوى بوادى النطرون) والذى أنفق سنين عمره عليه، وعلق على باب الدير: «هنا المقر البابوى» وإذ سأله أحد الصحفيين ما شعورك وأنت هنا قال: «أشعر بأننى مثل إنسان مسجون فى الجنة».. وهل هناك أحد يغضب إذا سجن فى الجنة؟!، وقال هو عن هذه الفترة التى قضّاها هناك: «انتهيت من تأليف ستة عشر كتابا جديدا»، ثم يردف قائلا: «وطبعا الذى يؤلف كتبا جديدة، لابد أن يكون مرتاح النفس، وروحه المعنوية عالية».

كما أجاد فى النثر، قرض الشعر، وبزغ فيه، بعد أن حفظ منه آلاف الأبيات، ومنها قصائد (شوقى، والجارم، والعقاد). تأملوا معى أبياتا من شعره الصوفى الجميل:

أهدم فى المخازن ثم أبنى وأجمع قبضتى وأضم بترى
وأغرس لى فراديسا كبارا بأثمار وأطيار وزهر
وأقطف وردة من كل غصن وأطرب مسمعى من كل طير

يحكى هو عن نفسه فى هذا الخصوص، بما سمعناه منه «فى التلفاز» أنه إذا خلد إلى النوم جاءه وحى الشعر، فيقوم من مرقده ويمسك قلمه ويدون ما أوحى به إليه، ومن ثم كان ينام ويضع على وسادته قلما وورقة يخط بالمداد على القرطاس، ما يخطر على باله من شعر – فى هنيهة – دون أن ينهض من مهجعه.

وقر الكبير، وعطف على الصغير، ولجأ إلى النكتة – التى ارتآها الفيلسوف «هنرى برجسون» فى كتابه «سيكولوجية الفكاهة والضحك» إنها قريحة الأذكياء، تجود بها على من يستمع لها، كما أنها هى والنسك المصرى كما يرى العقاد «إخوان توأم أو صنوان يتجاوران»، فكان البابا الراحل بدعاباته يدخل البهجة على نفوس مستمعيه بابتسامة لا تفارق وجهه، وبروح مرحة نزع بها فتيل الكثير من الأزمات.

حضر رجل أعمال أردنيا إلى البابا شنودة ليعرض عليه مشروعا ضخما كما وصفه له، ولكنه يحتاج إلى دعم الكنيسة، وكان المشروع ينحصر فى تعبئة مياه نهر الأردن، وهو النهر الذى تعمد فيه السيد المسيح، فى زجاجات ليتم بيعها فى كنائس مصر للبركة.. فكر البابا قليلا ثم رد على رجل الأعمال قائلا: «المسيح تعمد فى نهر الأردن، ولكنه عندما جاء إلى مصر شرب من مياه النيل سنوات ثلاث كاملة، فما رأيك لو قمنا بتعبئة مياه النيل فى زجاجات، وبعناها فى الأردن للبركة؟» السؤال ألجم رجل الأعمال الأردنى.

ذهب إليه أحد الأخوة المسيحيين سائلا: «عمرى خمسون عاما.. فمن أتزوج؟» فقال له البابا وابتسامته المشرقة على وجهه: «خد أم ٤٤»؟!.

وحين سقط القلم الخاص به على الأرض بدير الأنبا بيشوى التقطه أحد الرهبان وطلب منه السماح له بالاحتفاظ بهذا القلم فضحك البابا قائلا له: «تريد أن تكتب به وتقول بعدها بقلم البابا شنودة»؟! وضج الجميع بالضحك. طُلب إليه أثناء زيارته للأزهر الشريف أن يلقى كلمة فقال لهم: «أنا فى الأزهر مقدرش أظهر؟!»، وارتسمت البسمات على وجوه الحاضرين، روح وثابة، وسرعة بديهة جذابة. أسلوبه يجمع بين الهدوء والاعتدال، كتب مقالا قيما عن «المسيحية فى القرآن» أضحى محل إعجاب الكافة. زار المساجد كما كان يزور الكنائس حتى إن «مفتى سوريا» قد حياه خلال زيارته لسوريا بقولته: «أنت لست بابا المصريين، بل أنت بابا العرب» – بعد محاضرة قيمة ألقاها على الحضور فى صحن أحد المساجد، كان رجلا فى أمة، وأمة فى رجل راهبا عالما أديبا شاعرا يتأجج فى قلبه

حب مصر والمصريين، انظر إلى قولته: «إن أمن الأقباط الكامل هو فى اختلاطهم بإخوانهم المسلمين فى كل بيت فى المستشفى، فى الشارع، فى المدرسة، وإنك لا تستطيع أن تفرق وأنت تسير فى الطريق من هو المسلم، ومن هو المسيحى؟.

يذكر الفيلسوف «برتراندراسل» فى كتابه القيم «تاريخ الفلسفة الغربية»: (إن أربعة رجال يطلق عليهم أساتذة الكنسية الغربية هم أمبروز، وجيروم، وأغسطين، والبابا جريجورى الأعظم).. بمكنتنا - نحن - كذلك أن نقول: «إن البابا شنودة الثالث هو أول أساتذة الكنسية المصرية والشرقية بين بطاركها جميعا» فالدنيا بأسرها قاصيها ودانيها، لن تنسى أبدا - لهذا القديس - أنه كان لأرض مصر سندها وحاميها من فتنة اشتعل أوارها وشبت نيرانها على مدى سنوات طوال وكادت أن تأتى على اليابس والأخضر لولا حصافته وحكمته، شد إليه الرحال وفود من أنحاء المسكونة لتنهل من مناهل فكره تترى يوما بعد يوم يتكبكب كل وفد عليه لتصغى إليه فى حديث الأربعاء حيث كان يقطر فكرا وأدباً وعطرا، وجل حديثه إليهم، عن انتمائه لوطنه وأبوته للمصريين أجمعين، وحين زار الرئيس الأمريكى «كارتر» مصر توجه إليه فى الكاتدرائية بالعباسية ورجاه أن يكون ضيفه فى البيت الأبيض الأمريكى، ولبى البابا دعوته، ومما قاله له خلال لقائه به: إن الأسطورة اليهودية القائلة «إن اليهود هم شعب الله المختار غير صحيحة، وإلا فأنا وأنت من غير هذا الشعب؟!».

ولن ينسى كاتب هذه السطور حسن استقباله له بمستشفى «السلام بالمهندسين» حيث كان بصحبته - آنذاك - الأب متى المسكين وهو يودعه بأدبه الجم داعيا له قائلا: «ربنا معاك».

انتقلت روح هذا الراهب الناسك، البابا القديس، إلى بارئها، لا جَرَم، إذن - بكته مصر، واعتمل الأسى فى عقلها، ومس لواعج قلبها - مسلمين ومسيحيين - على السواء، وهى تودعه إلى مثواه، بالدمع السخين، وكذلك كان الملايين من أنحاء المعمورة من شتى البقاع والأصقاع.. فى حزن مقيم للذى لم يكن لوطنه يوما بالخصيم.. بل كان له نعم الخديم.

.. رؤية قبطية للفتح الإسلامى..

هـذا الكتـاب – لعله من المفيد أن أشـير إليه لأنه يتحدث عن أحـداث الفتح العربى لمصر فى القرن السابع الميلادى وتبدو أهميته إلى أن مؤلفه «يوحنا النقيوسى» قد عاصر هذا الفتـح ودونه فى مخطوطة له حيث إنه كان شـاهد عيان علـى الوقائع التى حدثت إبان تلك الفترة.

وقد أشار المؤرخ «بتلر» فى كتابه عن الفتح العربى لمصر صراحة إلى هذه المخطوطة قائلا: «والحـق إنه لم يكن فى الإمكان أن يُكتب هذا التاريخ الخاص بتلك الحقبة لولا أن البعثة البريطانية فى بلاد الحبشـة قد عثرت عليها، وهى خاصة برؤية قبطية للفتح الإسـلامى» قد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية الدكتور «عمر صابر عبد الجليل».

فمنـذ فجر التاريخ ومنطقة شـبه الجزيرة العربية منطقة طاردة للسـكان وليس جاذبة لهـم، وذلك لطبيعتها الجغرافية حيث يغلب على معظم مناطقها الجفاف وصعوبة العيش مما دفع أهلها إلى معرفة المناطق الخصيبة المجاورة لبلادهم حتى يتسنى لهم الترحال إليها والعيش فيها.

ومن هذه المناطق الخصيبة كانت مصر حتى إن القلقشـندى وصفها بقوله: وكذلك ترى النـاس يرحلون إليها وفودا من كل ناحيـة وقل أن يخرج من كائن دخلها أو يرحل عنها من وجلها مع ما اشتملت عليه من حسن النظر وبهجة الرونق.

فهناك شـخصيات بارزة منذ أن تنفس التاريخ نزلت من شبه الجزيرة العربية إلى مصر منها نبى الله إبراهيم عليه السلام وبرفقته سارة زوجته وقصته مع فرعون مصر الذى أهدى لها هاجر المصرية لتكون وصيفة لها ثم زواج سيدنا إبراهيم من هاجر المصرية.

وكذلك كان الأمر مع يوسـف عليه السلام الذى نزل سلطانا عليها. كما كان الحال مع آل يعقوب عليه السـلام، كما ورد فى سفر التكوين أن يوسف دعا أباه للسكنى «فى أرض جيوش» وهى مقاطعة مصرية تقع شرق الدلتا.

كما ذكر «هيرودت» الذى زار مصر حوالى ٤٤٨ – ٤٤٥ قبل الميلاد أن الأقسام الشرقية لمصر وخاصة تلك المتصلة بطور سـيناء كانت مأهولة بقبائل عربية كانت تسكن غزة حيث كان سكان غزة من العرب من أمد طويل قبل الميلاد.

ومع مرحلة الفتوحات الإسلامية فى عهد الخلفاء الراشدين كانت مصر من أوائل البلاد التى العرب حتى أن المصادر العربية القديمة تشـير إلى أن عمرو بن العاص قد سـبق له أن زار الإسكندرية قبل الإسلام.

وقـد عرف العرب الصعيد الأعلى مثلما عرفوا مصر السـفلى الأمر الذى أدى إلى وجود جاليات عديدة عربية اندمجت مع المصريين وكانت نتيجة هذا وجود آثار إسلامية وثقافية مما أثر فى سرعة تعريب مصر.

وتشير المصادر أن الرسالة التى بعث بها الرسول عليه السلام إلى أشهر زعماء العالم فى ذلك الوقت «هرقل» ملك الروم، «كسـر» ملك الفرس، «المقوقس» عظيم القبط، «النجاشـى» ملك الحبشـة، يدعوهم فيها إلى الإسـلام كانت باللغة العربية مما يدل على أن العربية لم تكـن مجهولـة فى ذلك الوقت حتى إن المقوقس «قيرس» قد رد عليها باللغة العربية، جاء فيها «لـ محمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط.. سـلام. أما بعد: فقد قرأت كتابك وفهمـت مـا ذكرت وما تدعو إليه وقـد علمت أن نبيا قد بقى وقـد كنت أظن أنه يخرج بالشـام، وقد أكرمت رسـولك وبعث إليـك بجاريتن لهما مكان فى القبط عظيم وبكسـوة وأهديت إليك بغلة لتركبها والسلام».

وقد ذكر «يوحنا النقيوسـى»: أن ظلم هرقل الملك وبسبب اضطهاد الأرثوذوكسيين على يد البابا «كيرس» هلك الروم الذين توسـدوا حكم مصر.. وسـادوا مسـلمون مصر حيث لم يسلك عمرو بن العاص شيئا من مال الكنائس ولم يرتكب أمرا ما سلبا أو نهبا وحافظ على الكنائس طوال الأيام.

وعندمـا اسـتولى عمرو بن العاص علـى حصن بابليون كتب بيده عهـدا للقبط بحماية كنيستهم ولعن كل من يجرؤ من المسلمين على إخراجهم منها.

وإذ أخـبر رجـل من القبط يدعى «سـانتيوس» عمرا بن العاص بأمـر بنيامين بطريرك الأقباط الذى فر من مصر خوفا من الاضطهاد مختفيا فى دير صغير فى البرية الصعيد كتب عمرو إلى عماله فى مصر كتابا قال فيه: الموضع الذى يكون فيه بنيامين بطريرك النصارى القبط له العهد والأمان والسلام من الله فليحضر آمنا مطمئنا ويدبر حال وسياسة طائفتهم.

فلم سمع القديس «بنيامين» هذا سـعد وعاد إلى الإسـكندرية بفـرح عظيم، وقال: لقد تغير حال القبط بعد دخول العرب «فأجد السيد المسيح» إذ خلصنى من اضطهاد المخالفين ونجانى من التنين العظيم المطارد لى ووهبنى أن أشاهد أولادى.

وألقى «باسيلوس» أسقف دير مقاريوس خطبة بالغة رد عليها بنيامين بقوله: «لقد رجعت إلى الأسكندرية فوجدت فيها زمن النجاة، والطمأنينة اللتين كنت أنشرهما بعد الاضطهادات والمظالم التى قام بتمثيلها الظلمة المارقون».

تاريخ.. له تأريخ؟!.

❑❑❑

obeikandl.com

أحمد زويل.. العبقرى المصرى.. !

تنـداح دائرة الكشـوف العلمية يوما بعد يوم وتترى الأبحـاث الكيميائية عاما بعد عام لتثبت مقولة «باراسيلوسـيوس» التى قالها منذ حوالى قرنين من الزمان إن فن علم الكيمياء هو «فن التقدم من غير النقى إلى النقى» فقد أتى على الإنسـان حين من الدهر كانت جل المنتجـات الطبيعيـة تقل فاعليتهـا جزئيا لاختلاط الحابل بالنابـل فيها حيث تعلق بها النفايات التى لا يسـتطيع غـير عالم الكيمياء أن يغربلها وينقيها إما بالتقطير أو السـعار أو النار.

وكان «باراسيلوسيوس» يرى أن العمليات الحيوية مثل «الهضم» ماهى فى حقيقة أمرها إلا عبـارة عـن عمليات كيميائية أى مواد تتحول رويدا رويدا بواسـطة التطور الطبيعى إلى أخـرى ومن هنا تفتق ذهنه عـن العديد من الكتب العلمية الكيميائية «الصيدلانية» تحدث فيها مليا عن الكيمياء الطبيعية.

وقبيـل ذلك بأجيـال طويلة كان علم الكيمياء قد اسـتطالت قامته وعلت هامته ووقف شـامخا على قدمين راسـختين عن طريق العلماء المسلمين الذين كانوا قد ضربوا بسهم وافر يكشـف عن نبوغهم وألمعيتهم بل وعبقريتهم التى أحدثت التجديد لهذا العلم الوليد الذى نما على أيديهم وذكا عوده على عيونهم الأمر الذى دعا علماء الغرب إلى أن يسـجلوا ذلك فى كتبهم ويثبتوا هذا فى دراسـاتهم ومنها على سـبيل المثال ما ذكره «مكسيك رودنسون» فى كتابه «جاذبية الإسلام» من أنه سوف ينسخ ويطبع ويشرح ويدرس ولقرون «ابن رشد» و «الغزالى» و «ابن سـينا» بالنسبة للفلسـفة وابن سينا والرازى Rhazy مع الطبيب العربى المسـيحى «ابن مسـكويه» المسمى «Mesue»، للطب – ناهيك – عن الجبر والكيمياء ـ كما ذكر «فولتير» – ويتوقف التاريخ عند معلم الكيمياء ومؤسسـها وأبيها الذى تولاها بالرعاية والعناية والبحث والدرس والفحص «جابر بن حيان» الذى ظلت تواليفه هى الثبت والمرجع لهذا العلم ردحا طويلا من الزمن اسـتمر حتى نهاية القرن السـابع عشـر.. ولما تزل موئلا ومرجعا لكل باحث فى علم الكيمياء.

وعندمـا أراد «ألفريد برنارد نوبل» الرجل الرقيق الحاشـية كما وصفه عارفوه والذى لم ينجح فى أن يكون أديبا كما قال عنه مؤرخوه – مع أن جائزة نوبل – المسماة باسمه – هى

وســام على صدر أى عالم أو أديب. فإتجه إلى ميدان العلم واخترع «الديناميت».. ولما رأى ما رأى من أثار اختراعه الذى تطايرت الأجســاد بسببه، وتناثرت العظام فى الهواء بفعله رأى أن يكفر عن خطئه وخطيئته من جراء اختراعه لهذا البارود الذى أمســى شيطانا بين النــاس يحصد الأرواح، ويمم وجهه بعد ثراء عريض هبط عليه فى «ســان ديموه» بباريس قبل وفاته بعام واحد فى ديســمبر ١٨٩٦ غير حافل بنصيب «الآحاد»، إذ جعل كل همه فى نصيب «الجماعات»، فأوقف ريع أمواله الطائلة كما ذكر فى موســوعة «المعرفة» على هؤلاء الذين يسدون خدمات جليلة للإنسانية وهى الطبيعة والكيمياء والفسيولوجيا أو الطب والأداب أوالســلام، سواء أكان هؤلاء الرواد من الدول الإسكندنافية أم من الدول الأخرى.. وإن كان بنك الســويد قد قرر فى عام ١٩٦٨ أن يمنح جائزة ســنوية فى العلوم الاقتصادية أحياء لذكرى نوبل وهى تعادل نفس جوائز نوبل الأولى وتطبق عليها شروطها.. وكان أول من نال جائزة نوبل فى الكيمياء كما ورد فى الموســوعة الســالف ذكرها هو Jacobs Van't Hokff «جاكوب فان هوكف» عام ١٩٠١ من هولندا.

وكان أخر من نال هذه الجائزة العالمية فى ذات العلم هو العبقرى المصرى الدكتور أحمد زويل الذى أضحى باكتشــافه «للفيمتو ثانية» أشــهر علماء الكيمياء فى القرن العشرين فهو كما وصفه «رودلف ماركس» العالم الأمريكى الحائز على الجائزة نفســها فى علم الكيمياء عام ١٩٩٢ قد أســتطاع أن يغير نظرية العلماء للديناميكية الكيميائية فقد جاءت دراســاته عــن التفاعلات الكيميائية والفيزيقية والبيولوجية التى تحدث فى زمن «الفيمتو ثانية» هى أقصى انجاز لجهود البشرية فى أكثر من قرن من الزمان.

وقالت الجمعية السويدية فى أسباب منحة للجائزة : إن فوز «زويل» بها يعنى أننا قد وصلنا إلى نهاية الطريق حيث لا توجد تفاعلات كيميائية يمكن أن تحدث أســرع من زمن «الفيمتو ثانية» حيث أصبح من المســتطاع للمــرة الأولى فى التاريخ أن نرى بطريق الحركة البطيئة ماذا يحدث للذرات والجزئيات.

ويقول هو نفســه أن ثمة انقلابا ســوف يحدث فى مجال الطــب والكيمياء مثبتا بهذا ما ســبق أن تنبأ به «بارسيلوسيوس»، وســوف تقل الأمراض التى أصبح من الممكن التحكم فيها – بعد قليل فى « أعشار الجزئ من الثانية؟!.

وهكذا أثبت العالم المصرى بكشــفه المثير هذا كذب ما ذهب إليه «هيجل» الفيلســوف الألمانى الذى فلسف التاريخ الإنسانى ودعته نعرة الألمانى إلى أن يقول ذات يوم «إن أفريقيا

السـوداء تمثـل القلاقل والاضطرابات وإن أوربا هى التى توفـق بين جمود أفريقيا وقلاقل أسيا».

فهاهـوذا «زويل» العالم المصـرى.. «الأفريقى» يحدث أنقلابا علميـا فى عالم الكيمياء أوقف به الزمن مسـجلا اسمه واسـم موطنه مصر واسم قارته أفريقيا بأحرف من نور بسبق علمى وخلود أبدى ومجد تعنو له الرءوس.

ثم ماذا؟ ألا يؤكد ما وصل إليه العالم المصرى قدرة الله سبحانه وتعالى وعلى ما يُنعم به على عباده من رؤى وكشـوفات عبرت عنها الآية الكريمة ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [سورة فصلت – الآية ٥٣].

❑❑❑

obeikandl.com

أخطاء تتحدى الصواب.. ؟!

إذا كان الخطأ الشائع خيرا من الصواب المهجور – كما يقال – فثمة أخطاء فى اعتقادى لا يصح أن ندعها تحتل مكانتها فى العقول طاردة من أمامها الصواب. فيصبح من المحال تصحيح الخطأ بعد أن وقر فى الأذهان.

وفيما يلى بعض ما يتردى فيه الكثيرون من أخطاء لغوية أرجو لو التفتت إليها الأنظار لننقى لغتنا العربية من الشوائب التى علقت بها.. وهاك هى:

١ – «يخيل لى» وصحتها «يخيل إلى» وقد جاء فى القرآن الكريم: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [سورة طه – الآية ٦٦].

٢ – «إمكانيات» والصواب «إمكانات» وقد سبق للأستاذ العقاد أن نبه إلى خطأ هذه الكلمة وصوابها فى يومياته.

٣ – «على بكرة أبيهم» والصواب عن بكرة أبيهم.

٤ – استخدام كلمة «أحفاد» على إنها جمع «حفيد» والصحيح «حفدة».

٥ – استخدام كلمة «خذلان» للدلالة على الخزى والعار وصحتها «خزيان».

٦ – استخدام كلمة «مشغوف» بمعنى محب والصواب «مشغوف بكذا».

٧ – استخدام صفة «طموحة» المرأة والصحيح أن نقول امرأة أو فتاة «طموح» بدون تأنيث وكذلك الحال بالنسبة لكلمة إنسانة.

٨ – استعمال كلمة «رتيب» وصحتها «راتب».

٩ – جمع كلمة «نية» بـ «نوايا» والصواب «نيات».

١٠ – وأخيرا – وليس – أخرا ضم الميم فى كلمة «مشين» والصواب فتحها على وزن «معيب» وكذلك الحال فى كسر الواو فى كلمة «تدوى» والصحيح تشديدها.

وهلم جرا بالنسبة لأخطاء عديدة تتردد على الألسن دون مراعاة للخطأ فيها ووجوب إعمال الصواب.

وإننى أقترح على مجمع اللغة العربية حامى الحمى للغة القرآن الكريم أن يوثق الأخطاء الدارجة وتصويبها فى كتيب يوزع على طلبة المدارس والجامعات حتى يتعود طالب العلم على استعمال اللغة العربية بالصحيح منها.

أخطر يوم فى تاريخ القاهرة..؟!

الـذى لا مريـة فيه أن نهر النيل وحده ليس بمكنته أن يصنع حضارة مصر كنهر مهما كانت عظمته، ومن ثم جاءت مقولة المؤرخ اليونانى «هيرودت»: «إن مصر هبة النيل» وقد أخرجهـا المؤرخون المحدثون من حظيرة العلم الجغرافى وكذلك التاريخى إلى غير رجعة، فقد كان هذا النهر شرسا جامحا فجاءت يد المصرى فهذبت من ضراوته وبنت حضارته.. حضـارة سـامقة خلدها التاريخ، وأصبحـت العبارة التى يجب أن تقـال: «إن مصر هبة المصريين» وليسـت هبة النيل، و من قرأ السـفر الرائع «نهر النيـل» الذى دبجته يراعة «إميـل لودفيج» يعرف ذلك، فلم يكن النهر وحده هو صانع تاريخ مصر وإنما كانت البيئة المتكاملة لمصر من صحراء ورياح شمالية وشمالية غربية متكاملة فى اتجاه سريان النهر من الجنوب ناهيك عن عبقرية شـعبها هى التى ضربت بسـهم وافر فى بنيان تلك الحضارة الضاربة فى القدم.

وفى غضون القرن التاسـع عشـر ولدت إمبراطوريات ثلاث البريطانية، والفرنسـية، والنمسـاوية، وكانت أولاها من الطموح والجموح حتى إنها بسطت يدها على بلدان لا تعد ولا تحصى ومن ثم كانت هى وحدها: «الإمبراطورية التى لا تغيب الشمس عن أراضيها» وأبتليت مصر باحتلالها لها، بيد أن مصر لم تكل ولم تمل من خلال كفاح أبنائها شـبابا وشـيوخا، ونساءا وأطفالا فقد تصدوا لجبروت هذه الإمبراطورية التى أوغلت فى احتلالها وشـذت فى عدوانها، حتى أذن الله بنضال شـعبها – فى إجلاء الغاصب المحتل الغشوم عـن أرضهـا حتـى أجبرته – بعـد ردح طويل من الزمـن – على أن يحمـل عصاه على كتفه ويرحل.

ومن بطون التاريخ نسوق هذا الكتاب الذى خطه أحد غلاة هذا المستعمر البغيض يشهد فيه – وإن كانت مصر فى غير حاجة إلى شهادة أحد فتاريخها يشهد لها – لمصر.

أرسـل رسل باشـا الحاكم العسـكرى لمدينة القاهرة كتابا إلى أمه قال فيه: أخشى أن يكون هذا اليوم أخطر يوم فى تاريخ القاهرة، فالمدينة مهددة بأن تسيل الدماء فى شوارعها أنهارا. وأعترف الجنرال (اللنبى) بأن ساسـة إنجلترا قد أخطأوا لما منعوا (سعدا) وصحبه

من الذهاب إلى لندن. لقد ظل البوليس حتى ظهر أمس يسيطر على الموقف بعض الشئ إلى أن تعقدت الأمور فجأة عند المغرب، إذ اشتبكت جماعة من الجنود الإنكليز والأستراليين فى معركة مع جنود الجيش المصرى فقتل اثنان من رجال البوليس وأصيب واحد من جنود المطافئ بجراح خطيرة، ولم تمض ساعة وبعض الساعة حتى كانت الاضطرابات تشمل المدينة بأسرها، إذ فقد الأستراليون صوابهم فأخذوا يطلقون النار على المصريين، فقتلوا عشرة منهم.

وما كادت تشرق شمس اليوم حتى كان عشرات الألوف من المصريين يتدفقون على الميادين والشوارع، وأخذوا فى إقامة المتاريس وقطع الخطوط التليفونية، ولم تُستخدم القوات البريطانية – حتى كتابة هذه السطور – السلاح معهم، وإن كان لابد من استخدامها؟!، أما رجال البوليس فلا أمل البتة فى مقدرتهم على تشتيت تلك الجحافل.

وفى يوم الأحد ١٣ أبريل أكمل رسل باشا خطابه إلى أمه وهو يردف قائلا:

«منذ أن بدأت فى كتابة هذا الخطاب يوم الأربعاء الماضى، مرت بنا أيام لم نذق فيها طعم النوم، ولقد استطاع الجنود البريطانيون السيطرة على الموقف، ولكن بعد أن قتل عدد من الطلبة وعامة الشعب».

والواقع أن سبب تلك المتاعب يرجع إلى الأوربيين من الطبقات الدنيا لأنهم يركبون رؤوسهم ويطلقون النار من النوافذ والشرفات على المتظاهرين، ويترتب على ذلك أن يعمد المتظاهرون إلى إشعال النيران فى المنازل وحرق سكانها.

وقد نجح المتظاهرون فى ذبح عدد من المدنيين الإنجليز والعسكريين الهنود بعد أن سدوا عليهم الطريق من الناحيتين، وأعتقل المتظاهرون مصريا يعمل فى قلم البوليس السياسى ثم قتلوه.

أما يوم الخميس ١٧ أبريل فكان يوما حالك السواد، إذ سدت الجماهير عدة شوارع فى المدينة، بينما جلس كبار العسكريين يبحثون عن أنجح الوسائل لتهدئة الموقف دون إراقة دماء، وعهد إلى بأن أنظم جنازة رجلى البوليس اللذين قتلا أمس، وفى الصباح وجدت الأمور تسير إلى أسوأ.. إذ حاصرت جماهير الشعب مستشفى الأوقاف القريب من عابدين حيث ترقد الجثتان، فإنهم مصممون على أخذ الجثتين لدفنهما، وإنهم بدأوا فعلا فى مهاجمة المستشفى، ويردف الجنرال رسل فى خطابه المذكور قائلاً: وقررت أن أتصل

بالعيادة العسكرية العليا أطلب عونها ولكن جرس التليفون دق وتحدث (الضابط) ضابط بوليس إلىّ فقال: إن عددا من الجنود وصلوا إلى المستشفى وقد أثار وجودهم ثائرة الشعب، فإن لم ينسحب الجنود فى الحال فستقع الكارثة.

ولم أر بدا والحالة كذلك من أن أغادر سيارتى وأذهب إلى المستشفى سيرا على الأقدام، وبدأت أتسلق سدا أقيم من جذوع الأشجار.. وأخذت أحاول تهدئة الثائرين، ولكن كان من العبث سماع تلك الجموع الصاخبة.

وأخيرا استقر رأيى فاتصلت بالقيادة العليا وأبلغتهم أنى سأتولى بنفسى الإشراف على جنازة رجلى البوليس وحذرتهم من إرسال جندى واحد وخرجت إلى الميدان فوجدت عدة ألاف من الناس كلهم مسلحون بالسكاكين والفئوس وأسياخ الحديد وجذوع الشجار.. ولكن لم أر بنادق ولا مسدسات.

وبعد دقائق وصلت فرقة من رجال البوليس ورجال المطافئ للاشتراك فى الجنازة، ووقفت فى الميادين بين الجماهير الصاخبة وأبلغتهم بأن الاحتفال بتشييع الجنازة يبدأ الآن وأنى سأسير معهم وأحافظ عليهم من الجنود الإنجليز.

ويكمل رسل باشا حديثه قائلا:

ومما يدعو إلى الدهشة (والإعجاب) أيضا أن تلك الجماهير التى كانت منذ لحظات صاخبة ثائرة أخذت تسير فى نظام عسكرى رائع وهدوء تام، ولست أدرى ماذا فعلوا بأسلحتهم .. وما إن فرغت الجنازة حتى انقلبت إلى مظاهرة سياسية طافت بالسفارات والمفوضات الأجنبية.

يوم من أيام القاهرة إبان ثورة ١٩١٩ التى كتب عنها المؤرخ عبد الرحمن الرافعى يقول: «إنها من مفاخر تاريخ مصر القومى، وإن ألمع صفحة بها هى صفحة أولئك الأبطال المغمورين، والشهداء المجهولين، والمعتقلين الذين قضوا السنين فى غيابات السجون»، وكانوا وراء استقلال مصر ونيلها حريتها.

الإسراف.. فى حياتنا..؟!

أسرفت مصر فدفعت حريتها ثمنا لذلك الإسراف، وأسرفت الصين فغربت شمس الحرية عن أرضها وتلبدت سماؤها بغيوم الإستعمار الذى أوقع إياها فى حبائل جيش من الأوبئة والأمراض – جرار، وحاربت (روسيا) الإسراف فانتقلت من مجموعة من ذوى الثياب المهلهة – كما عبر – لينين عام ١٩٢٤ إلى دولة ناجحة نحو غزو الفضاء. وحاربت (ألمانيا) الاسراف فهتف أبناؤها: «ألمانيا لنا اليوم» وغدا العالم كله»!.

فلا شئ يستذل الأفراد والأمم مثلما يفعل الإسراف ولا شئ يهدد الكرامة ويورث الندم مثلما يورث الإسراف.. فهنا تدوى الصيحة – لقد أسرفت – وهاهوذا الإسراف يضيعنى؟!

لذلك كان الإسراف مرضا يجب على الإنسان أن يحاربه محاربته للأمراض المستعصية المعروفة بمضاء سهمها.. بل يجب على المرء أن يعده وبالا، وداء.. لا دواء له، وليس منه شفاء..

ومخطئ من يظن أن الإسراف – رغبة – مقترنة بالثروة والغنى فقد يسرف المرء وهو «غنى» لديه من الأموال «ما يزيد» عن حاجته، وقد «يسرف» المرء وهو «معوز» إلى المال، مفتقرٌ إلى أقل القليل منه، وقد تسرف الأمة وهى ثرية غنية تكتظ خزانتها بأكداس مكدسة منه فى الحال وفى المآل، وقد تسرف الأمة وهى فقيرة، ليس لديها ما يكفيها أو يمسك رمقها ويهيئ لها أسباب الحياة.

مفارقة عجيبة؟.. وعجبها يزول بصحة الأدلة والبراهين، فأمريكا تسرف وفى حصيلتها ما يحفزها لهذا الإسراف، فهاهى ذى المعونة الأمريكية تبلغ فى إحدى السنوات القريبة مليارات الدولارات أنفقت على دول مختلفة لتعزز بها هاتيك الدول دفاعاتها فى مجابهة العدوان الشيوعى (المحتمل)!، أيام كان المد الشيوعى قد بلغ ذراه، ووصل إلى منتهاه. وقد جاءت الأنباء تخبرنا ذات يوم بعيد قريب أن المزارعين فى الولايات الأمريكية المتحدة قد أسرفوا فى زراعة القمح إلى الحد الذى دعا الحكومة لأن تعلن عن مكافأة لكل من يمتنع عن زراعة ذلك النبات الذى أصبح فائضه يزيد كثيرا على حاجة الشعب الأمريكى.

ومصر كانت تسرف وهى فى أمس الحاجة إلى المال، وتلجأ إلى غيرها طالبة النقود، والأموال!. ونستند فى كلامنا إلى فقرة جاءت فى خطاب الرئيس الراحل جمال عبد الناصر قال فيها: إن الحكومة المصرية قد شاركت الأفراد إسرافهم وتبذيرهم فأنفقت ما يقرب من سبعة ملايين من الجنيهات من «النقد الأجنبى» عام ١٩٥٧ من أجل نفقات سفر أفراد إلى الخارج لا من أجل شراء أشياء!.. وفى وقت كانت فيه مصر فى أمس الحاجة إلى المال الذى تنفقه لتحسين أحوالها؟!.

ومن قبل أسرفت فى عهد خديو مصر إسماعيل وخزانتها خاوية تشتكى من «الجدب» الذى أصابها و«الفقر» الذى ألم بها!. وسياسة الحبل على الغارب هى سياسة الإسراف! التى تولد السفه والاستهتار.. وقد ورد فى «الإنجيل»: «الشجرة الردية تصنع أثمارا ردية»..

والإسراف توأم، «التقتير»، وكلاهما توأم للشقاء الذى يجلب الأوصاب والأوضار – وكلاهما شر على صاحبة فى نهايته حسرة وإعوال، والله تعالى يقول فى كتابه الكريم: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾[سورة الإسراء: الآية ٢٩] – كما يقول – جل جلاله – فى صفات عباد الرحمن: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [سورة الفرقان: الآية ٦٧].

ونبادر إلى تصحيح ما قد يقر فى بعض الأذهان من معنى الإسراف فنقول: إن الإسراف إذا ذكر فلا يصح أن يؤخذ معناه، وأن يتجنب من ناحيته المادية التى تصافح العقول والأسماع أول ما تبدو، فإننا إذا عبنا مثلا على الرأسمالية سياستها الإسرافية أو ما يسمونه بـ Laissez passer Laissez faire التى هى حجر الزاوية فى النظام الرأسمالى. فإننا نقصد هنا بالإسراف معناه الواسع العريض من إقامة مصانع وإغلاقها.. ورفع أثمان وخفضها.. واختزان سلع وتوزيعها.. وكل ما تحفل به (الغابة الرأسمالية) الملتفة المتشابكة من إقدام وإحجام، وشائعات وحقائق.. «كما هو ثابت فى تحليل الفلسفة الرأسمالية. كذلك يجب أن يؤخذ معنى الإسراف فى حياتنا فنتجنبه من أصله ومنتهاه. نتجنب الإسراف فى «الإنفاق» لأنه كما ذكرنا توأم الشقاء، وإذا كان «هوراس» قد عبر عن وجهة نظر (روما) فى المال فى عهده بقوله: «إن المال يمنح القوة والسلطان» فإننا نقول: إن الإسراف يورث الضعف والضياع، وقد قال حكيم لأن أترك المال لأعدائى بعد موتى خير من أن أحتاج إلى أصدقائى فى حياتى.

تتجنب الإسراف فى (الكلام) والثرثرة التى لا تنفع أو تفيد، فهى مضيعة للوقت الذى لا طائل تحته، وكان «عمرو بن العاص»، يقول: الكلام كالدواء، إن أقللت منه نفع، وإن أكثرت منه قتل.

نتجنب الإسراف فى «التشاؤم» الذى يقعدنا عن العمل المثمر الفعال.. وقد صدق الإمام على بن أبى طالب فى حكمته: «الهم نصف الهرم».

ولمنتسكيو كلمة صائبة تقول: لو شاء الإنسان الاقتصار على إصابة الهناء لكان ذلك ميسورا له، ولكنه يبغى أن يكون أكثر هناء من سواه وهذا أمر شاق لأنه يتوهم أن سواه أعظم منه؟!.

نتجنب الإسراف فى «الضحك».. «فكثرته» كما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (تميت القلب)، وإذا مات القلب مات معه الإنسان.

تتجنب الإسراف فى «الطعام» الذى يتخم المعدة ويضر بالبدن..، وإن أبغضكم عند الله عز وجل يوم القيامة كل نؤوم، أكول، شروب.

تتجنب الإسراف فى السفاهة، فلا نكن كمن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء، ويجرى فى العمل مجرى السفهاء!.

نتجنب الإسراف فى حب الظهور، والتعالى الكاذب، والتفاخر المرذول، والتشدق العقيم!.

نتجنب الإسراف فى الجهل الذى ينزل بأدميتنا إلى مستوى الحيوان الذى يأكل من خشاش الأرض، فنوصم نفوسنا، ونعطل عقولنا، ونصبح كدابة تسعى دون فهم أو إدراك.

وخلاصة ما نرجوه هو أن نتجنب «الإسراف» بالمعنى الصحيح لكلمة «الإسراف».

القاضى الأول فى الجاهلية.. وفى الإسلام..

القضاء رسالة الأنبياء.. قال الله تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾ [سورة ص - الآية ٢٦].. ومن ثم جاء قول رسول الله بعد أن تبوأ القضاء فى الإسلام: «قاض فى الجنة.. وقاضيان فى النار» لعظم رسالة القاضى، وجلال رسالة القضاء، وتأثيرها على الناس أجمعين.

كان عليه الصلاة والسلام - وقبل تكليفه بالنبوة - (القاضى الأول فى الجاهلية)، ففى مسألة أبرم عقدها، وتعقد شأنها، ولم يكن لها من حل بين قبائل العرب إلا بسل السيوف وقرع الدفوف.. دفوف الحرب، حيث كان محلها البيت العتيق «أول بيت وضع للناس بمكة.. مباركا وهدى للمصلين» إذ كانت الكعبة - وستظل - موئل المسلمين وقبلتهم إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، وهل ينسى التاريخ (أبرهة) وما كان يريد أن يفعله بالكعبة المشرفة، من هدم لها وطمس لمعالمها، بيد أن الله قد حفظها، فما كان لأحد حتى ولو كان فى جبروت (أبرهة) أن ينال من بيت الله فقد أرسل الله عليه وعلى جيشه العرمرم.. «طيرا أبابيل» ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول.

فقد تحالف بنو عبد الدار، «وبنو عدى» على أن يحولا بين أية قبيلة تطمع أو تطمح فى أن تنال شرف وضع الحجر الأسود فى مكانه بالكعبة المشرفة إذ أقسموا يمينا على ذلك، حتى قيل إن عبد الدار قد وضعوا أيديهم فى قربة مملوءة بالدم وغمسوا أيديهم فيه لكى يبرهنوا على صدق حلفهم وتأكيد إيمانهم فى منع من يراوده عقله - على ذلك، ومن ثم أطلق على عبد الدار (لعقة الدم)، وإذ رأى «ابن المغيرة» ما آل إليه حال قومه، وقد تجمعت نذر الحرب وظللتهم سحابة سوداء «وغشيهم موج كالظُلل»، وأوشكوا على أن يتقاتلوا فيما بينهم، ولسان حالهم يقول: «نرى خلل الرماد وميض نار.. ويوشك أن يكون له ضرام».

أبصر ابن المغيرة «محمدا» وهو يدخل من باب الصفا أحد أبواب الكعبة، وكان ابن المغيرة قد دعاهم إلى الإحتكام إلى أول من يلج أبوابها، ليكون حكما فيما شجر بينهم، واختلفوا فيه، فما كان من قومه بعد أن رأوه حتى هللوا مكبرين.. محمد الأمين، وارتضوه حكما وقاضيا لهم، فما كان من محمد إلا أن قال لهم «هلُمَّ إلىَّ بثوب»، ثم نشره ورفع

الحجر الأسود ووضعه بيديه فى المكان الذى خصص له ثم دعا كل كبير من القبائل المتنافرة وطلب إليهم أن يأخذ كل منهم أحد أطراف الثوب فحملوه جميعا ثم تناوله محمد صلى الله عليه وسلم ووضعه فى موضعه.

انحسم الخلاف وانطفأت نار العداوة والبغضاء بعد أن كاد أن يخيم عليهم الإدجاء، ونامت الفتنة فى مهدها، وزالت الغمة فى إبانها، بحكم محمد (وبعدل قضائه) الذى فطر عليه بنعمة من الله سبحانه وتعالى.

كما كان محمد عليه الصلاة والسلام قاضيا عدلا عدولا بعد تكليفه بالرسالة، فقد أمره الله تعالى بالفصل فى المنازعات التى يشتجر فيها الخلف والخلاف بين الناس زرافات ووحدانا. قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [سورة النساء – الآية ٦٥]، كما قال سبحانه: ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [سورة المائدة – الآية ٤٨]، فكان الرسول – بهذه المثابة – القاضى الأول فى الإسلام قبل أن يرسل خلفاءه الراشدين للقضاء بين المسلمين.. بل وبين غيرهم، هو عليه الصلاة والسلام صاحب الحديث الشريف لرجلين تنازعا فإحتكما إليه فقال لهما: «لعل أحدكما أن يكون ألحن بحجته من الآخر، فمن حكمت له بغير حقه فإنما أقطع له قطعة من النار».

كما كان عليه الصلاة والسلام هو القائل: «إذا جلس القاضى للحكم بعث الله إليه ملكين يسددانه، فإن عدل أقاما، وإن جار عرجا وتركاه»..

وبعدل الرسول الحكيم، (وبعدل قضائه)، ودقة أحكامه، بزغ نور الإسلام بين أرجاء الأرض، وبعد أن أتم «محمد» رسالته، وخطب فى المسلمين خطبة الوداع، مات النبى بعد أن اختار الله هذا – الطفل اليتيم – والذى أوصى بكل يتيم فقال: «خير البيوت عند الله بيت فيه يتيم مكرم»، بأن يكون حكما وقاضيا بين الناس، بعد أن وأد الإلحاد وحطم الأوثان وأصبح الإسلام كامل البنيان، و «كان الله» وكما يقول الكاتب الإنجليزى «لويل توماس».. قد اختاره ليعيد به تاريخ العالم فمحا به دولة الشرك والطغيان، وكان هو أول من وحد قبائل العرب فى تلك الجزيرة الغارقة فى الوثنية التى امتلأت فجاج الأرض منها بأصنام ما أنزل الله بها من سلطان، يقدسونها، ويعبدونها كما كان يفعل قوم نبى الله «إبراهيم» عليه السلام، وأول من ألف قلوب شعوبها المتقاتلة بعد أن كان الكفر يخيم عليهم لجة بعد لجة، عمت الغبراء وماجت بها البيداء، فجمع كلماتها تحت راية واحدة..

ليس باستعمال القوة بل بكلام عذب حكيم أخذ منهم كل مأخذ فأحبوه ووقروه، واتبعوه، وآمنوا به.. وقد فاق «فتى مكة» (بعدله) جميع الرسل بصفات لم تكن معروفة لدى العرب، فجمع بين قلوب المتخاصمين، الذين امتلأت سويداء قلب كل واحد منهم بالغل والحقد والكفر بالله والزيغ عن الحق والعدوان على الآخرين.

مات النبى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتدفقت موجة فتوحات الإسلام فاجتازت الصحارى ودخلت المدن التى ذكر فيها اسم الله بالإصباح والإمساء، وذلك لتجعل ذكره ذكرا أبديا سرمديا لذلك الرسول العظيم الذى أنتجته وأنبتته صحراء جرداء «لا زرع فيها ولا ضرع ولا حياة ولانماء»، فأثمر ثمرا – كما عبر أحد المستشرقين، لم يحلم به العالم من قبل وإمتدت هذه الموجة فعمت أسيا وأفريقيا إلى أن استولت على عواصم أوروبا.. تلك الموجة التى لم تلحق بها موجة الرومان فى إبان مجدهم وعظمة عهدهم – كما ذكر المستشرق الإنجليزى سالف الذكر، إذ قدم العرب للعالم برمته أنبغ رجالات الإسلام وأكثرهم ثقافة ومعرفة، وانتشر الإسلام حتى عم الكون وأشرقت الأرض – برسالته – بنور ربها.

وها هوذا «مايكل هارت» فى كتابه «الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله» – والذى ترجمه المرحوم الأستاذ الأديب «أنيس منصور»، يذكر بين دفتى كتابه هذا: أن الرسول محمدا قد نجح فى رسالته نجاحا لا يدانيه أى مصلح أخر فى التاريخ كله، فقد خاطب العرب على قدر عقولهم ولجأ إلى أخيلتهم وخيالهم، وإلى مخاوفهم، وآمالهم حيث كانت بلادهم يسكنها قبائل من عبدة الأوثان الذين خيم ظلام الجهل على عقولهم وران على قلوبهم، فكبح كباح ذلك الجهل، وأقام فوق اليهودية والمسيحية، ودين بلاده القديم دينا سهلا واضحا قويا، وصرحا خلقيا قوامه البساطة والعزة وانتصر فى مائة معركة فى جيل واحد، وفى قرن واحد استطاع أن ينشئ دولة عظيمة « تحدث بها الركبان وأشير إليها بالبنان.

يقول البروفيسور «سميث»: «إننى أجد محمدا أقدس الناس وأعلاهم مرتبة حتى إن الإنسانية لم تعرف له مثيلا»، أما الدكتور «لينز» فقد قال: «رسالة محمد هى إلهام نفسه.. وإننى لأجرؤ بكل أدب أن أقول: إن الله هو مصدر الخير والبركات .. فدين محمد هو دين الوحى».

كما يقول الكاتب الإنجليزى الأشهر «برنارد شو»: «إن محمد لو كان حيا لحل مشاكل العالم فى برهة قصيرة، ولجعل السلام يستتب على وجه الأرض».

ويقول السير «توماس أرنولد» فى كتابه (الدعوة إلى الإسلام): «لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام أو عن أى اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحى».

إن عدل الرسول الذى انداح على العالمين، كان مصداقا لقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة المائدة - الآية ٨].

صدقت يا من قلت: إن رسالة الرسول العادلة والتى جاءت من الحق وتدعو إلى الحق قد سعدت بها الأزمان.. واغترف من شذا عبيرها الأكوان.. وأشرق بها الإيمان.. فقد صان محمد عليه الصلاة والسلام، «المنان».. وأتم حسن صفاته «الرحمن».

❑❑❑

الأعياد.. والعباد..

يقول صاحب كتاب «أشتات مجتمعات فى اللغة والأدب» الأعياد من المراسم المرعية فى جميع الأعياد الكبرى. لأن الاشتراك فى الاحتفال بوقت من الأوقات يرعاه المتدينون جميعا هو بعض المعالم العامة التى لا غنى عنها فى كل عقيدة تدين بها الجماعة وتتعارف على شعائرها.

فالأعياد اليهودية كلها لا تزال على صبغتها الأولى من مراسم الاحتفال بمواقيت الزرع والحصاد، وهى بأسمائها فى العهد القديم تشير إلى موعد الحصاد، وموعد الجمع، وقرابين البواكير من الثمرات والأنعام.

والعيدان المسيحيان يوافقان موعد انتقال الشمس فى الشتاء وموعد انتقالها فى الربيع، وقد كان آباء الكنيسة الأولون يقيمون الاحتفال بالعيدين فى هذين الموعدين ليصرفوا جمهرة الناس عن تقاليد عبادة الشمس إلى تقاليد العبادة المسيحية.

وجاء العيدان الإسلاميين – عيد الفطر، وعيد الأضحى المبارك – ليكونان فرحة للمسلمين أولهما عقب صيام رمضان والثانى لزيارة بيت الله ونحر الذبائح. فلعل المسلمين يتعلمون، ولا شك أن جلهم كذلك يتعلمون «من الأضحية.. معنى التضحية».

والأعياد أشبه بواحة تستظل بها الشعوب فى صحراء حياتها.. ومن هنا راحت الدول تتفنن فى خلق أعياد جديدة.. تبعث النشاط فى أوصال شعوبها، وتجدد حيويتها وطاقاتها..

فى جنيف مثلا.. يحتفلون بعيد جنيف! وفى لوزان بعيد قطف العنب.. وفى كوبنهاجن يحتفلون بنهاية الصيف! وفى ميونيخ بعيد البيرة.. وفى هامبورج عيد الضيوف، وفى ويسلدورف عيد الحب، وفى فرانكفورت عيد السيارات، وفى بون عيد الجمهورية. وفى أمريكا عيد الشكر!

وهناك العشرات من الأعياد الأخرى.. مثل عيد انتهاء الحرب.. وعيد الشهداء وغيرها!.

وليست هذه الأعياد من قبل اللهو والعبث.. فشعب ألمانيا وهو من أكثر شعوب العالم نشاطا وحرصا على الوقت.. يحتفل كل عام بأعياد لا مثيل لها فى أى بلد آخر.

لـــاذا لا نزيد من أعيادنا، فنجعل عيدا خاصا لـــكل مدينة.. وكل قرية.. فتكون هناك أعيادا للقطن، والقمح، والأرز، والموسيقى.. وغيرها ؟!.

إننا بهذا نبعث فى الشـــعب روحا جديدة من النشـــاط، والمرح تمسح عن جبينه مسحة حزن رانت عليه طويلا.. فجعلته بعيدا كل بهجة مزورا عن كل عيد!.

❑❑❑

obeikandl.com

الافتئات على الحق.. وعلى عظمة الرجال..

كنا ثلاثة «المستشار محمد عطية إسماعيل نائب عام مصر ووكيل نادى القضاة»، والوالد «المستشار محمد مرشدى بركات رئيس الاستئناف»، وأمين عام النادى وكاتب هذه السطور وأما المكان فميدان عابدين أمام القصر الملكى القابع هناك فى غضون شهر شهر ديسمبر سنة ١٩٥٩ وأمام حشد حاشد كان المتحدث الرئيس «جمال عبد الناصر» يخطب أمام الحاضرين فقال – ضمن ما قال – لقد أصبحنا الآن دولة كبيرة.. وأضحينا نصنع من الإبرة إلى الصاروخ، كنا فى الماضى عندما كنا نقدم على عمل شئ يقال لنا «سعد زغلول قال مفيش فايدة» وأردف الرئيس قائلا: دى شعارات رجعية.. دى شعارات إنهزامية.

وقد دأب البعض من طلاب القوت ومن مزورى التاريخ والذين يقتاتون على جميع الموائد على مهاجمة «الزعيم سعد زغلول» قائد ثورة ١٩١٩ هجوما شرسا لاهوادة فيه حتى إن الميثاق الذى ألفوه ورد به: «عبارة وركب سعد زغلول قمة الموجة الثورية يقود النضال الوطنى» إلى آخر ما جاء به.. أرادوا بذلك أن يزعموا أن سعدا كان انتهازيا واستغل الثورة فركب موجتها؟!

كنت أعلم – سلفا – أن الزعيم سعد زغلول قد فاه بهذه العبارة وقبل أن تصعد روحه إلى بارئها بثوان معدودات إذ أن أم المصريين «صفية زغلول» وهى تشد على يده مواسية إياه فى مرضيه الشديد قال لها سعد: «ياصفية.. مفيش فايدة.. أنا انتهيت».

فما كان منى إلا أن حررت خطابا لأستاذنا العقاد قلت فيه:

«كثر القيل والقال عن سيرة زعيم من أكبر زعماء مصر كان له فضل كبير .. وهو سعد زغلول».

وإليكم ما استطعت أن أجمع من هذه التهم التى ألصقت بذلك الرجل العظيم، راجيا أن تضعوا لها النقط فوق الحروف لأنكم إذا فعلتم – وستفعلون – أحسنتم إلى سعد فى مماته كما أحسنتم له فى حياته، وهاك هى:

١ – أنه كان صديقا للاحتلال وقد ذكر ذلك شارلز آدمس فى كتابه عن الإسلام والتجديد.

٢ – أنه اختير لتقلد نظارة المعارف سنة ١٩٠٦ ليقضى على روح الثورة التى نشرها مصطفى كامل.

٣ – أنه كان حاد الطباع أنانيا ضيق الصدر بالمعارضة أيا كان فى البرلمان أو فى الصحف..

٤ – أنه كان يجرى فى ركاب كرومر وملنر وأنه رحب بالمشروع الملنرى.

٥ – أنه بحديثه مع السير ونجت البريطانى فى ١٣ نوفمبر قد وصم نفسه بوصمة لاتشرفه ولا تشرف مؤرخيه.

٦ – أنه صاحب كلمة «مفيش فايدة» ولا نعرف المناسبة التى قيلت فيها هذه الكلمة وما كان يصح أن تصدر منه هذه الكلمة وهو زعيم الأمة وقائدها.

٧ – وأخيرا وليس آخرا أنه كان يغار من المرحوم إسماعيل صدقى وأن المرحوم عبد العزيز فهمى ذكر ذلك فى معرض حديث له عن ثورة ١٩١٩ وقال: «لقد فشلت ثورتنا بسبب ذكاء إسماعيل صدقى فقد حقد عليه سعد لذكائه وأقصاه عن الوفد ومن هنا تفرقت الكلمة.. إلخ».

ونذكر فى هذا الخصوص أن الأستاذ «أحمد لطفى السيد» حكى فى مذكراته أن عبد العزيز فهمى ما يكاد أن يسمع اسم سعد زغلول إلا وينتفض انتفاضا ويرغى ويزبد لكراهته الشديدة الغير مسبوقة للزعيم سعد زغلول.

تفضل أستاذنا العقاد فأجاب على خطابى فى يوميات الأخبار بتاريخ ٥/ ١/ ١٩٥٩ فقال:

هذه خلاصة الخطاب الذى يحق الإشارة إليه لأنه مثال لما يقال عن عظمائنا فى أكثر الإحيان بغير دليل يكفى لإدانة متهم فى قضية مخالفة، فضلا عن الزعماء الذين يناضلون عن قضايا البلاد، ويجب قبل الإتهام أن نسأل المدعى عن دليله ولا نسأل الزعيم المتهم أن يبرئ نفسه من دعوى لا دليل عليها.

أما الثابت بجميع الأدلة فهو:

أولا: أن سعدا قد وقع عليه الإختيار فى الوزارة عندما أضطر الإنجليز إلى الإذعان للحركة الوطنية، قبل عزل كرومر بسنة واحدة.

ثانيا: أن الاحتلال نفى سعدا مرتين وأسقط وزارته بإنذار عنيف ومنع تأليف وزارته الثانية بعد نجاحه فى الإنتخابات بإنذار أعنف منه وأشد وعيدا للدولة ومن يتولاها.

ثالثا: أن سعدا رفض مشروع ملنر ولولا رفضه إياه لتم تنفيذه عند صدوره.

رابعا: أن محاضر المجلسين موجودة وفيها مشروعات كان فيها الرأى مختلفا بين سعد رئيس الوزارة وبين أعضاء حزبه، وهم الكثرة الغالبة فى المجلسين.

خامسا: أن المتهمين لسعد هم الذين كانوا يدخلون الوظائف بعد إسقاط الوزارات الدستورية.

سادسا: أن خروج إسماعيل صدقى من الوفد إنما كان بإتفاق جميع أعضائه لم يعترض واحد منهم عليه كما هو ثابت من محاضر جلساته.

وهذه هى الوقائع التى لا تنكر ولا يجسر أحد على إنكارها، وليس علينا نحن أنصار سعد فى حركته الوطنية أن ندفع عنه الأوهام والخزعبلات من أمثال «مفيش فايدة».. «ووصمة لا تشرفه».. وأشباه ذلك من المختلقات والمخترعات، وإنما المتهمون للرجل العظيم هم المطالبون على الأقل بشئ واحد، وهو تفسير عداوة المحتلين له وإصرارهم على إسناد الوزارة لغيره بعد الانتخابات البرلمانية، ووقوفهم منه موقف العداء حتى فى عهد الجمعية التشريعية كما ظهر فى مسألة الوكيلين، وحتى فى وزارة الحقانية قبل الثورة كما ظهر من الأزمة بينه وبنى لورد كتشنر باعتراف دائرة المعارف البريطانية.

إن التهم لرخيصة جدا إذا كان من اليسير بذلها بهذه السهولة، وإن المجد الوطنى لأرخص من التهم إذا بقى أو زال على هذا المنوال، بأمثال ذلك القيل والقال.

❑❑❑

الاهتمام بقواعد اللغة العربية..

لامراء أن الغلو فى تبسيط قواعد اللغة العربية – كما يدعو البعض ـ مجلبة إلى تشويه اللغة العربية ذاتها فالقواعد هى الأساس الصالح الذى يجب أن تؤسس عليه الأداب.

ولقد كان الاهتمام بالقواعد اللغوية حجر الزاوية وقطب الرحى الذى قام عليه ازدهار اللغات فى كل عصر من عصور التاريخ.

ففى الهند قام العلماء اللغويون وفى مقدمتهم «بانينى» من علماء القرن الرابع قبل المسيح بأبحاث جد هامة فى قواعد اللغة الهندية كانت لها أثارها فى تقدم اللغة فى البلاد.

وفى اليونان نرى أن أفلاطون قد أعطى دراسة أصول الكلمات وصيغتها وقتا ثمينا لم يدخر فيه وسعا – وكذلك فعل أرسطو – فى تركيز القواعد وصياغتها صياغة سليمة.

وجاءت مدرسة الإسكندرية فدرس العلماء شعر هوميروس مستظلين بقواعد اللغة، وحذا حذوهم الرومان وعلى هذا النحو فى الاهتمام بقواعد اللغة جرى علماء الكوفة والبصرة وفعل علماء أوربا كما عبر الأديب عادل الغضبان.

حبذا إذن لو وجهنا جل اهتمامنا إلى دراسة قواعد لغتنا فى مدارسنا وجامعاتنا لنقضى على هذا الجهل العلمى الذى استشرى فى العقول والأذهان والذى جعل من الفاعل مفعولا ومن المفعول فاعلا هكذا دون خجل أو حياء مما يهدد لغتنا بأوخم العواقب وأشد الأضرار..

❑❑❑

الدفـــاع عن: كرامة القضـــاء..

من الذكريات الجملية التى يشرفنى أن أعيد نشرها بما يرفع رأسى عالياً. بل ورأس أى قاض، ما دبجته يراعة المرحوم والدى رجل القضاء الذى كان نبراسه العدل وديدنه الحفاظ على كرامة القضاة من أن يمسها وضر، حتى لو صدر هذا الوضر من رئيس الجمهورية.

كتب الأستاذ «أحمد الصاوى محمد» فى جريدة الأخبار:

قـــال الرئيـــس «جمال عبد الناصر» لمؤتمـــر الصحافة العالمى الذى شـــهدناه يوم الثلاثاء الماضى: إن حرية التعبير بالنسبة للصحافة هى حرية كاملة، وهاهوذا الأخ الأستاذ الكبير محمد مرشدى بركات المستشار بمحكمة استئناف الإسكندرية يسجل بوضوح ودقة وكياسة خواطره حول الجهة التى يحلف أمامها رجال القضاء اليمين قبل مباشرة وظائفهم:

تجاوبـــت النفس مع مـــا أفصح عنه الميثاق من أن الفكرة تتألق بالكلمة المكتوبة إرســـاء لحق النقد فجرى القلم بما جال فى خاطرى حول الجهة التى يحلف أمامها رجال القضاء يمينا بأن يحكموا بين الناس بالعدل وأن يحترموا قوانين البلاد، وذلك بعد أن تغيرت هذه الجهة من بين يدى السيد رئيس الجمهورية إلى السيد وزير العدل بموجب التعديل الأخير لقانون السلطة القضائية.

يســـرنى أن أشـــير بادئ ذى بدء إلى أن أداء هذه اليمين سُنة حسنة وهى لازمة للقاضى بحكـــم القانون ومـــن أول واجباته، وإلا كانـــت أحكامه دون أدائها باطلـــة وقد قصد بها المصلحة العامة من تهيئة القاضى لاســـتقبال عمله الجديد فى اشـــراق نفسى وينأى به عن أى عمل ســـابق حتى لو كان عضوا فى النيابة العامة لاختلاف طبيعة العملين، وهى بعد تشعر القاضى والناس كافة بخطر رسالته.. وحسبك أن قوامها سيادة القانون، وبالتالى فهى توطن ســـيادة الدولة بإرســـاء قواعد العدالة والأمن فى ربوعها.. فهذه اليمين – وهى على ما عليه من هذا الخطر – لا يمكن أن تعتبر مجرد مســـألة شـــكلية هينة يكفى لانعقادها أن تؤدى أمام أى ممثل للســـلطة التنفيذية بل هى أجـــل من هذا وأعظم إذ فى انعقادها غطاء لصلاحية القاضى وأهليته، ومن ثم فهى لاصقة بصفته مما لا يجوز معه أن تنعقد إلا أمام من يمثل هذه الصفة وهم ممثلو السلطة القضائية.

نقول هذا بمناسبة التعديل الجديد الذى حوته المادة ٧٦ من القانون رقم ٧٤ لسنة ١٩٦٣ خاصـا بالجهـة التى يحلف أمامها رجال القضاء قبل مباشـرة أعمالهم بما من مقتضاه أن يؤدى هذه اليمين رئيس محكمة النقض ونوابه ورؤسـاء محاكم الاستئناف أمام وزير العدل (بعد أن كانوا يحلفون طبقا للنص القديم بين يدى رئيس الجمهورية) مع إبقاء النص القديم على ما كان عليه فيما يختص بالمستشارين فيحلفون أمام إحدى دوائر النقض ومن عداهم من رجال القضاء أمام إحدى دوائر الإستئناف.

لا ريب أن حكمة هذا التعديل معروفة لاستغراق وقت السيد رئيس الجمهورية بالشئون الداخلية الكبرى والمسائل الخارجية والعالمية، وضنا بما يخشى معه بحكم إصرار الظروف من احتمال تعويق رجال القضاء بعض الوقت عن مباشـرة أعمالهم، وما من أحد إلا ويؤمن معى بهذه الظروف التى دعت إلى هذا التعديل، وغيرة المشـرع لا شك ظاهرة إذ كان هدفه المحافظة على استمرار دولاب العمل القضائى فى دورانه.

بيـد أنـى مع ما تقدم كنت ما زلـت أؤثر أن يبقى النص القديم علـى حاله ولو قصرا علـى رئيس محكمة النقض وحده إبقاء على هذا التقليد الحميد سـيما أنه فى درجة وزير أسـوة بباقى وزراء الدولة يؤيد هذا النظر أن الولايات المتحدة فى أمريكا تسبغ على رئيس المحكمة العليا فى مثل هذا الصدد فوق ما هو فى الحسبان.

علـى أنه من جانب آخر إن تكن الظـروف التى أوصت بذلك التعديل لا محيص منها فالـرأى عندى أنه يجب تعديل النص من جديد إلى أن يحلف رئيس النقض أمام الجمعية العمومية لمحكمة النقض، كذلك سائر رجال القضاء كل أمام جمعيته العمومية باعتبار أنها صاحبة الحق الأصيل والممثلة للسلطة القضائية.

وهذا التعديل أخلق به أن يتسق مع ما يجب أن يتوافر لسلطة القضاء من بقائها منفصلة عن غيرها من السـلطات مسـتقلة فى حدود وظيفتها. الأمر الذى حرصت الدسـاتير على النص عليه، ذلك أن وزير العدل وإن كان له حق الإشراف على سير القضاء، وتنظيم أعماله فإنـه ليس له اختصاص القاضى، ومـن ثم فإن فى حلف اليمين أمامه خروجا على طبائع الأشياء ومعنى التبعية، وليس فى هذا الفهم غرابة. فقد أقرته المادة سالفة الذكر فى شقها الثانى حينما جعلت المستشارين وسائر رجال القضاء يحلفون أمام درجة أعلى.. بل إن فيه خروجـا عن مألوف العرف والتقاليد وفن التشـريع، وإلا فكيف يحلف وزير أمام وزير؟.. ويزيد من وقعه على النفس أن كان ذلك الوزير رئيسـا لإحدى سلطات الدولة الثلاث التى لها خطرها وجلالها، وكان مؤدى هذا الحلف إيذانا له بمباشرة مهام وظيفته السامية.

الرحالة العظيم..

أجْدت عليه مجدا كما عبر فيلسوف الجيل «أحمد لطفى السيد». وخلعت عليه فخرا، وسجلت اسمه بين الرحالة العظام.

فليس هناك من العلماء كما عبر – معلم الجيل – منذ عصر نبلاء «فيلى» فى القرن الخامس والثلاثين قبل الميلاد، مثلما أضاف هو. آب من رحلته فى جوف الصحراء هذه الرحلة التى اكتنفتها الأخطار وعرضته مرات ومرات إلى الموت الزؤوام، وكبدته المشاق والأهوال، عاد منها بأرصاد فلكية واكتشافات جيولوجية، قال عنها البرفسور «مول» إن رحلة «أحمد حسنين بك» هى فوز كاد يكون فريدا فى تاريخ الاستكشافات الجغرافية، كما إنها أضافت الكثير إلى العلوم الجيولوجية ومهدت السبيل إلى الوصول إلى نتائج علمية عن المنطقة شديدة الوعورة التى جاس خلالها واخترق بشجاعة تحسب له مجاهلها.

عقب رحلته الأولى إلى قلب الصحراء نذر «أحمد حسين» نذرا – بأنه إن ضل طريقه وسط هذه الصحراء القاحلة، ومفازة المهلكة، ألا يعود مرة أخرى إليها وما أن مر عامان على رحلته الأولى حتى ألفى نفسه، وقد قذف بها فى «ذات الصحراء»، وفى «عين البقعة» التى غاب فيها الطريق عنه، بل وأمام ذات البئر التى ارتوى منها بعد عطش شديد استبد به، وكاد أن يزهق روحه هو ومن كان معه فى القافلة، فكتب الله له، ولهم النجاة.

يقول «أحمد حسنين» فيما خطه عن رحلته: قد يكون للصحراء مشاقها ومتاعبها بيد أن لها أيضا جمالها ووحشتها التى تستهوى عشاقها والمتيمين بها فتجذبهم إليها.

افتتن بالصحراء كل من جاب ثراها، وشدته عظمتها المتمثلة فى فضائها الواسع العريض، وسكونها الموحش العميق، وحياة التنقل بين ربوعها المحفوفة دائما بالمخاطر يحيط بها الموت فى كل لحظة.. تبتسم الصحراء فما أحلى ابتسامتها، وتعبس فما أقسى عبوسها، تتلألأ نجومها فى الليل فتستهوى عابر قفارها، ويتحكم قضاؤها فى القلب فتوقعه فى أسرها فيسير مغتبط النفس – بين دروبها – هانيها، سير المؤتنس بها، المولع بجمالها، المفتون بعشقها، ولكنها كالغانيات شيمتها الغدر. فلقد تريك بعد تمام الرضا غاية الغضب ونهاية القساوة.

الصحـــراء ســـاحرة جذابة. إذا عرفتها تعلقت بها نفســك أبد الدهــر، ولكن ليس من الســـهل أن تدرك ســـر سحرها، ولا ســـبب خلابتها. بل كل ما تعرفه أنها تناديك، فينفذ نداؤها إلى صميم قلبك، وتدعوك فلا تلبث أن تشد الرحال إليها صاغرا.. يسوقك الحنين، وتدفعك الذكرى.

يســـير رفقاؤك فى هدوء وســـكون وقد خفتت أصواتهم، وانعدمـــت فيهم رغبة التغنى. قلص وجوهم الجهد. وحالت إلى لون الدم عيونهم تبعث نظرة شاردة حائرة ملؤها اليأس، تســـتطلع الأفق وتســـتبين ذلك الخط الذى تلتقى عنده زرقة السماء بصفرة الرمال. فإذا به دائما باهت بعيد.

السكون شامل لا تصدعه إلا خضخضة النزر اليسير الباقى من الماء فى القرب المتهدلة على جوانب الإبل.

إننـــا فى الصحراء لانتحدث كثـــيرا. فالصحراء تعلم الســـكوت. وإذا أحدق بنا الخطر تحاشينا النظر بعضنا إلى بعض وغُنينا عن الحديث.

وما يجدى الكلام!؟.

كل منـــا يعرف ماهو واقـــع. وكل منا يحتمله بصبر وجلـــد إذ التضجر ضرب من اللوم علـــى «الله» القديـــر.. وهذه معصية لا يقدم عليها بدوى قط. ففى عقيدته أن الله كتب عليه هذه الحياة، وقدر عليه سلوك هذه الطريق، وقد تقوده إلى الموت الذى اختاره له. فلابد له مـــن الرضاء به. والبدوى يقـــول: لا مفر مما كتبه الله ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [سورة النساء – الآية ٧٨]

فى مثل هذه الساعات، تقطع على نفسك المواثيق والعهود أن لاتعود إلى الصحراء قاطبة إذا خرجت منها حيا.

ثم ينتهى عمل اليوم وتحط الرحال ولا تنصب الخيام لأن الرجال مجهدون غافلون عن التفكير فى أجسامهم.

وكأنما الشـــمس قد نالها ما نالنا من تعب، وكأنما النهار الذى قطعته وإيانا فى نضال الصحراء قد أســـفر عن انهزامها كما أســـفر عن انهزامنا ، وكأنما صراع الصحراء قد أدمى وجهها؛ فإذا قرصها المهزول يرســـل أشعة حمراء ضعيفة كأنها خيوط الدم. وكأنما الشمس قـــد عمدت مثلنـــا إلى الإنزواء تضمد ثخين جروحها، وتجدد منهوك قواها حتى إذا تم لها

ذلـك، عادت وعدنا فـي نورها إلى مصارعة الصحراء، ولكن الصحراء لا تلبث أن تصرعها وتصرعنا.. قصة كل يوم.

ثم يهبط الظلام شـيئا فشـيئا، تطارد طلائعه فلول النور، ويسـجو الليل زاهر النجوم أو وضاح البدر، وربما كان ليل الصحراء أعجب نواحى الحياة فيها.

يسـرى نسـيم الليل عليلا فينعش أرواح القافلة فنحاول أن نطرب وأن نبعث فى ظلام حيرتنا ومتاعبنا نورا.. إنه حب الصحراء.. حب رجل شـديد الوله بغادة فاتنة سـاحرة ولكنها قاسية جافة.

بدأ أحمد حسـنين رحلته فى عام ١٩٢٣ من السـلوم على شـاطئ البحر المتوسـط إلى مدينة الأبيض عاصمة مديرية كردفان بالسودان، وهى مسافة قدرها ثلاثة آلاف وخمسمائة كيلـو متر، على ظهور الأبل. ووفق فيها إلى العثور على واحتين مجهولتين هما (أركتو) و (العوينات)، وكان همه بعد أن يجوب الصحراء الليبية أن يصل إلى (الكفرة) وهى مجموعة مـن الواحـات فى صحراء ليبيا لم يزرها قبله إلا مستكشـف واحد هـو الألمانى «رولفس» سنة ١٨٧٩، ولكنه لم يخرج منها إلا بحياته.

كمـا قطع الطريق إلى «جغبوب» ثم إلى «الفوراية» ومـن بعدها «جالو» فى نفس الطريق الذى قطعه «رولفس» عام ١٨٧٩ ففتح أمام المستكشـفين منطقة عظيمة، كانت من مجاهل الأرض. و «جغبوب» هذه قد تنازلت مصر عنها فى ديسـمبر ١٩٢٥ بعد أن عقدت وزارة «أحمد زيور باشـا» اتفاقية خاسـرة على حد تعبير الدكتور «شـوقى ضيـف»، بإملاء من الإنجليز كى تضمها إيطاليا إلى مسـتعمراتها (ليبيا) وأثارت جل المصريين على هذه الفعلة النكراء.

وقد ارتدى «أحمد حسنين» الزى البدوى كما فعل «Glaser» فى رحلته التى قام بها فى سنة ١٨٨٧ – ١٨٨٨ قاصدا مأرب عاصمة سبأ القديمة ولكى يصل إلى هذه المناطق الخطرة إرتدى زى فقيه وسار مع من كان فى معيته من أهل البلاد إلى غايته.

لقد فجرت الصحراء ينبوع الأدب فى عقل «أحمد حسنين»، ولعمرى، فإننى وقد قرأت واسـتمتعت بهـذه النتف الأدبية الرائعـة فى كتابه «فى صحراء ليبيـا»، فلم أر ما رأيت فيـه مـن ملحة أدبية وتحفة فنية تنطـق من فرط جمالها، فى مثلها مـن كتب الرحالة. وما أكثرهـا، وما أمتعهـا، ولكنها تتوارى خجلا أمام ما خطه يراع «أحمد حسـنين» فى رحلته هذه.

وقد عبر أمير الشعراء شديد إعجابه بهذه الرحلة الغير مسبوقة فقال:

هـــذا الكتـاب رواية عن رحلـــة فى التيه أو عن نزهـة فى الغاب
صحراء فى طول الظنون وعرضها تطوى وتنشر فـى فصـول كتـاب

لقد كان «أحمد حســنين باشا» رجلا فذا ملء السمع والبصر.. سياسيا ذكيا أديبا لبيبا تمشــى السياسة فى رَكبه.. عشــق الصحراء فعشــقته، وأحبها فأحبته، وفتحت له باب كنوزها، ولكن ليس كما أحبته ملكة مصر «نازلى»، وهامت به.. فضيعته؟!.

ومن أســف أن حياة هذا الرحالة العظيم قد انتهت بمأســاة خلال قيادته لسيارته فوق كوبرى قصر النيل فدهمته سيارة إنجليزية فأودت بحياته.

رحمه الله رحمة واسعة..

❑❑❑

obeikandl.com

الرسول.. وتعدد الزوجات

بادئ ذى بدء لنا تعليق على هذا المقال الذى كتبه والدى فى ستينيات القرن الماضى يتحصل فى أن بعض المستشرقين وبدافع من الجهل الذى تردوا فيه، إذ لم يكلفوا أنفسهم الفهم الصحيح الدقيق لما يقرأون من آيات كتاب الله، فوصموا أنفسهم بوصمة الغباء اللغوى فضلا عن سقم الفهم، وعلى سبيل المثال فقد ترجم أحدهم الآية الكريمة: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾﴾ [سورة النبأ – الآية ١٠] ففسرها بجهله أن الله قد جعل الليل.. «كلوتا»؟!!.

وبغريزة الجهل هذه المتأصلة فى بعضهم ترجم كلمة (حافين) التى جاءت فى الآية الكريمة «وترى الملائكة حافين حول العرش» إلى (حافيين) أى حفاة؟!!.

قال الوالد – رحمه الله – فى مقاله هذا:

١ – خلوت إلى نفسى أفكر فيما كتبه بعض كتاب الغرب بشأن صلة الرسول (صلى عليه وسلم) بالمرأة وكيف تعددت فى حياته، وفيما أثاروه حول زواجه من زينب بنت جحش بعد أن طلقها زيد بن حارثة الذى تبناه محمد وأعتقه. منتهزين رواية خاطئة وردت بحسن نية فى بعض كتب السيرة والتفسير، ويواليتهم وقفوا عند حدها. بل راحوا ينسجون عليها الكثير من أوهام الخيال، ولو أخذوا أنفسهم بشئ من أمانة البحث لتغير وجه الرأى.

٢ – مفاد هذه الرواية أنه (صلى الله عليه وسلم) حينما مر بمنزل زيد يطلبه، فخرجت إليه زينب فرآها فوقع منها فى قلبه شئ لجمالها فانصرف لساعته قائلا: سبحان مقلب القلوب. ولما أبلغت زيدا ما سمعت ذهب إلى النبى وكرر استعداده لتسريحها فرفض، وقال: أمسك عليك زوجك واتق الله. ولكن زينب لم تحسن من بعد عشرته فطلقها حتى نزل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الأحزاب – الآية ٣٧].. وبمقتضى هذه الآية الكريمة وبصريح النص زوجه الله منها إبطالا لعادة (التبنى) وإلغاء لجميع آثاره.

٣ – ويعلق كتاب السيرة على ما نسب إلى النبى (صلى الله عليه وسلم) من أنه وقع منها فى قلبه شئ لجمالها وفى قوله: سبحان مقلب القلوب، بأن هذه القصة مكذوبة

ويكفى لهدمها من أساسها أن تعلم أن زينب بنت جحش هى ابنة أميمة بنت عبد المطلب عمة رسـول الله ـ عليه السـلام – وأنها ربيت بعينه وعنايته وأنها كانت منه بمقام البنت أو الأخت الصغيرة، وأنه كان يعرفها قبل أن تتزوج زيدا وأنه شهدها فى نموها تحبو من الطفولـة إلى الصبا إلى الشـباب، وأنه هو الذى خطبها على زيـد، إذا عرفت ذلك تداعى أمـام نظرك كل هذه الخيالات والأقاصيص، وأما عن زواجه منها فالتاريخ الصحيح يحكم بـأن زواج زينب من مفاخر محمد فقد جعل نفسـه أول من يضـرب المثل لما يضع الله من تشـريع يمحـو به تقاليد الجاهلية وعاداتها، ويقر هـذا النظام الجديد (الدكتور هيكل ص ٢٨٧ وما بعدها).

٤ – وجدير بالذكر أن المستشـرق أميل درمنغم بالرغم من عدم توفيقه فى سرد الموضوع انتهـى إلى أن هـذا الزواج جاء تنفيذا (لأمر الله بشـأن) (التبنى)، ولم يكن نتيجة ميل جنسى. يقول: وفى هذا الذى انتهى إليه ما يدحض روايته التى انساق فيها

Ie marriage avec Zeinab sanction d'un decret divin Sur les régles Juridiques de l'adoption.. est done toute autre chose que le fruit d'une quelconque passion sensuelle sarvie par l'imposture. Emile dormenghem P.303 cha. XLX.

٥ – نعـود بعـد ذلك إلى ما لاكه هؤلاء الكتاب حول تعدد الزوجات ؟ وكمسـألة أولية نلفـت النظر إلى ما هو ثابت فى كتب السـيرة والتفسـير من أن آيـات التحريم نزلت فى أخريات السـنة الثامنة للهجرة بعد أن كان النبى (صلى الله عليه وسـلم) بأزواجه جميعا. وقد كان التعدد إلى حين نزولها لا حد له مما يسقط القول بأن محمدا أباح لنفسه ما حرمه على الناس..

ثـم إن محمـدا تزوج خديجة وكانت فى الأربعين من عمرها وهو فى سـنة الخامسـة والعشرين، ولم يشرك أحدا معها غيرها مدى ثمان وعشرين سنة. ولم يبدأ زيجاته الأخرى إلا بعد أن تجاوز سـن الخمسـين، والمعروف فى الأوسـاط العلمية بأنه فى سـن الخامسة والأربعين عادة يبدأ غروب شمس الغريزة الجنسية فتقل حدتها (الدكتور عبد العزيز عزب قانون جديد لتطور الزواج ص ٣٤) وهذا إلى انشـغاله (صلعم) بنشـر رسـالة ينوء بحملها البشـر إستلزمت منه كفاحا مرا وجهادا مسـتمرا وخوض حروب مستمرة حتى خلق دولة

من العدم بكل مقوماتها الدينية والتشريعية والسياسية، وما قال أحد إنه شغل بنسائه عن القيام. بواجبات رسالته المقدسة. بل إنه خير نساءه عندما ارتفعت شكواهن من ضيق ذات اليد بين الطلاق وبين الله ورسوله والدار الآخرة، وإذا كان الأمر على هذا الوجه فهل بقى لهم شئ مما يدعون؟!.

٦ – وأكثر من هذا أن حكمة زواجه معروفة حتى من أشد المستشرقين تحاملا عليه مما يبعد قطعا مظنة العامل الجنسى انظر إلى مارغليوث حيث نجتزىء فيما يقول:

Mohammed' Snumereus marriages.. have been attributed by many European Writes to gross Passion.... Several of his Allan – ces Were political in character.... While a political sort motive is to be found in his alliances with the daughter of political opponents or talent enemies.. the remainder are to be explained by his extreme anxiety to have a son (Mohamed and the rise of Islam. Ch. VP. 176).

وبيان ذلك أن كثيرا من الكتاب الأوروبيين نسبوا تعدد زوجات محمد إلى شدة الميل الجنسى ولكن ظهر أن كثيرا من مصاهراته كان سياسيا أو كان بغرض ارتباكه من نوع آخر من بنات معارضيه أو أعدائه أو بغية أن يكون له ولد ذكر.

ولنا تعليق أخير على هذا أن هذا المقال: أولئك الذين أخذوا على النبى «محمد» – عليه الصلاة والسلام – أنه عدد زوجاته تحت وطأة الميل الجنسى. ألم يسألوا أنفسهم بماذا إذن يسمى زواج نبى الله «سليمان» بألف إمرأة كما ورد فى التوارة (سفر الملوك الأول ٣: ١١)؟!.

❑❑❑

مهزلة الرفق بالحيوان.. لدى الغرب ؟

عالم الحيوان كما يذهب العلماء ينقسم إلى عوامل خمسة (البدائيات، والطلائعيات، والفطر، والنبات، والحيوان).

والحيوان كما جاء فى «المعجم الوجيز» هو كل ذى روح، ناطقا كان أو غير ناطق ويعرف أيضا أنه: كائن حى يمتاز بالحياة والحس، متحرك بالإرادة وأنه كل ما يختص بالنفس الحيوانية، بخلاف الإنسان الذى يختص بالنفس الناطقة، وغير الإنسان من الحيوانات يسمى بالحيوان الأعجم كما جاء فى قاموس محيط المحيط.

ويُعرَّف الحيوان علميا: بأنه تجميع متكامل من أجزاء تركيبية، وأجهزة تؤدى العمليات الفسيولوجية المختلفة الضرورية للحياة، ولقد ذكر الله فى كتابه الكريم – تصنيف الحيوان وأقسامه – فقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة النور– الآية ٤٥].

قد كرم الله الحيوان فسمى سورا كاملة بأسماء بعض الحيوانات وكذلك الحشرات مثل: سورة البقرة، سورة الأنعام، وسورة الفيل، وسورة النمل، وسورة النحل، وسورة العنكبوت.

قد أوصى الرسول – عليه السلام – بالحيوان فقال لأصحابه: «عذبت امرأة فى هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هى أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض».

وعندما قُدم رجل على رسول الله فقال له: «إن لأرحم الشاة أن أذبحها. فقال الرسول له: إن رحمتها رحمك الله».

فقد شاهد عمر بن الخطاب رجلا يجر شاة ليذبحها. فضربه بالدرة وقال له: «سقها إلى الموت سوقا جميلا.. لا أم لك».

استنكرت جمعية الرفق بالحيوان الأمريكية قيام العلماء الروس بإرسالهم كلبا إلى الفضاء.. وقال رئيس الجمعية: إن احتجاجا شديد اللهجة سيسلم لروسيا عن طريق وزارة الخارجية استنكارا لهذه الفعلية الشنعاء التى أقدم عليها السوفييت!!!.

أما فى إنجلترا وفرنسا فقد التاعت منهم القلوب، وأطلقوا على أنفسهم اسم «أصدقاء الكلاب».. ووقفوا دقيقة صمت احتجاجا على وضع كلب فى القمر الروسى الثانى الذى أطلق منذ أيام، وقد وصفوه بأنه عمل وحشى مجاف للإنسانية!!.

وبلغ بهم الأمر إلى أنهم أنشأوا جامعة للكلاب!! عجبا!.. إذا كان فى إنجلترا وفرنسا أناس بمثل هذه الضمائر الحية.. والنفوس الحساسة التى تشفق على الحيوان وتتألم له.

فلماذا لا يوجد فى هذه البلاد من يشفق على الإنسان، ويتألم له؟!..

لماذا لا يوجد فيها من يشفق على الإنسان الذى يراق دمه كل يوم فى الجزائر فى أقذر حرب عرفتها البشرية؟!.

لماذا لايوجد فيها من يشفق على الإنسان الذى ضرب ومازال يضرب كل يوم بالقنابل والصواريخ المميتة، وعلى أيديهم فى فلسطين، وفى غيرها من البلدان؟!.

لماذا لا يوجد فيها من يشفق على الإنسان الذى يتعذب، ويتعرض كل يوم للفناء والدمار نتيجة لأطماع المستعمرين.. وأعمالهم التى تخرج عن الضمير وتنافى المبادئ التى نادت بها جميع الأديان؟!.

كفى هزلا يا سادة!.. وإذا أردتم أن تكونوا إنسانيين حقا فكونوا أصدقاء لأخيكم الإنسان.. قبل أن تكونوا أصدقاء للكلاب، والحيوانات!!.

فقد زين لكم الشيطان أعمالكم فصدكم عن السبيل فأصبحتم لا تهتدون.

❑❑❑

الرقص على البارود.. ؟

يقول صاحب كتاب – الرقص على البارود – رحمه الله.

بعض الناس يبحث فى الأرض عن الذهب. والبعض الأخر يبحث عن التعب.

والذى لا شك فيه أن رئيس وزراء إسرائيل ومنذ أن ولى حكم إسرائيل وهو يبحث (جاهداً) عن التعب؟!.

«نتانياهو» لا يكل ولا يمل، منذ أن سربته النسبة الضئيلة التى رجحت كفته فى الانتخابات الإسرائيلية، لإدارة دفة الحكم فيها. فى أن يجعل بلده والمنطقة المحيطة به. بل والعالم برمته يعيش فى قلق، ويحيا فى ضجر، من جراء سياسته الطائشة التى يتبعها تجاه فلسطين، وسوريا، وجنوب لبنان والتى قوامها التسلط والكبرياء، وصم الأذنين عن سماع كلمة الحق التى هى كلمة الله، وبشارة الأنبياء.

إنه لا يستمع إلى نصيحة تزجى، ولا إلى كلمة حق تلقى عليه، فهو يحثو التراب فى وجوه المخلصين من ناصحيه والصادقين من محذريه من مغبة سياسته الخرقاء التى لن تجدى قتيلا، إلا فى جر الويلات إلى إسرائيل نفسها قبل غيرها.. وقديما ألقى اليهود بالنبى «أرميا» إلى التراب لأنه أنبأ الناس بسقوط «أورشليم».. وقالوا فى تعليل ذلك أن هذا الرجل لا يبشر إيانا بخير، فهو علينا وليس منا.

وكذلك يفعل نتانياهو بكل من يخبره بعواقب غطرسته وتعنته وإصراره على استلاب حق الغير، فهو جد سعيد بأن يجد العالم كله يرتجف من جراء حمق سياسته وغباء تفكيره وفعلته.

تقول صاحبة كتاب «البحث عن المتاعب»:

إن «هتلر» كان يطربه ويشجيه أن يرى العالم يرتجف أمامه وقد كان بحاجة إلى (الإثارة) حاجته إلى الطعام والشراب.

فهل لنا أن نقول إن نتانياهو كسلفه الأخر يبحث عما يثير.. دون ما نظر إلى (ماكان) مع سلفه الشقى العنيد؟!.

إن نتانياهو يرفض التفاوض حول القدس الشريف ويصر على بناء المستوطنات، ويأبى الجلاء عن هضبة الجولان ويمعن فى ضرب جنوب لبنان، ويدوس على اتفاقية (أوسلو)

رافضـــا مبدأ الأرض مقابل الســـلام.. فهو لا يعبأ بخصومة أووئام يلـــوذ بالمناورة ويلجأ إلى المراوغة ويعتنق سياسة اللف والدوران.

ونحن نقول لك:

الزم بيتك يارجل واترك السياسة لمن له فيها باع قبل أن تباع؟!.

❑❑❑

obeikandl.com

السبت الدامى.. وضرورة القبض على الجانى

بلغ السيل الزبى.. وراجت الجريمة لإدبار الدولة وضياع هيبتها، افترس طائر حلم ثورة يناير الجميل. فلقد ذهب الخب «بأولاد الأفاعى» كما وصفهم «السيد المسيح عليه السلام»، بعقولهم وجلبوا لوطنهم الويل والثبور وعظائم الأمور، وخلفوا وراء ظهرانيهم، لهم، ولها العار والشنار، وسوف يجعلهم الله سبحانه وتعالى «سلفا ومثلاً» للآخرين. زرعوا لواعج الحزن للآباء والأمهات الذين فجعوا فى فلذات أكبادهم، على يد هذه العصبة الخائنة الجبانة، وبعد الأحبولة التى نصبوها لاصطياد الحياة، فماذا يجدى الأمل مع موت هؤلاء الشهداء؟.. وماذا يجدى الأمل فيمن فقد وحيده وفجع فيه، والكل يرثيه؟ لقد أودت الدنيا بكل آماله وغابت مطامحه ومطامعه؟.. وماذا يجدى الأمل مكفوفا فقد بصره إلى حيث لا يرده عليه طب ولا مال، فى الحال أو فى المآل؟.

الوطن برمته تائه كأنه قوم موسى فى الليلة الليلاء تُركت الساحة على اتساع رقعتها لفئة ضالة آثمة هبطت على البلاد فأقضت مضاجع العباد، وكانت مهبط أذى أصبح يختال ويغتال، فقد أمست الأرض بلقعا يمرح فيها بفسقه كل شيطان مريد، ولسان حاله يقول: «هل من مزيد؟». واقتلعت العاصفة الهوجاء أمامها الأبرياء، تاركة لذويهم الحزن والأسى والدموع التى هى كدموع الخنساء. وهل أعاد البكاء الذى ذرفه ملوك الطوائف على جدران قصر الحمراء الأندلس، إلى أصحابها الفرقاء؟. إن أوهن الأشياء هو قتل الضعفاء بشريعة الحمقى الأغبياء. فمن – ذا – الذى يمسح دموع الأم الثكلى التى أطلت بوجهها علينا من خلال – التلفاز –، والهم يملأ مقلتيها، والغم يحفر وجنتيها، وهى التى فجعت فى ابنها تصرخ وتولول: ليتهم أعجزوه.. ولم يقتلوه.. ليت الموت أبقاه؟.

يقول «كعب الأحبار التابعى» مثل الإسلام السلطان. والناس مثل الفسطاط، والعمود والأوتاد، والفسطاط هو الإسلام، والعمود هو السلطان، والأوتاد هم العباد ولا يستقيم بعضها إلا ببعض. أما الإسلام فهل أباح الغدر والخيانة وقتل العزل الأبرياء؟. وأما السلطان فهو من بشاعة جرمهم حيران، وأما العباد، فقد تركوا العتاد ثقة فيما قيل لهم عن الأمن والأمان.

والسؤال: من ذلك الذى امتشق سلاح الغدر يوجهه إلى القلوب، ويصوبه إلى العيون بكل خفة ومجون؟!

إن دم الشهداء الأبرياء تطالب السلطان بجدة البحث عن هذه الوحوش الكاسرة التى شريعتهم هى شريعة الغاب، أرادت لمصر الخراب واليباب؟ القول بأن ثمة طرفا آخرا ليس من الشرطة وليس من الجيش والجانى فإننا نربأ بأنفسنا على مد أصابع الاتهام إلى أحدهما أو كلاهما، فهما أشرف من أن تلطخ أيديهم بدم المصريين الخلصاء، وأما عن ذلك القول بوجود طرف ثالث: هو الآثم الجانى فهو لايسمن ولا يغنى من جوع.

إن حد الله يجب أن يطبق على هذا المجرم العتيد الذى ينتظره مصيره الفاجع، فهو لما يزل يمرح بيننا هو وأترابه من الملاعين الذى يقبعون فى بيوتنا يلتمسون الملاذ والنجاة، فهيهات هيهات أن يفلتوا من جرمهم، فإن ربك لهم بالمرصاد، ولن يهدأ الموتى الشهداء فى أرماسهم إلا بعد إنزال صارم العقاب عليهم، فقد طرفت الدنيا عيونهم، وسدت مسامعهم الشهوات ،هم من تبعهم من الأغوات.. ومن لم يتعظ بالقرآن يأتى بالسلطان.

وإلى من أصبحوا لمصر سادة، وعنها زادة.. أسوق إليكم قول الشاعر اليمنى (الأودى):

لا يُصلح الناس فوضى لا سَراة لهم ولا سَراة إذا جُهالهم سادوا
والبيت لا يبتنى إلا له عمد ولا عماد إذا لم تُرس أوتاد

إن السبت الدامى يوجب عليكم القبض على الجانى.. فهل أنتم فاعلون؟.. إنا لمنتظرون.

❑❑❑

الشعب الذى يفرط فى كرامته.. تضيع هيبته؟! ..

نعم هى سيف بتار .. على رقاب المصريين الأحرار! لا جَرَم تفله أمريكا على كل طالب معونة.. أو حتى من يرغب فى أيقونة!.

كان شيكسبير يقول: «أخذت منى نقودى.. لم تأخذ منى شيئا.. أخذت كرامتى.. أخذت كل شئ» انحرفت أمريكا عن مقولة شكسبير أو «آبدته» «والآبدة هى الكلمة التى تذهب فى أسماع الزمن مذهب الخلود»، وأرتأت أمريكا بل انتهجت نهجا اعتمل فى قلبها، وأصبح من علامات فكرها يتحصل فى أن من يأخذ منها دولارا فلا محيص له ولا معدى له، بعد أن أصبحت هى تابعا أن يكون هو – كذلك – متبوعا لها، يترسم خطاها، ويسير على هداها، بل ولا مانع لديها أن تمتطى صهوة ظهره تسوقه أنى تريد وكما عن لها أن تستفيد، وإلا فهو بعد أن تحصل منها على «ذهب المعز» فإن «سيف المعز» يظل مصلتا على عنقه. صحيح أن الشعب الأمريكى شعبا طيبا ودودا متدينا.. وصحيح أن أمريكا أسدت للحضارة الغربية مبدأ الفصل بين الكنيسة والدولة منذ زمان بعيد يوم أن أقرت اللائحة التنفيذية لولاية فيرجينيا عام ١٧٧٧ والتى أبت أن تحدد فيها دينا رسميا للولايات المتحدة الأمريكية مما دفع الرئيس الأمريكى «توماس جيفريسون» أن يقول: «إن التعديل الدستورى الأول لبلاده عام ١٨٠١ قد نجح فى أن يفصم العرى بين الدين والدولة وبحائط صلد صلب ولم يحل هذا من أن تستخدم الولايات المتحدة الأمريكية بعض الرموز الدينية ومنها ما طبع على عملتها (الله نثق)، وأسفل علمها «بأمر الله». واستمر الزمن فى دورته وبعد أن كانت الدولة العثمانية ملء السمع والبصر أمست رجل «أوروبا المريض» كما وصفها المؤرخون، وبمقتضى معاهدة ١٨٥٣ فقد أصبح لها حق رعاية سلطانها من المسيحيين الأرثوذكس، ثم جاء الاتفاق الودى الثلاثى بين بريطانيا وفرنسا والنمسا من جهة، ومن جهة أخرى بين الدولة العثمانية على ما سمى بالخط «الهمايونى» الذى أعطى الدول المتعاهدة حق رعاية المسيحيين فى الدولة العثمانية؟.

وبعد أن تفككت أوصال الاتحاد السوفيتى وقد كان يقاسم أمريكا قيادة الأنظمة العالمية أضحت أمريكا هى بؤرة العالم والقطب الأوحد فيه، دون منازع أو شريك، ومثل كل

حضارة من حضارات العالم القديم التى سادت ثم بادت استبد الغرور بأمريكا ومشت على درب نظام دول الاستعمار القديم واعتنقت «مبدأ من ليس معنا فهو علينا» وأمعنت نظرها وأعملت فكرها فى كيفية الهيمنة على دول العالم برمتها، فاستنت قانون (يزمون هليمز) الذى أطبقت يدها من خلاله على كوبا مشددة الحصار عليها وأنزلت من رحمها قانون «داماتو» الذى فرض عقوبات على كل من (إيران، وليبيا) لخروجهما عن الخط الأمريكى ثم أنزلت جنينها الثالث: (ثالثة الأثافى) متمثلا فى قانون الحماية الدينية تحت مسمى «الاضطهاد الدينى» والذى أشرف عليه عضو الكونجرس الأمريكى (ليبرمان) وكونت من ثناياه لجنة خاصة، نسميها نحن (لجنة الأشقياء) كما وصف الزعيم «سعد زغلول» «لجنة ملنر»، أصبحت مهمتها بلغة النيابة العامة موالاة البحث والتحرى لمعرفة الفاعل: أى فاعل؟!.. هو ذلك الذى يخرج من نطاقها من الدول، بما أسمته «بالحرية الدينية» وعلى تلك اللجنة المذكورة أن تبحث وتنقب عن ذلك الفاعل (المجهول)؟.. (والمعلوم) سلفا لدى أمريكا! والذى يضبط منها متلبسا مرتكبا جريمة الإضطهاد الدينى حتى ولو كانت هذه الجريمة لا تقوم على أساس أو أدلة أو مضامين أو براهين، وحتى لو كان ذلك هو التدخل بعينه فى الشأن الداخلى لأية أمة من الأمم ومن بينها – بداهة – مصر – والتى أسمت أمريكا المسيحيين فيها (بالأقلية المغلوبة على أمرها) مما دعا قائد الوطنية المسيحية فى مصر «البابا شنودة الثالث» – شفاه الله وعافاه – إلى أن يجأر بملء فمه: «لايجب أبدا أن يطلق علينا أقلية لأننا جزء من النسيج الوطنى المصرى». وقد تناست أمريكا الوضع القائم على أرضها والذى جسم التفرقة العنصرية الصارخة بين أبناء الوطن الواحد ببناء كنيستين على أرضها أحداهما سوداء، والأخرى بيضاء!، ناهيك عن التفرقة العنصرية التى عاشت على أديمها، وسودت تاريخها، عقودا طويلة ضربت فى الزمان والمكان، وراح بسبب منهاضته لها – مع الألوف من الزنوج –، الدكتور «مارتن لوثر كينج» بعد أن أودى بحياته رَصَاص البيض، وذلك فضلاً عما ارتكبته من مجازر فى حق الهنود الحمر، وقد كان ذلك محل – مقال لنا – فى هذه الصفحة الغراء، وقد كان منهم، بما لم نذكره فى مقالنا هذا، قادة الهنود الحمر العظام، «السحابة الحمراء» و«يوتابكا» و«كوانا باركر» والزعيم «جرينوبو» والذى قبض الجيش الأمريكى عليه دون جريرة ارتكبها سوى الدفاع عن أرض أجداده الأوائل وسيق مكبلا بالسلاسل حتى مات مصابا بالسل فى محبسه، ثم جاءت

معركة «نهر البرعوم» لتكون النهاية القاسمة للهنود الحمر أصحاب أمريكا الأصليين.. ولم تقم قائمة لهم بعدها.

وما برحت أمريكا تلعب بالدولار، وبالمعونة الأمريكية، تشمخ بها وتتعالى على حريات الشعوب، مع أن هذه المعونة لا تغنى ولا تسمن من جوع فقد أفادت دراسة قام بها مكتب «الإنفاق الحكومى» التابع للكونجرس الأمريكى بأن المساعدة الأمريكية لمصر تساعد تماما فى تثبيت الأهداف الاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية فى المنطقة العربية.

وقد أزمعت أمريكا أن تشد مصر إلى بحر الظلمات وتنجرف بها إلى الهاوية.. وإلا فما معنى هذا المشروع الجهنمى الذى تفتق عنه ذهن ثلاثمائة من زبانيتها أو بالأحرى شياطينها، والذى دعوا فيه لإصلاح حال التعليم فى مصر، وذلك بإلغاء الحروف العربية وتطبيق الاتجاهات اللاتينية «Hisponization»، وما يستتبع ذلك – بداهةً – بإلغاء المناهج القومية القائمة بما فيها المبادئ الدينية المستقرة فى وجدان المصريين .. هل هى المعونة الأمريكية التى دفعتهم إلى هذا.. أم ماذا؟

يقول السيد المسيح عليه السلام – لليهود – «أنا هو الخير الذى نزل من السماء» (يو ٦: ٤١)، وتقول أمريكا: «إنما أنا الدولار الذى ينزل عليكم كما ينزل الغيث من السماء»، «ولا يتناطح فى ذلك عنزان»! كما عبر «مارجريسيا ماركيز» الفائز بجائزة نوبل للأدب، فقد أصبح الدولار الأمريكى مثل الدينار البرمكى، ودينار الأمبراطور فوكاس، وكذلك دينار هرقل؟! يجب أن يدخل التاريخ! ولسان حال أمريكا يقول فى هذا الصدد: «ويُظلم وجه الأرض فى أعين الورى: بلا «شمس» دينار «ولا بدر» درهم؟!

فأمريكا عندما يخرج منها الدولار تعتنق قول الشاعر (ابن النضر):

لا يألف الدرهم الضَّياحُ صُرَّتنا لكن يفِر منها وهو منطلق

هذه هى الإدارة الأمريكية التى قر قرارها على أن تهيمن على شعوب العالم «بدولاراتها».. هذه الإدارة التى يجب أن تعى تماما أن المعونة الأمريكية إما إنها شراكة بين مصر وبين دولتهم.. شراكة على قدم المساواه، وإلا فمن الحتمى مع تاريخ مصر وثورتها أن تُلقى هذه المعونة على قارعة الطريق..

لا تدفعونا يا من تديرون دفة الحكم فى بلادكم أن نقول لكم كما قال لكم أيضا «Michael Rowbotham» فى كتابه (Goodbye America).. وداعا أمريكا.

الصحراء الغربية.. والحدائق الشيطانية؟!..

نشـرت الصحف أن كشـفا بتروليا مهما للغاز بالصحراء الغربية قوامه ١٢ مليون قدم وخمسة ألاف برميل إنتاجا يوميا قد توصل العلماء إليه.

وصرح المهندس عبد الله غراب وزير البترول والثروة المعدنية التزام قطاع البترول بتحقيق الأهداف والمصالح العليا للدولة بالعمل على سرعة برامج الحفر المكثفة لسرعة تنمية الحقول المكتشفة.

والصحراء الغربية تتميز باتساعها الشديد فمساحتها ٦٨ ٪ من مساحة مصر ويوجد بها مناطق جمة غير مأهولة وذلك لانتشـار حقول الألغام على مسـاحة كبيرة من هذه الصحراء بما يطلق عليها حدائق الشيطان.

وحدائق الشيطان هى هاتيك الألغام التى زرعت فى الصحراء الغربية أثناء وبعد معركة العلمـين – بـين القوات الألمانية والإيطالية بقيادة الجنـرال أرفن روميل من ناحية، وبين قوات الحلفاء بقيادة الجنرال مونتجمرى، من ناحية أخرى، وكان ذلك خلال وبعد معركة العلمـين ولما تزل هاتيـك الألغام مطمورة فى أديم مصر فى جـوف الصحراء الغربية تلظى بنارها من تسول له نفسه، ارتيادها.

وهـا هى ذى الأخبار تترى أن الأمم المتحدة قد حذرت من ارتفاع عدد ضحايا الألغام، والمخلفات الأرضية فى مصر خلال الشـهور الخمسة عشر من العام قبل المنصرمة، وأردف تقرير الأمم المتحدة قائلا: إن عدد ضحايا الألغام بلغ خلال هذه الفترة عددا لا بأس به من القتلى ناهيك عن العديد من الجرحى. وأكد التقرير ارتفاع نسـبة الإصابات بين المصريين بنسبة تعدت الخمسين فى المائة.

ومـن الثابت علميا أن حوالى العشـرين بالمائة من الألغام الموجودة على مسـتوى العالم تتركـز فى مصـر حيث تعد مصر ثانى أكـبر دولة مليئة بالألغام على مسـتوى العالم بعد أنجولا، مما يعنى أن أكبر دولتين مزروعتين بالألغام، توجدان فى قارة أفريقيا.

ولا مشاحة أن مأساة الألغام تعتبر أسوأ وأطول مأساة عاصرت أحداثها الحرب العالمية الثانيـة وقـد أطلت على مصر بوجهها القمئ فى خضم المعـارك العاتية التى دارت رحاها

بـين قوات الحلفاء، والمحور، وأشـهرها (معركة العلمـين الكبرى) وهى كذلك – الأخطر – لأنه منذ زراعتها فى مصر وهى تحصد أرواح المصريين الأبرياء المرة تلو المرة، مع تعاقب السنين، وكر الأيام فى أبشع جريمة ضد الإنسانية ناهيك عن أنها قد أدت إلى حرمان مصر من خيرات أرضها التى تموج بها هذه المنطقة من ديارها إذ أنها تزخر بالثروات الطبيعية والبترولية، والإمكانات الزراعيـة، فضلا عن الأثرية والسـياحية، بالإضافة إلى النهضة العمرانية التى طال انتظارنا لها وهى تفتح ذراعيها للمصريين.

أما الخسـائر الاقتصادية التى نجمت جـراء ذلك، فحدث ولا حرج. فمنطقة العلمين، وتخومهـا، تحتـوى على حوالى مليون وربع مليون فدانا مـن الأراضى الصالحة للزراعة.. وهـى مليئة بالميـاه الجوفية، وأرضها من أجود وأخصب الأراضـى الصحراوية لقربها من وادى النيـل.. وقد وصفها الخـبراء الثقات بأنها – تبدو – وكما تيقن لهم «كباخرة عائمة فى حوض من الذهب الأسود .. البترول».

والـذى لامرية فيه – إن جريمة بث الألغام، ودسـها فـى أعماق أرض مصرية – وهى الصحـراء الغربيـة – كانت من (صـروف الدهر) – (ولا يعاند الدهـر إلا كل ذى خطر)، ومسـئول عنها كل من اقترفها فى حق مصر إذ وضع بقعة غالية من تراب هذا الوطن فى برزخ من الآلام، وقد زلقت بها أرجل الدول الثلاث: ألمانيا وإيطاليا، وإنجلترا وكما ألمعنا من خلال جحافل قوادها، وجنودها الذين جاسـوا خلال أرض مصر – إثر حرب ضروس بينهـم لم يكن لمصر فيها (ناقة ولا جمـل).. وقد باتت تحكم على أرض الكنانة أطرافها، وتستر فخاخها حتى لم يبق مع وجودها فى قوس الصبر منزع؟!.

ولقـد كشـفت الدكتور إيمان غنيم مديرة معمل أبحاث الفضـاء بجامعة نورث كارولينا الأمريكية من أن المياه المنهمرة والتى هطلت على صحراء مصر الغربية منذ عشرات السنين قد حفرت بئرا يسـمى «بئر كيفرا» كون امتدادا لخزان جوفى كبير قابع أسفل بحر الرمال الأعظـم موضحة أن هذه المياه هى «تسـريبات» لمر مائى عمـلاق مدفون فى باطن الأرض المصريـة وتمثـل ممرا هائلا من الميـاه الجوفية مطمورة تحت الرمـال. وهذا معروف لدى غالبيـة علماء الرصد الفضائى والجيولوجيا لأنه من الثابت علميا أن أى نهر يجف لعوامل التغيرات المناخية والزمن يتجمع أسفله خزان جوفى، يتوقف حجمه على طبيعة الصخور والأرض الموجود بها مؤكدة أن طبيعة أراضى المنطقة المحيطة بهذا الممر تتكون من صخور حجر الرمل النوبى المعروفة بمساميتها الشديدة .

وأضافت الدكتورة الباحثة أن رصد هذا المر استغرق أكثر من عشر سنوات من العمل بالأقمار الاصطناعية الرادارية، التى تمكن من مشاهدة ما تحت الرمال بوضوح بالغ وإنه طبقا لتجارب علمية عديدة، يمكن القول أن أسفل هذا التجمع المائى توجد طبقات من حجر الرمل النوبى الذى شرب من مياه هذا المر الأشبه بالنهر وقت سريان المياه فيه قبل آلاف السنين، ثم خزنها فى مسامه، وقام بحفظها نقية .. فيما يشبه الثلاجة الطبيعية.

وأوضحت الباحثة المصرية أن المنطقة المحيطة بهذا المر المائى فى الصحراء الغربية كانت قبل «خمسين ألف سنة» أشبه بالغابات الاستوائية، أو غابات «السافانا»، بسبب انهمار الأمطار بشدة غالبية العام، فى هذه الفترة، لافتة إلى أن التغيرات المناخية وعوامل الطبيعة التى طغت على المنطقة بمرور الزمن تسببت فى دفن ذلك المجرى المائى، واندثار الحضارة المحيطة به، وهذا يعنى أن نهرا عظيما يقبع داخل رمال هذه الصحراء يبشر بنهضة زراعية كبيرة فيما إذا لو استغل على النحو العلمى السليم بعد أن تعمل الدولة جاهدة على دفع الدول التى أجرمت فى حقها وفى تاريخها على نزع واقتلاع الحدائق الشيطانية التى عاقت تقدم النهضة فى هذه البقعة الهامة من تراب مصر.

لما كان ذلك وكان القانون الدولى الإنسانى (International Humantarian Law) وهو مصطلح جديد ظهر ليطبق على النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية.

ونص فى البرتوكول الثانى (فى الفقرة الثالثة من المادة الثالثة وكذلك الفقرة الثانية من المادة الرابعة) من الاتفاقية المنبعثة منه قد جاء مجرما لزرع الألغام والأفخاخ المتفجرة وعلى حظر الإستعمال العشوائى للأسلحة التى تنطبق عليها هذه المادة وهى الألغام والشراك الخداعية، كما أشار هذا البروتوكول إلى حظر استعمال الألغام فى أية مدينة، أو بلدة، أو قرية، واتخاذ الاحتياطات اللازمة لحماية المدنيين من آثارها.. كما جاء فى عجز هذه المادة منع استعمال الألغام ما لم يكن كل لغم منها مزودا بآلية فعالة لإبطال مفعوله حيث لا يعود فى وسعه أن يخدم الغرض العسكرى الذى بث من أجله.

ولقد كان لآباء القانون الدولى الحديث ومنهما الفقيه الهولندى «جروسيوس» و«فاتيل»، الفضل فى نص القانون الدولى على نظرية الخطأ ،وكذلك نظرية الفعل الغير مشروع (Acte illicite)، ووجوب تعويض الدولة التى تصاب بضرر من دولة أخرى جراء العمل الغير مشروع تفتئت به الثانية على حق الأولى فهنا تنهض المسئولية الدولية المطلقة لتقوم

بواجبها بهذا الخصوص بالنسبة للدولة التى حيف عليها ووقع عليها الضرر وارتباط هذا الخطأ بذاك الضرر ارتباطا لا يقبل التجزئة، مكونا علاقة السببية بينهم.

لما كان ذلك كذلك. فلا جناح على مصر أن تتحرك فى حينه لمخاطبة أولئك الذين زرعوا هذه الحدائق الشيطانية وهم ألمانيا وإيطاليا وإنجلترا.. لما أن هذه الحدائق الشيطانية التى زرعوها فى أرض مصرية هى بالفعل (حدائق).. وليست حديقة واحدة؟!.. وقد أمست ذات حول وطول، آن الآوان لاقتلاعها من جذورها حتى تستطيع مصر أن تعمر قطعة عزيزة من أرضها أصابها الإهمال والنسيان وجار عليها الزمان.

❑❑❑

obeikandl.com

الصفات التى يجب أن يتحلى بها القاضى

بزغ فجر الإسلام ليضع دستورا يجب أن يسير عليه القاضى تمثل فيما كتبه على بن أبى طالب – كرم الله وجهه – إلى الأشتر النخعى «لما ولاه مصر» وجاء فيه:

اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك فى نفسك، فمن لا تضيق به الأمور لا يتمادى فى الزلة، ولا يحصر من الفيء إلا الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفى بأدنى منهم إلى أقصاه. أوقفهم فى الشهادة وأخذهم بالحجج وأولهم تبرما بمراجعة الخصوم وأصبرهم على كشف الأمور وأصرمهم عند انفتاح الحكم ممن لا يزدهبه إطراء ولا يستميله إغراء، ولا يخشى فى الحق لومة لائم.

ومما يذكر فى هذا الصدد أن «الحسن بن على» رضوان الله عليهما «شهد لأبيه على قنبر» عند «شريح» القاضى – فى درع خاصم فيه يهوديا، فأنكره فقال شريح لعلى بن أبى طالب – كرم الله وجهه، إإتنى بشاهد آخر. فقال على: مكان الحسن؛ أو مكان قنبر؟ قال شريح: لا، بل مكان الحسن. فقال على بن فى طالب: أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة. فقال شريح: قد سمعت، ولكن إننى بشاهد آخر يا أمير المؤمنين. كى أقبل شهادة ابنك له؟.

وكذلك فيما خطه عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه فى قولته:

إذا كان فى القاضى خمس خصال فقد كمل :

١ – علم ما كان فعله.

٢ – ونزاهه عن الطمع.

٣ – وحلم على الخصم.

٤ – واقتداء بالأئمة.

٥ – ومشاركة أهل العلم والرأى.

ومما قيل فى آداب القاضى:

«وأما آداب القاضى فيجب أن يكون ذا دماثة مشهودة وسيرة مشكورة وصيانة معروفة وعفة مألوفة ووقار وسكينة ونفس شريفة، تام الورع، خاليا من الطمع، منزها عن ملابسة الرذائل ومخالطة الأرذال، شديدا غير عنيف، لينا غير ضعيف».

ولله در سيدنا عمر بن الخطاب فى رسالته إلى أبى موسى الأشعرى حين قال له حين عينه قاضيا:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر بن الخطاب. أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس (أبى موسى الأشعرى):

سلام عليك، أما بعد:

فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، فإنه إذا أل إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له. آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك، حتى لا يطمع شريف فى خصمك، ولا ييأس ضعيف من عدلك. البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا .لا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق، «فإن الحق قديم»، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل الفهم الفهم فيما يلجلج فى صدرك، بما ليس فى كتاب ولا سنة ثم اعرف الأشياء والأمثال، فقس الأمور عند ذلك، واعمد إلى أقربها إلى الله وأشبهها بالحق واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينه أمدا ينتهى إليه، فإذا أحضر بينته أخذت له حقه، وإلا استحالت عليه القضية، فإنه أنقى للشك وأجلى للعمى. المسلمون عدول بعضهم على بعض. إلا مجلودا فى حق ومجربا عليه شهادة زور أو ظنا فى ولاء أو نسب.. وإياك والقلق والضجر والتأذى بالخصوم والتنكر عند الخصومات..

ويلخص ابن القيم الصفات التى يجب أن يتحلى بها القاضى فيما يلى:

أولا: أن يكون كاملا فى نفسه.

ثانيا: الذكورة: لأن المرأة، لا يجوز توليها القضاء إلا أن ابن جرير الطبرى يرى جواز تولى المرأة القضاء كالرجل، وأبو حنيفة يرى توليتها فيما تصح فيه شهادتها، وتصح – فيما يرى – فيما سوى الحدود والقصاص.

ثالثا: الحرمة: فإذا انعدمت حرمة القاضى لأى سبب لم يجز قضاءه.

رابعا: الإسلام فلا يجوز أن يكون الكافر قاضيا على المسلمين وجوز أبو حنفية توليته على أهل الذمة، وجوز شهادة بعض أهل الذمة على بعض.

خامسا: العدالة وهى صدق اللهجة وظهور الأمانة والعفة عن المحارم والبعد عن الريب، والأمن فى الرضا والغضب.

سادسا: أن يكون عالما بالأحكام الشرعيا.

سابعا: أن يكون عاملا بأصول الشرع الأربعة، فلا يجوز تولية من ينكر أيا منها.

العقـاد.. وأفول العقـل؟!..

فى بواكير هذا القرن، الذى أوشـكت شمسـه أن تغيب، دعت مجلة الهلال المصرية، عملاق الفكر العربى الأسـتاذ عباس محمود العقاد ،وعميد الأدب الدكتور طه حسـين أن يكتب كل منهما مقالا عن الأخر: عما يعنيه، وعن فكره وأدبه، ويدلى بدلوه فيه.

وبعد أن أفاض كلاهما على الأخر ثناء وإطراء، قال الدكتور طه حسين فى معرض نقده للعقاد: «إن عقل العقاد أطول من لسـانه».. ورد عليه الأسـتاذ العقاد قائلا: «إنه بالقياس على ما قاله الدكتور طه عنى فإننى أقول: إن لسان الدكتور أطول من عقله!».

أراد الدكتور طه حسين بمقولته السابقة أن يبين أن (الجانب العقلى) يغلب دائما على الأسـتاذ العقاد فى كتاباته. وهدف الأستاذ العقاد إلى أن يوضح أن الجانب العاطفى يجور على الجانب الفكرى فيما يخطه عميد الأدب.

وفـى احتفاليـة حضرها رهط مـن الأدباء، وكوكبة مـن المفكرين، وزمرة مـن العلماء فى عيد ميلاد الأسـتاذ العقاد، ،وقد بلغ السبعين، سـأل سائل الدكتور الفيلسوف زكى نجيب محمود عن رأيه فى فرسان الأدب الثلاثة: العقاد، وطه حسين، وتوفيق الحكيم، فأجابه: «إن طه حسين يمثل فى كتاباته (الأديب). وتوفيق الحكيم يمثل (الفنان) أو الفن. كما ذهب مجمع اللغة العربية. أما العقاد فيمثل فى كتاباته (المفكر). وهذا هو مثلث الأدب العربى الحديث.

وفى سـفره الضخم الفخم غير المسـبوق (فى صالون العقاد كانت لنا أيام) كتب الأستاذ الكبير أنيس منصور من بين ما كتب يقول: «كان عقل الأستاذ العقاد كالشمس المتوهجة.. وكانت عقولنا لها طبيعة الشـمع وطبيعـة الزبد ،وكنا نخاف عليها أن تذوب.. فلا نكون شيئا.. ولذلك كنا نجلس أمامه وقد أنحنينا احتراما له. وإخفاء لما عندنا وهو قليل، ووقاية لقلوبنـا وعقولنا.. لولا هـذا الخوف على ما عندنا لانفتحنا له أكثر، وتمددنا فى شمسـه ونعمنا بظلاله.. ولكن عذرنا أننا كنا صغارا.

وأردف الأستاذ أنيس قائلا – وقد كان يومها يدرس الفلسفة بالجامعة: «إن فهم الأستاذ العقاد للفلسفة التى ندرسها أحسن. وأدق. وأوضح».

ومن نافلة القول – أن نذكر – أن الكثيرين من شانئى الأستاذ العقاد أو قل ممن عجزوا عن استيعاب أغوار أدبه نثرا، أو أعماق فكره شعرا، قد دأبوا يرومون نفى العاطفة عن العقاد، و يرومونه بالعقل دونها، اذ أن العاطفة فى «هواجسهم» مغيبة لديه، مع أن الأستاذ العقاد كان يمثل مع عقلانيته وجبروت عقله فيما دبجته يراعته وأفاء به فكره. روح المفكر العبقرى المتزجة بعاطفة الأديب اللوزعى، فقد مج مرقمه بالسحر. ينفثه أفانين وألوانا من الشعر العاطفى الذى يخاطب العاطفة، والوجدان وإن كان لا يطغى على العقل فالعقل إمام للأدميين وأولى بالاتباع من كل إمام.

نقول هذا، وقد أخذنا العجب العجاب فيما قرأناه أخيرا للدكتور مراد وهبة فى كتابه الذى أسماه (ملاك الحقيقة المطلقة). فقد جاء فى الصفحة السابعة والسبعين تحت عنوان (العقاد وأفول العقل) ما كتبه من أن فهم العقاد لـ (جوتة) قد جاء فى ضوء العقاد نفسه بلغته العربية التى تتميز بجرس موسيقى قد يطغى على إبراز الفكرة.. ولم تجئ فى ضوء التنوير ولا فى ضوء فلسفة (كانت).. وأغلب الظن أن العقاد لم يفهم روح القرن الثامن عشر إلا على أنه القرن المتعطش إلى المعرفة والحرية، وهذه ألفاظ بلا مدلول لأن التعطش إلى المعرفة والحرية لا يميز هذا القرن وحده وإنما الذى يميزه هو دعوته إلى تحرير العقل من كل سلطان ما عدا سلطان العقل الأمر الذى أدى إلى أبداع الثورة العلمية والتكنولوجيا.

وتمنى الدكتور لو أن العقاد قد جاء نقده لـ (فاوست) من زاوية روح العصر، ولكنه لم يفعل. وإنما رد الإنتاج الأدبى لجوته إلى عبقرية جوتة.

وختم الدكتور مراد وهبة مقاله قائلا، والعقاد فى نهاية المطاف، لم يدرك روح عصر التنوير إذ يقول عن هذا العصر الذى نشأ فيه جوته إنه لم يكن عصر إحصاء بل كان عصر إحاطة وإجمال، وتمهيد من الإجمال إلى التفصيل.

وأنهى الدكتور مقالة بقوله: «وليس عندى من خاتمة توجز ما انتهينا إليه من تحليل فكر العقاد سوى.. عنوان هذا المقال» أى أفول العقل.

هل هذا كلام يا دكتور؟!. وهل هذا هو النقد العلمى؟!.. وهل هذا هو ما تعلمه لتلاميذك فى الجامعة عندما يريدون أن يتصدوا لمسألة فكرية أو علمية أو لمقولة فلسفية، أن يتهموا صاحبها – إن اختلفوا هم معه فيما قاله أو كتبه أو رواه بأفول العقل!.. أليس بمكنتنا إذن أن نقول للأستاذ الدكتور أن ألفاظه هى الأخرى، كما رمى الأستاذ العقاد،

بلا مدلول (لأن الدعوى) إلى تحرير العقل من كل سلطان ما عدا سلطان العقل كانت هى الأخرى مما يميز القرن السابع عشر. وكذلك القرنين الخامس عشر والسادس عشر، وقد ظهر فيهما العديد من المفكرين والعلماء الذين أحدثوا انقلابا فى تاريخ العلم والتكنولوجيا، فقد كان (كوبرنيقوس) هو العالم الذى قام بالانفلاق الأكبر عن الماضى مبشرا بمجئ عصر العلم الحديث مع بدايات اهتياج تمخض عنه أعظم كشوف القرن الخامس عشر: اكتشاف أمريكا وما تلاه من إبحار حول العالم عن فكرة كروية الأرض من استنباط عقلى إلى واقع عينى فى نهاية القرن الخامس عشر وألف كتابه العظيم «حول دورانات الكرات السماوية» فى منتصف القرن السادس عشر كما ظهر (فبياليوس) الذى فجر ثورة فى علم التشريح، كما اكتشف (ويليام هارفى) الدورة الدموية، أو بالأحرى حل مشكلتها، كما نشر الإيطالى (فانوكير بيرينجيكو) عام ١٥٤٠ بحثه حول استخدامات النار فى العمليات التقنية. كما كان هناك فى عالم الرياضة (كبلر) و(بيزاجاليليو جاليلى) و(روبرت هوك) و(فرانسيس بيكون) وغيرهم من العلماء الذى أحدثوا ثورة فى كل مجالات العلم المتباينة.

وفى غضون القرن السابع عشر ومنهم «إسحق نيوتن» الذى ابتكر حساب التفاضل والتكامل ناهيك عن نظرية الجاذبية الأرضية.

ثم أليس من الثابت – يادكتور مراد – أن مظاهر التطور فى حركة النقد الأدبى والتى كانت بمثابة الثورة العاتية على الكلاسيكية كما عبر الأستاذ الدكتور محمد زكى العشماوى قد تبلورت فى القرن الثامن عشر (وفى مذهب جديد)، كان أبرز صفاته التحرر والفردية. ومحاولة سبر أغوار النفس الإنسانية، واكتشاف أفاق جديدة لأسرار الابتكار والإبداع؟.

فيم – إذا – كان خطأ الأستاذ العقاد فيما ذهب إليه على نحو ما قلته: من أن الأستاذ العقاد لم يفهم روح القرن الثامن عشر، إلا على أنه القرن المتعطش إلى المعرفة والحرية؟! وهل يميز القرن الثامن عشر وحده بدعوته إلى تحرير العقل من كل سلطان ماعدا سلطان العقل.. كما قلت؟!.

قال فولتير: «إنى أختلف معك فى الرأى، ولكننى مستعد لأن أدافع عن رأيك أنت حتى الموت»؟!.

ألم يكن من اللائق – يادكتور وهبة – إذن – أن تختلف مع الأستاذ العقاد دون أن تصمه بأفول عقله؟!.

كما كنا نود وأنت الأســتاذ الكبير أن تيمم وجهك شــطر هذا، وإلا تكون كمثل الذين (قتلتهم أشعارهم)، أو – ياترى – هل أردت أن تقول للأستاذ العقاد ما قاله الشاعر إيليا أبو ماضى للبحر فى قصيدته العصماء (الطلاسم):

إنما أنت بلا عقل، ولى يابحر عقل فلماذا ياترى أمضى وتبقى؟..

«لست أدرى!».

❑❑❑

obeikandl.com

الغنم بالغرم.. والهنود الحمر؟!..

يقص علينا التاريخ أنه فى غضون عام ١٧٣٠ أصدر البرلمان الأمريكى تشريعا يبيح إبادة الهنود الحمر، كما أصدر قرارا بتقديم مكافأة كبيرة مقابل كل رأس مسلوخ لهندى أحمر سواء أكان رجلا أم امرأة أو طفلا صغيراً؟! حيث كان عدد الهنود الحمر سكان أمريكا الأوائل الأصليين يبلغ أثنتى عشر ومائة مليون نسمة وصل بعد عمليات الإبادة لهم إلى أربعة ملايين فقط بعد أن حصدهم الأمريكيون حصدا يعيشون فى مخيمات وهى أشبه بمخيمات اللاجئين الفلسطينين وفى مناطق أسوأ بكثير من أفقر المناطق فى العالم؟! ولم يبق منهم اليوم سوى مليون هندى أحمرا مع إنهم لم يكونوا هنودا ولم يكونوا حمرا وإنما أطلق عليهم هذا الاسم «كريستوفر كولومبس» عام ١٤٩٢ عندما حط على أرضهم، ويعيشون فى محميات مستقلة أطلق عليها أماكن تجميع الحيوانات حيث أرغمت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية هذه القبائل على الإنتقال والعيش فيها قبل أكثر من قرن من الزمان مع إنهم هم سكان أمريكا الأصليين (Native Americans)؟! وتعرضوا للمجازر الجماعية من قبل المستوطنين البيض سواء البريطانيين أو الفرنسيين أو الإسبان.

شبه المرحوم الكاتب الساخر الأستاذ محمود السعدنى رحمه الله – أمريكا – بأنها مثل «إبراهيم كروم» فتوة مصر فقد استطاعت – كما هو – أن تحطم كل الفتوات الأخرين وأن تزيحهم من طريقها وأن تدوس عليهم بالأقدام فالويل كل الويل لأية دولة تقف فى وجه أطماعها أو تتحدى إرادتها أو تخرج عن خطها فهى تارةً تتدخل بنفسها لإزاحة أية دولة تجابهها، وهى تارةً أخرى تستخدم – الآخرين – مثلما استخدمت إسرائيل ضد العرب حتى استلبت إسرائيل ـ فلسطين – من العرب؛ فلقد فلحت أمريكا فى وضع حكومة بريتوريا ضد أفريقيا، وباكستان ضد أفغانستان؛ والسان سلفادور ضد نيكاراجوا، وجواتمالا ضد كوبا، وتايوان ضد الصين، وكوريا الجنوبية ضد الكوريا الشمالية.

فأمريكا هى البلد الوحيد التى تطلق على حكومتها اسم إدارة لأنها ليست دولة ولكنها شركة (الغنم فيها بالغرم).

وقد غرم الهنود الحمر من خلال ثقتهم فى أمريكا وغنمت أمريكا من خلال سحقها ومحقها لشعب الهنود الحمر، فالهنود الحمر وكما أطلق عليهم هذه التسمية «كولومبوس»

عشية اكتشافه لأمريكا اعتقادا منه أنه حط رحاله على أرض الهند، وكذلك درجت أمريكا على إطلاق هذا الاسم عليهم تمييزا لهم عن الهنود السمر ثم بدلت أمريكا هذا الاسم إلى الأمريكيين الأصليين (Native Americans)، وكانوا كما عبر «راسل مينز» أحد المنافحين عن حقوق الهنود فى الولايات المتحدة الأمريكية يبلغ تعدادهم فى الماضى حوالى خمسة عشر مليون نسمة ولم يبق منهم اليوم سوى المليون يعيشون فى مخيمات مستقلة حقدا عليهم وإزدراء لهم، يحيط بهم أحاطة السوار بالمعصم جيش من الأوبئة والأمراض جرار وذلك من خلال أكبر جريمة عرفها التاريخ ومن بعدها ولدت جريمة اغتصاب فلسطين العربية من رحم الولايات المتحدة الأمريكية وشركائها الذين دبروا اغتصاب فلسطين بليل.

ولقد أرغم الهنود الحمر عبر مسيرة طويلة من الإبادة على عقد ثلاثمائة وسبعين معاهدة مع الحكومة الفيدرالية الأمريكية أنتهكت جميعها وأمست ذرات تذروها الرياح بعد الفتك بأصحاب البلاد الأصليين وإذ رست حرب الإبادة مرفأ نجاحها، وقف زعيم من زعماء الهنود الحمر وهو يخاطب مفاوضيه من الحكومة الأمريكية الفيدرالية كما جاء فى الكتاب القيم «أساطير الهنود الحمر» للأستاذ إبراهيم جلال.. قائلا لهم: «تطلبون منى أن أتنازل لكم عن الأرض؟ ولكن، هل أنا أملك الأرض حتى أملك حق التنازل لكم عنها؟ من يستطيع الزعم بأنه يملك الأرض والبحار والسماء؟! أنتم، عندما وصلتم إلى بلادنا، رحبنا بكم وعلمناكم كيف تبدأون حياتكم الجديدة على أرض تجهلونها، وتطلعنا إلى التعلم منكم، لكنكم رحتم تبيدون قطعان المواشى، وتدمرون الغابات، وتقتلون الناس!. نحن نأخذ من القطعان حاجتنا، ونأخذ من الغابات ما يلزمنا، فلماذا تبيدون القطعان وتدمرون الغابات؟! أشعر أن قلبى يدمى!».

أبادت أمريكا شعب الهنود الحمر وطمست تاريخه محاولة أن تلقى عليه تراب النسيان وأثبت التاريخ أن « أندروا جاكسون» رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق والذى يطلق عليه الهنود الحمر اسم «السكين الحادة» قد ذبح خلال عمله كضابط عشرات الألوف من الهنود فى أعجب وأغرب مأساة فى تاريخ البشر.

هل لنا أن نتعظ.. وأن نستقرئ التاريخ حتى نستبطن الظاهر، ونستظهر الباطن، ونعلم كيف يكون المغرم من البعض هو مغنم للآخرين كما حدث مع الهنود الحمر، وكذلك.. كما حدث مع شعب فلسطين؟!.

❑❑❑

ألف ليلة وليلة.. والقضاء المصرى..

يقول كوكاردو: «cacardeau» من احتكاك الإحساس بالإحساس والرأى بالرأى تتألق الحقيقة ويكون لها ضياء، والذى لا مرية فيه أن مقارعة الحجة بالحجة توصل إلى الحق الذى يسفر عن العدل والعدل أساس الملك والعدل هو رسالة القاضى. وكما ذكر الفيلسوف «Fermi» إن الأحكام التى تصدر بسرعة تكون فى الغالب الأعم فى منأى عن محجة الصواب.

والفيلسوف العظيم أرسطو فى كتابه «De mundo» يدعو إلى أن يتشرب القاضى منذ حداثة عهده الحب العدل وأن يسلك سبيله.

وبإمعان نظر، وإعمال الفكر أصدر النائب العام قراره الذى هو - كالحكم سواء بسواء - بحفظ البلاغات المقدمة ضد كتاب «ألف ليلة وليلة» وهو الكتاب الذى أسس على «فن الحَكْى» فى لغة الضاد، وترجم إلى اللغات الحية.

ودحض النائب العام اتهام الكتاب بالاحتواء على العديد من العبارات التى رأى فيها البعض ازدراء للدين الإسلامى وخدشا للحياء العام قائلا: «إن هذه الاتهامات بعيدة كل البعد عن فكرة انتهاك حرمة الأخلاق».

وإذا كان الشئ بالشئ يذكر - كما يقال - فلقد سبق أن ألصق بالعديد من التواليف الأدبية مثل ماوجه إلى الكتاب المذكور ويزخر التاريخ بروايات عديدة سار الحال معها على هذا المنوال، مثل: رواية دى كاميرون «الأيام العشرة» وكتاب مدرسة البنات (١٦٦٥) لمؤلفه ميشل ميليلوت، وكذلك كتاب (الكاما سترا - الهندا) الذى نشر عام ١٨٧٥ ناهيك عن غيرها من الكتب المغضوب عليها من بعض شانئى الفكر.

وأنصف القضاء فى الدول - صاحبة هاتيك الكتب - ما وجه إليها من سهام وأخلت سبيلها بعد (القبض) عليها، ومصادرتها؟.

إن قرار النائب العام أثبت بما لا يدع - مجالا للجاج - أن فى مصر قضاء.. وأن فى مصر قضاة.. كما أكد أن حرية الفكر المستنير لها رجالها.. ولها مفكروها.

❑❑❑

القضاء المصرى.. بين التقليد.. والتقاليد؟!

معنى القضاء هو الحكم ومن المتفق عليه أن معنى الحكم هو القضاء بالعدل بالقضاء إذن هو القضاء بالحكم بالعدل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ﴾ [سورة النساء – الآية ٥٨].. ومن نافلة القول أن نقول إن الكثيرين من ذوى الرأى والحجة قد أحجموا عن قبول تولى مناصب القضاء مع كونهم من العلماء، ومن زمرة الفقهاء، أحجم عنه الإمام (أبو حنيفة) وهو من هو، وولى الأدبار، وهرب منه الفقيه (أبو قلامة). وهو من العارفين التقات واختفى فى الأمصار، وهو يقول: ما وجدت مثل القاضى إلا مثل سابح فى بحر، فكم عسى أن يسبح حتى يغرق.

بل ها هوذا (ابن مكحول) العالم اللوذعى يجأر بالشكوى منه ويشيح بوجهه عنه وهو الذى جأر قائلا: لو خيرت بين أن يضرب عنقى وبين القضاء لاخترت ضرب عنقى؟!.

كما أن معنى القاضى القاطع للأمور المحكم لها ومن هنا قيل «للحاكم قاض».. لأنه يمنع الظالم من الظلم، ويرد الحقوق إلى أهلها ويقيم العدل وهو أساس الملك بين الناس قال تعالى ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [سورة ص – الآية ٢٦] واستدل الشراح من هذه الأية الكريمة على أن رسالة القاضى هى جزء من رسالة الأنبياء. ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة النساء – الآية ١٠٥].

والثابت أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مارس القضاء فى شتى مناحى الحياة ونواحيها، وقلد بعضا من أصحابه وظيفة القضاء، وهو عليه الصلاة والسلام، يحذرهم، وينبههم، من هول ما يجابه القاضى، وما يلقاه يوم القيامة يجاء بالقاضى العدل – يوم القيامة قيلقى من شدة الحساب ما تمنى إنه لم يقض بين اثنين قط.

والمعروف أنه عليه السلام لم يول امرأة منصب القضاء فى قطر من الأقطار.. أو مصر من الأمصار، والمأثور عنه عليه الصلاة والسلام أنه لما بلغه أن «فارس» ملكت عليها ابنة (كسرى) قال (لن يفلح قوم ولوا أمورهم امرأة)؟. ولم يذكر لنا التاريخ أن الله سبحانه وتعالى قد أرسل من بين رسله أو اصطفى من بين أنبيائه الذين أرسلهم للناس كافة.. امرأة.. ولو أراد سبحانه لفعل.. فلماذا إذن يريد البعض مالم يرده الله؟.. نقول هذا لمن قال إن الدستور

لا يمنع المرأة من أن تتوسد كرسى القضاء أو لمن قال إن قانون السلطة القضائية لم يحظر ذاك. ثم نقرع حجتهم بالحجة مذكرين: (أولا) إن كان صحيحا أن الفقهاء، قد اختلفوا فى شرط الذكورة لمن يتولى القضاء، بيد أن الأمر الراجح، هو ما اتفق عليه جمهور الأئمة وزمرة العلماء. أن اشتراط أن يكون من يتولى القضاء هو من الرجال دون النساء، هو حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، القضاء ثلاثة: واحد فى الجنة، وإثنان فى النار، فأما الذى فى الجنة فرجل عرف الحق فقضى به، وأما الذى فى النار فرجل عرف الحق وجار فى الحكم فهو فى النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار.. ووجه استدلالهم بهذا الحديث هو أن الرسول عليه السلام قد أفصح بما لا يدع مجالا للشك أو اللجاج من أن القاضى يجب أن يكون من الرجال.

(ثانياً) تقول الآية الكريمة من سورة البقرة (٢٨٢) ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ﴾. هذا النص الصريح يؤكد أن المرأة لا يصح لها أن تشهد فى الأموال أما فى القصاص والحدود فالفقهاء مجمعون على عدم قبول شهادتها فيما، وإذا كانت قد قبلت شهادتها مع الرجل كما فى الشهادة فى الأموال فمعنى هذا أنه لا يجوز لها أن تتولى إلا بالاشتراك مع الرجل.. وهنا غير جائز فى القضاء.. لأن القضاء (لا يتبعض).. أى لا يتجزأ.

(ثالثا) من ارتفعت عقيرتهم بالمناداة بتولى المرأة قضاء الأحداث بحسبان أن محاكم الأحداث ليست بمحاكم جنائية .. مردود عليهم بأن قضايا الأحداث كثيرا، ما تكون فى حقيقة أمرها أقضية جنائية عقوبتها كما فى الشريعة الإسلامية حدودا وقصاصا.. والفقهاء قد أجمعوا على عدم شهادتها أو بالأحرى قبولها فيها وكما أسلفنا القول.

(رابعاً) إن القاضى بحكم عمله – يتعرض للمدح والقدح، وللقيل والقال ونصف الناس له أعداء هذا إن عدل. فكيف بالمرأة إن تولت وظيفة القضاء وهى صاحبة العاطفة الجياشة وذات الخدر والحياء؟!.

(خامساً) من الثابت علميا، وكما عبر المفكر الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد أن إرادة المرأة الفردية تختلف عن إرادتها النوعية.. فكيف بالله تقضى بين الناس مع اختلاف هاتين الإرادتين؟.

(سادسا) جاءت فتوى الأزهر الشريف الصادرة عام ١٩٥٢ – ولم تصدر فتوى أخرى تناقضها تؤكد: «أن الإجماع كان منعقدا على بطلان تولى المرأة القضاء، وإثم موليها، فلا اعتداد برأى من قال بجواز توليها القضاء. بعد انقراض عصر المجمعين من غير دليل معتبر ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [سورة النساء – الآية ١١٥].

أَوَ بعد هذا هل يجرؤ قائل على جواز تولى المرأة القضاء؟!.

ياليتنا نأخذ بالتقاليد المجيدة التليدة.. تقاليد القضاء الإسلامى الشامخ.. وتقاليد قضاء مصر الساطع البازغ الذى أرساها عبر حقب طويلة من الزمان.. وننحى جانبا التقليد، (الوليد) الذى يحلو للبعض بين الحين والحين أن يلوح لنا بزرائعه، وهى أشبه بذراع من جريد، وليست بالقطع هى فى يد من حديد (؟) مع الاعتذار لأستاذنا العقاد، طيب الله ثراه، حتى يظل القضاء المصرى كما كان دائما ودوما فى موقعه من الأمن والأمان صونا له، ولنا ورحمة بكل إنسان؟.

❑❑❑

القضاء.. بين الماضى والحاضر..

وذكـر إن نفعت الذكرى، فما زلـت مؤمنا أن قضاء مصر وقضاتها فخر الأجيال والدرع الواقى لكل مظلوم، وهو الأمن والأمان والكرامة لكل جيل من الأجيال، وهو فخر مصر أمام العـالم أجمـع ومازلت أذكر أن عبد العزيز فهمى باشـا أول رئيس لمحكمة النقض والذى أرسى مع زملائه المبادئ التى يهتدى بهديها القضاء.

فقد كان يذهب إلى محكمة النقض فى عربة سـوداء مغلقة، وكذلك يعود بها إلى منزله نأيا بنفسه عن أن يراه أحد من الناس.

وتعود بى الذكرى مرة أخرى إلى وزير العدل الأسـبق المرحوم «أحمد خشبة باشا» وكان قـد أصدر الحركـة القضائية فى أحد الأعوام، وإذا بصديق يدخل عليه مكتبه مغضبا قائلا له: لماذا لم تعين فلانا قاضيا، إنه يصلح أن يكون وزيرا فأجابه على الفور : قد يصلح أن يكون وزيرا لكنه لا يصلح أن يكون قاضيا.

ذلك ما كان عليه القضاء فى زمن ليس ببعيد.

والقاعدة المعمول بها الآن يشـملها العوار لأنها تعتمد على درجات شـهادة الليسـانس بالإضافـة إلى امتحان شـفهى شـكلى لا يؤدى إلى غرضه، الأمر الـذى ترتب عليه إلحاق البعض فى سلك القضاء مع أنه ما كان يصلح له، وقد يفلح فى وظائف أخرى.

ومن هنا فإننا نرى أنه يجب أن يوضع نظام جديد للقبول فى السلك القضائى يقوم على وضعـه كبار رجال القضاء لا يعتمد فقط على الدرجات الدراسـية ولكن يكون قوامه التأكد من صلاحية من يريد أن يلتحق بالقضاء من الناحية النفسـية والثقافية لاختيار الصالح من بين المتقدمين.

وأخـيرا يحضرنى قول القائل: «خذوا حذركـم من نوبة الدهر فإنها إذا لم تكن حانت فسوف تحين».

❑❑❑

القضاء ذلك الحصن ..

القضاء فى مصر هو الحصن المنيع، الذى بقى لنا بعد الأختراق الذى حدث فى السلطتين التشريعية والتنفيذية فى عهد ثورة يوليو. بل إن هذا الحصن نفسه جرى اختراقه فى عهد الثورة، وشهد تاريخنا القضائى ما عرف باسم «مذبحة القضاة». وفى عهد السادات، وعلى الرغم من إعادته للقضاة الطمأنينة والأمن، فإن أحكام القضاة فى القضايا السياسية كثيرا ما حدث تجاهلها وتوقيفها بمقتضى قانون الطوارئ.

وقد أتيح للقضاة الفرصة لكى يلعبوا دورا هاما فى صيانة الحريات السياسية، جعلهم جزءا لا يتجزأ من الحركة الوطنية ،وأصبح القضاء عنصرا هاما فى إلغاء سلبيات السيطرة على السلطتين التشريعية والتنفيذية، وإقامة نوع من التوزان الفريد، تقف فى كفته الأولى السلطتان التشريعية والتنفيذية، وتقف فى الكفة الثانية السلطة القضائية. وفيه تستطيع السلطتان التشريعية والتنفيذية، ممثلتين فى مجلس الشعب والحكومة، ارتكاب الأخطاء والتجاوزات والانتهاكات. وتقوم السلطة القضائية ـ عن طريق أحكامها ـ بإلغاء أثر هذه الأخطاء والتجاوزات والانتهاكات!.

ولكن القضاء لا يقتصر دوره على الدور السياسى، فدوره الأساسى هو الفصل فيما يشجر بين الناس من خلافات، سواء كانت هذه الخلافات جنائية أو مدنية أو تجارية وسواء كانت خلافات تتعلق بالأحوال الشخصية بين الزوجين، أو بالأحوال الاقتصادية بين العمال وأصحاب الأعمال.

وهذا التفرع فى مجالات الفصل، يتوقع المرء أن يتبعه تفرع فى مجالات التخصص، لأن هذا التفرع فى التخصص هو الذى يتبادر إلى الذهن لأول وهلة، كما و الحال بالنسبة لكل فروع العلم. فحق فى مجال علم التاريخ بتخصص الباحث – منذ البداية – فى فرع التاريخ الإسلامى أو القديم أو الوسيط أو الحديث أو المعاصر، ولا يحاضر أستاذ التاريخ الحديث فى موضوعات التاريخ القديم، والعكس بالعكس.

ولكن فيما يبدو أن ما يعتقده المرء أمرا بديهيا لا يحتاج إلى إثبات فى العالم الخارجى، يحتاج إلى إثبات فى مصر ! فكم عجبت حين كتب إلى المستشار محمد مرشدى بركات

رسالة يعنى نفسه فيها بإثبات هذه البديهية!. وكنت أعتقد أن مجرد الإشارة إليها كاف فـى حد ذاته للتنبيـه إليها ومعالجتها – الأمر الذى أوضح لى كيف تحولت هذه البديهية إلى قضية عويصة تؤثر سلبا على رجال القضاء، بل تؤثر أيضا على مصلحة المتقاضين وتؤثر على الأحكام، حتى إنها لتعد السبب الرئيسى فى كل الأزمنة الحالية للقضاء فى مصر.

وبطبيعة الحال فلسـت أنوى أن أعالج القضية على أنها بديهية، وإنما أعالجها على أنهـا قضية عويصة تتطلب تدخل وزير العدل، إن لم تتطلب تدخل رئيس الدولة، حرصا علـى أن يأخـذ العدل مجـراه فى بلادنا، ومن أجل ذلك – الكلام على لسـان أ. د. عبد العظيم رمضان – فإنى أنشر الحيثيات التى كتبها المستشار محمد مرشدى بركات للتدليل على أهمية تخصص القاضى، وتمضى على النحو الآتى:

أولا: إن تخصص القاضى يعد ضمانة للقضاة والمتقاضين، حيث يتيح التخصص للقاضى المزيد من الإطلاع على الفرع الذى تخصص فيه، والعكوف على البحث والاسـتقصاء فيما تخصص فيه من فروع القانون. وفى الوقت نفسه فإن هذا التخصص يضمن للمتقاضين وجود القاضـى العالم الملم بدقائق الموضوعات والتباينات المتفرعة من القضايا، الأمر الذى يترتب عليه – سرعة البت فيما يثار أمامه والدقة فى اتخاذ القرار، وصحة الأحكام.

ثانيا: إن عدم تخصص القاضى يعرضه دائما لعدم الاستقرار الذهنى. إذ أنه يتعرض كل عام أو عامين للتنقل من عمل إلى عمل، بعد أن يكون قد سبر غور العمل الذى نهض به، ويكـون عليه أن يبدأ من جديد فى البحث والاطـلاع والتمكن من الفرع الذى انتقل إليه، حتى يسـتطيع أن يحكم بالعدل بين الناس، وقبل أن يتمكن من ذلك يفاجأ بالانتقال إلى عمل آخر وعلم جديد، فيعيد الكرة من جديد!.

وفى الوقت نفسـه، ويضاعف من حجم المشـكلة، تضخم أعداد القضايا التى عليه أن يقضى فيها شـهريا، من مختلف التخصصات. فلم نسـمع عن قاض من القضاة فى جميع أنحاء العالم يقضى فى آلاف القضايا شهريا، وفى أكثر من فرع من فروع القانون – ما بين مدنـى وجنائى وأحوال شـخصية – فى وقت واحد؛ بل إننا سمعنـا عن القيامة تقوم فى أحد البلاد الأوربية عندما رفع نصيب القاضى فى ذلك البلد من ثلاث قضايا فى الشهر إلى خمس قضايا ! ولم تهدأ الأمور حتى عاد النصاب المقرر للقاضى إلى ما كان عليه!.

ثالثـا: إن طبيعة عمل القاضى، تحتم عليه ألا ينحصر علمه داخل تخصصه، إذ عليه أن يثقف نفسه بشتى ألوان المعرفة، وقد كان والدى رحمه الله – وكان من أعلام القضاء –

يقـول إن القاضـي يجب أن يعرف كل شـئ. ومن هنا كانت قراءاتـه المتنوعة واطلاعاته الواسعة. وعلى سبيل المثال فإن القاضى يجب أن يكون مثقفا فى اللغة العربية وواقفا على دقائقها لكى يدون بها أحكامه، فاللغة وعاء الفكر، ولعل أكثر القضاة علما أكثرهم سـبرا لأغـوار اللغة العربية وأسـرارها – ناهيك عن ضرورة اطلاع القاضـي على أحدث المراجع المختلفـة والنهل مـن مناهل العلم المتباينة. ومن البديهـي أن القاضى المصرى لا يتأتى له ذلك، وهو غارق فى بحر لجى من فروع القانون المتضاربة المختلفة.

رابعا: لولا التخصص، ما عرفت مصر علامة مثل السـنهورى باشـا، الذى بز أترابه، وفـاق أقرانـه، وكان علما فى جيله وفى جميع الأجيال، وأصبحـت تواليفه ومؤلفاته فى القانون المدنى الذى تخصص فيه، مرجعا هاما ورئيسيا لكل قاض، ولكل أستاذ من أساتذة القانون فى مصر وفى البلاد العربية قاطبة.

خامسـا: من العجيب والغريب معا أن قانون السلطة القضائية (القرار بالقانون رقم ٤٦ لسـنة ١٩٧٢) قد حل – بالفعل – قضية التخصص. فقد نص فى المادة الثانية عشـرة منه على أنه يجوز تخصص القاضى. بعد مضى أربع سنوات على الأقل من تعيينه فى وظيفته. ويجب أن يتبع نظام التخصص بالنسـبة للمستشـارين، وبالنسبة لمن يكون من القضاة قد مضـى علـى تعيينه ثمانى سـنوات. ويصدر بالنظام الذى يتبع فـى التخصص، قرار من وزيـر العدل، بعد موافقة المجلس الأعلـى للهيئات القضائية، على أن تراعى فيه القواعد الآتية:

١ – يكـون تخصـص القاضى فى فرع أو أكثر من الفروع الآتية: «جنائى مدنى تجارى أحوال شخصية – مسائل اجتماعية (عمال)».

ويجوز أن تزاد هذه الفروع بقرار من المجلس الأعلى للهيئات القضائية.

٢ – يقـرر المجلس الأعلى للهيئـات القضائية الفرع الذى يتخصص فيه القاضى، بعد استطلاع رغبته. ويجوز عند الضرورة ندب القاضى المتخصص من فرع إلى آخر.

والسؤال الذى يثور: أين ذهبت هذه النصوص؟ ولماذا لم تطبق حتى الآن؟.

سادسا: إن سمو مركز القاضى يحتم على الدولة أن ترفع عن كاهلة هذا الظلم الشديد، الذى يعرضه فى عمله للعنت والمشـقة من جراء عدم تخصصه. ولقد كان شيخ القضاة عبد العزيـز فهمى باشـا هو الذى عبر فى أهمية رسـالة القاضى خير تعبـير عندما قال قولته

الخالـدة وهو يرفض منصـب الوزير فى عام ١٩٢٨ قائلا: «إن مركـز القاضى من الدرجة الثانية أكرم عندى من مركز الوزير». وقد اشـتكى يلزاك من أن فرنسـا فى حاجة إلى ستة ألاف قاض، ولا يوجد جيل يضم ستة ألاف رجل عظيم ! ونحن نقول إن مصر فى حاجة إلى عشرة ألاف قاض، ولا يوجد جيل من الأجيال يضم عشرة آلاف رجل عظيم!.

انتهت رسـالة المستشار محمد مرشدى بركات الرئيس بمحكمة استئناف القاهرة، وهى رسـالة خطيرة بكل المعايير، بل هى رسـالة تثير الإزعـاج، لأن الأمل فى العدل – عدل القضـاء – هو الذى يمنع الناس من الاقتصاص لأنفسـهم بأيديهم. وهذا العدل يتطلب من القاضـى أن يكون متفقها فيما يحكم فيه، وهـذا التفقه لا يتأتى إلا عن طريق التخصص، وفى الوقت نفسـه فإن هذا العدل لا يتأتى إلا إذا كان لدى القاضى الوقت نفسـه فإن هذا العـدل لا يتأتـى إلا إذا كان لدى القاضى الوقت الكافى لوزن الأدلة والبحث فى المراجع، وتحـرى الدقـة فى حكمه، وهذا كلـه لا يتأتى إلا إذا كان عدد القضايـا التى ينظر فيها فى حدود إمكانياته البشـرية، فإذا تجاوزت هذه القضايا تلك الإمكانيات البشـرية، وإذا كانت هذه القضايا فى الوقت نفسـه قضايا متنوعة تنتمى لأكثر من فرع من فروع القانون، ما بين مدنى وجنائى وأحوال شـخصية كيف يمكن لشـعبنا الاطمئنان إلى أن العدل سوف يأخذ مجراه؟.

صحيـح أننا نملك فى مصر قضاة نفخر بهم نزاهة وعلما، ولكن العدل يتطلب أكثر من ذلك، أى يتطلب أن نوفر للقاضى الفرصة لكى يمارس نزاهته وعلمه، وذلك بتخصصه فى فرع من فروع القانون من جهة، وعدم إثقاله بألوف القضايا التى تحتاج إلى وقت لا يملكه من جهة أخرى فإذا لم تفعل ذلك فإننا نكون قد دفنا رؤوسنا فى الرمال.

❑❑❑

المكتبات الموسيقية

جبلت النفس على كراهة ما تجهله ومن هنا ظهر ما يسمى بالمعاداة «messonism» للجديد، وفقا لمصطلح «يونج Yong».. أحد أقطاب علم النفس الثلاثة (فرويد، وأدلر، ويونج).

والذى نراه أن هذه القاعدة أو المقولة تنطبق على الأدب برافديه.. الشعر والنثر.

كما أنها تكاد تشمل كذلك الفنون الأخرى ومنها فن الرسم، وعلى سبيل المثال فإن لوحات الرسام العالمى السيريالية «بابلو بيكاسو» «Picasso Pablo» لا يهضمها أو يستسيغها الكثيرون.. مع أن لوحاته تباع بالملايين من الدولات وكان بين هؤلاء أستاذنا «العقاد».

أما الموسيقى هذا الفن الرفيع، فالجميع يرهف أذنه – ولا نقول آذانه – لأن لغة الموسيقى لها نشوة وسعادة بالغين.. لماذا؟.

لأنها ليست لغة عالمية فقط، ولكنها مجموعة من اللغات تخاطب كل فرد وكل شعب، فلكل منهما لغته الموسيقية.

توارث الإنسان حب الموسيقى عبر آماد طويلة من الزمان، وكذلك كانت هى مع الحيوان، فإن الحيوان يطرب أيضا للموسيقى – كما يطرب لها الإنسان، ويُحكى أنه قد حدث فى «هولندا» أن عولج بها نوع من الماشية أصيب بمرض، جعل اللبن يتأبى عليه، فعُزفت له الموسيقى، فأحدث له التأثير الموسيقى ما بدد سقمه ودر لبنه، ومن المعروف أن الخيل تهيم بالموسيقى وتتأثر بسماعها حتى إنها ترقص على إيقاعها، والأمر هكذا مع الطيور فى التأثر بالموسيقى وثمة أنواع منها يبلغ تأثرها بها مبلغا كبيرا، فإنها تأنس بها فى وحدتها، وقد لاحظ العلماء أن عصفور «الكنارى» يهيج بسماع الموسيقى فيأخذ بالغناء والتغريد.

ويحكى التاريخ أنه فى أيام الجاهلية الأولى كان العربى وهو يشق بطون الصحراء يلجأ إلى الحِداء ليُنسى إبله الإجهاد ومشقة ارتيادها للصحراء المميتة ليخفف عنها ما فيها من آلم وما اعتورها من جوع وما استبد بها من ظمأ فيبعث فيها الحيوية والنشاط.

وفى أقدم الأساطير أن الكثير من الرعاة كانوا يستخدمون المزامير فى الترويح عن أغنامهم، فتُقبل بعد ذلك على رعى الكلأ بشهية وإقبال، وها هى ذى التوارة تقص علينا

أن النبى داود عليه السلام وفى أثناء رعيه لأغنامه، كان يدندن لها بمزاميره ليخفف عنها مشقة الطريق فورد فيها : كان داوود هو أصغر الرعاة وبينما كانت الحرب مشتعلة بينه وبين أعدائه كان يردد هذا النبى عليه السلام مزاميره وبيده القثيارة التى يعزف عليها.

وقد إهتم حكماء العرب فى فجر الحضارة العربية «بالموسيقى» كوسيلة ماضية للعلاج من الكثير من أوصاب الأمراض، ومن هؤلاء «الكندى» و«الشيخ الرئيس ابن سيناء» و «الرازى»، وكذلك الفيلسوف «ابن رشد»، و«ابن سيمون» فى الأندلس، وعنهم انتشر استعمال الموسيقى فى القارة الأروبية.

وعندما بزغ الإسلام استهل بها نغمة الآذان، فكانت - بهذه المثابة - البوادر الفنية للموسيقى فى هذا العصر فى العام الأول أو الثانى من الهجرة على يد (بلال الحبشى) الذى كان أول من قام بتأدية الأذان، ومما يروى أن النبى «محمد» كان يقول له: (يا بلال غن الغزل).

ومرت بالموسيقى عقود طويلة حتى وصلت إلى الموسيقى «الباروك» التى تأسست فى أوروبا وبدأت فى عهد الموسيقار «بالسترتبا» وظهر من بعده الموسيقار «جان باخ»، وجاء العصر «البرومستيكى»، ثم العصر «الرومانتيكى» فى بداية القرن التاسع عشر.

والذى لا مراء فيه أن للموسيقى شأو كبير وأثر عظيم فى تربية الشعوب ولا سيما النشء والشباب، فهى تهذب الأخلاق وتشذب الأذواق وتبعث الحمية والحيوية فى سويداء القلوب، وكان «هلتر» الزعيم النازى يتفاخر بذلك، ويقول: إن سبب قوة شباب ألمانيا ونشاطهم وحيويتهم هو الموسيقى.

لذلك تتسابق الدول المختلفة ولا سيما المتحضرة منها إلى العناية بالموسيقى والاهتمام بالتربية الموسيقية ونشرها بين أبنائها متبعة فى ذلك فكرة «المكتبات الموسيقية».

وهذه المكتبات عبارة عن دور خاصة مجهزة بأحدث أجهزة الاستماع والتسجيلات الموسيقية الممتازة، وكتب ومراجع للإطلاع والبحث، وقاعات لإقامة المحاضرات والندوات الثقافية الموسيقية.

وتعد هذه المكتبات ركنا هاما وخطيرا من أركان الثقافة الموسيقية وتوجيهها توجيها رشيدا مبنيا على سياسة مدروسة تفى بحاجات الشباب الموسيقية.

فحبذا لو اهتمت - وزارة الثقافة - بالأخذ بهذه الفكرة - فكرة المكتبات الموسيقية - وتعميمها فى أقاليم مصر حتى نطبع شبابنا بطابع الموسيقى فيستفيدوا، ويفيدوا!..

تعمير صحراء سيناء

أثبتت البحوث القيمة التى قام بها مجلس الإنتاج القومى ووكالة هيئة الأمم التحدة لإغاثة اللاجئين أنه فى الإمكان توصيل مياه النيل إلى صحراء سيناء بتوسيع ترعة الإسماعيلية، وعمل أنفاق تحت قناة السويس، مع وضع طلبمات فى شرق القناة لرفع المياه إلى الصحراء، كما أثبت بحوث كل من المهندس المصرى عدلى عرابى.. والمهندس الأمريكى جون أديكسون أنه يمكن توصيل مياه النيل إلى سيناء بعمل ترعة عبر صحراء الصالحية تغذيها مياه المصارف التى تصب فى بحيرة المنزلة، وبحرا حادوس وبقر.. لذلك فإنى أقترح أن تقوم حكوماتنا الرشيدة – وهى العاملة على مصلحة الشعب ورفع مستواه.. بإقرار تنفيذ مشروع تعمير سيناء.. الذى سيكون له كبير الأثر فى مواجهة الزيادة المطردة فى السكان وذلك باتساع رقعة الأرض مع وجود مقومات الحياة بها.

❑❑❑

obeikandl.com

النائب العام .. محامى الشعب

فى سفره الذى حوى بين دفتيه روائعه عن «فن القضاء» تساءل القاضى الفرنسى «ج. رانسون» ماهو فن القضاء؟ وأجاب: هو مجموع القواعد التى تقوى الاستعداد الطبيعى عند القاضى وهو بصدد تطبيقه للقانون. فلا يعتذر بأنه قد خدع ولا يقصر فيما يمكن عمله لأنه - بهذه المثابة لم يؤد واجبه .. ويجب أن يكون رحيما مع المستضعفين.. قاهرا للمستكبرين، كما ذكر «فرجيل» وأن يكون على نزاهة تامة واستقلال مطلق وضبط نفس وذكاء وأن يكون متمكنا من العلوم القانونية قمين به كذلك أن يكون دائم النظر فى أحوال الناس.

ولقد صافحت الأعين الخبر الذى نشرته حميع الصحف السيارة أن النائب العام قد توجه باقتراح إلى المستشار ممدوح مرعى وزير العدل السابق لتعديل قانون العقوبات لحماية أرواح المصريين بالخارج وأن تختص السلطات المصرية بالجرائم التى تقع على كاهل المواطنين المصريين خارج البلاد إذ خلا قانون العقوبات المصرى وطبقا لما نصت عليه المادتان الثانية والثالثة منه - من هذا الأمر الحيوى.. وذلك احتراما لكرامة الإنسان المصرية، وسلامة جسده وممتلكاته ودرءا لأى اعتداء يتعرض له خارج الديار، ناهيك عن حماية المصالح الحيوية للدولة إذ أن الدستور المصرى قد قنن ذلك.

لا مشاحة أن النائب العام قد أضحى ـ بهذه المثابة ـ ضمير الشعب المصرى.

وإنى أقترح أن يطلق عليه (محام الناس).

❑❑❑

النفاق جرثومة الداء.. وسر البلاء.. وفساد العباد والبلاد؟!..

لا مشاحة أن المؤمن يحسن الحسن ويقويه.. أما المنافق فيقبح الحسن ويوهيه، والمنافق يُدخل فى كل حُب حبِ وفى كل رغبة طمع وفى كل خير شر لا ينتهى من نفاقه إلا ليبدأ ولا يبدأ حتى ينتهى، وهكذا دواليك – عود على بدء يغفو على نفاقه فهذا هو مبتغاه لا يعرف الصدق فقد شاقق الله ومن ثم عاداه، ولم يرتض عن فسقه بديلا، بمنهجه الذى تغياه يمسى ويصبح فى فرح، فارح بنفاقه، يظن أنه بالمداهنة أصبح فى عداد الفائزين السعداء لا يغلب عليه الملال، وهو فى حقيقته من التعساء الذين توعدهم الله بالعذاب الأليم مع غيره من الأشقياء الذين اتخذوا النفاق دينا لهم لا يبغون عنه عوجا أو سبيلا.

هو يخلع رداء النفاق تارة ثم يرتدى مسوحه طورا آخر متسربلا بالغش والخداع يقتل نفسه بنفاقه ويزرى عقله بكذبه ورياءه، فالمنافق دائما وأبدا يحترف الكذب لا يخاف ربه فقد ران الظلام عليه وسعى الفساد سعيا إليه، هو كالأرض النشاشة وهى السبخة التى يمتزج فيها الملح بالماء فيقتل الملح أرضها ويميتها ثم لا يحييها فهى غريزة النفاق التى تأصلت فيه تدور معه ويدور بها لا ينفك يتحول عنها فهو مقيد بأهوائه ونزعاته وكلمتا الفضيلة والاعتداد بالنفس معدومة فى لغة الأهواء والنزعات وطالما رضى عنه المنافقون ممن على شاكلته فيظل ركينا هادئا مشدودا بأعضاده فى طبقات الأرض ولا جَرَمَ أن يكون خسفا فى أديم الأرض، والمنافق يظهر غير ما يبطن ويبطن غير ما يظهر تحقيقا لمصلحته الذاتية فهو يعتنق الأباطيل ويطمح فى البراطيل عن طريق الزلفى والوشاية والغواية، والنفاق ظاهرة مَرَضية وهو إن كان دليل ضعف للمنافق فهو دليل قوة للذى ينافقه فأحيانا يكون على ذات دربه من النفاق، والكذب هو من خصال المنافق يقول الرسول الكريم عليه صوات الله وسلامه: «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهم كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر»، كما يقول صلى الله عليه وسلم: «اتقوا الله من الشرك الأصغر» قالوا: «وما الشرك الأصغر يارسول الله؟ قال: النفاق فإنه يدب على القلب دبيب النمل»، وقد حرمت الأديان جميعها

النفاق ففى الديانتين المسيحية واليهودية ذكر العهد القديم كلمات لا تسرق ولا تكذب ولا تغدر بصاحبك .. وهاتيك هى علامات المنافق.

ظهر النفاق فى ضحى الدولة الإسلامية بعد أن أصبح الإسلام دولة وقوة، وجاء الإسلام ليقسم النفاق إلى نوعين (اعتقادى) وهو الذى يظهر صاحبه الإسلام ويبطن الكفر، و(عملى) وهو الذى يأتى أعمالا من أعمال المنافقين مع بقاء الإيمان فى القلب.

والنفاق فى اللغة العربية هو من النفق الذى تحفره بعض الحيوانات فى جحورها بغزيزتها دفاعا عن نفسها فتجعل فيه فتحتين أو أكثر فإذا هاجمها عدو من واحدة خرجت من الأخرى، وقد سمى المنافق منافقا لأنه يجعل لنفسه وجهين يظهر أحدهما ويخفى الآخر حسب الموقف الذى يجابهه.

وكما ألمعنا فإن المنافق لا مندوحة له من اقتراف الكذب ويذهب علماء النفس إلى أن الكذب أنواع: فمنه الكذب المثالى وكذب المبالغة والكذب المرضى، والكذب الانتقامى ناهيك عن الكذب الاجتماعى وهو شر أنواع الكذب لإسقاط اللوم على شخص يكرهه أو يغار منه وهو أشد أمراض الكذب على الصحة النفسية وعلى كيان المجتمع برمته، عرفه قدماء المصريين وعانت منه أكثر شعوب الأرض ومنها بداهة مصر التى انتشر فيها انتشار النار فى الهشيم،وكان سببا فى استبداد حكامها وتخلف شعبها ونهب أموالها وافتقار أهلها وقد أسهم المنافقون فى طغيان حكامهم حتى بلغ بهم الظلم مداه وجب ماسواه فقد أحس كل منهم بعد نفاق شعوبهم إليهم أنه الإله وباطل كل ما سواه.

انظر إلى «أبى نواس» وهو يمدح «الرشيد» قائلا: وأخفت أهل الشرك حتى إنه: لتخافك النُطف التى لم تُخلق؟.

وهاك آخر، وجه حديثه إلى الرئيس الراحل «جمال عبد الناصر»: إنك لو أدركت نزول الوحى لأنزل الله فيك قرآنا؟!

ومن خلال هذه الظاهرة..ظاهرة النفاق التى تفشت بين البشر،حدد العلماء اليوم الرابع من فبراير (يوما عالميا للكذب)؟.

وتعريف النفاق كما جاء فى قاموس (المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية) المنافق هو: الذى يخفى الكفر ويظهر الإيمان، ويضمر العداوة، ويظهر الصداقة خلاف ما يبطن.

يجامل ويكثر من مجاملاته ليجلب محبة الناس وهو كالوسواس الخناس، مهما كرت السنون وتوالت الأيام لا يهدأ له بال من خلال حقده وحسده إلا ويتمنى لمن

يعرفــه أو يصادقــه أن تلم به ضائقة أو تتربص به المحن والإحن و يا ليتها تنتهى به إلى الموت الزؤام.

وقد هتك الله ســبحانه وتعالى أســتار المنافقين وكشف أسرارهم فى القرآن الكريم وجلَّى لعباده أنوارهم، وقد ورد ذكر المؤمنين فى كتاب الله فى أربع آيات، وفى الكفار آيتين وفى المنافقين ثلاث عشــرة آية لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم فكم من فضل للحق هدموه وكم من حصن له قد نزعوه من أساسه وخربوه.

يقــول الله تعــالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة التوبة – الآية٦٧ – ٦٨].

والمنافق دائما يغمط الحق ويلوذ بالباطل فالقيم «VALUES» والمعايير «Norms» غائبة عنــه بــل معدمة لديــه فهو يتكبكب دائما فــى نفاقه كأن النفاق هو الثــوب الذى يرتديه ويتسربل به تسربل الرهبان وهو كالأفعوان.

ويقــول «الإمام ابن القيم» عــن النفاق إنه الداء العضال الباطن الذى يكون الرجل ممتلئا منــه وهو لا يشــعر فإنه أمــر خفى على الناس وكثيرا ما يخفى علــى من يلبس به فيزعم أنه يصلح وهو فاســد، وهو نوعان أكبر وأصغر فالأكبر يوجب المكوث فى النار فى دركها الأسفل.

ويســتطرد «ابن القيم» واصفا المنافقين أنهم: «أحســن الناس أجســاما وأخلبهم لســانا وألطفهم بيانا وأخبثهم قلوبا وأضعفهم جنانا. فهم كالخشــب المســندة التى لا ثمر لها. قد قُلعت من مغارســها فتساندت إلى حائط يقيمها، لئلا يطأها السالكون ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [سورة المنافقون – الآية ٤] فلا يزال الناس منهم فى محنة وبلية.

وقد ســجل التاريخ الأدبى وصفا لأعرابى أجاد وأفاد فى وصف المنافق فقال: «إن سأل ألحف، وإن ســئل ســوف، وإذا وعد أخلف، وإذا صنع أتلــف، وإذا هم بالفعل الجميل توقف، ينظر بنظر الحســود، ويعرض إعراض الحقود. فناؤه شاســع وضيفه جائع، وشره شــائع، وســره ذائع، ولونه فاقع وجفته دامع، وديارة بلاقع. ردئ المنظر، سئ المخبر. يبخل إذا أيســر، ويهلع إذا أعســر، ويكذب إذا أخبر. إن عاهد غدر. وإن خاصم فجر، وإن خوطب نفر».

ويوجـــه «صـــالح بن عبد القدوس» حديثه إلى المنافق: «قل للذى لســـت أدرى من تلونه أناصح أم على غش يداجينى إنى لأكثر مما سِمتنى عجبا يد تشج وأخرى منك تأسونى».

ويخاطبـــه «المنقـــب العبدى»: «فإما أن تكون أخى بحـــق فأعرف منك غثى من سمينى وإلا فاطرحنـــى واتخذنـــى عدواً.. أتقيك وتتقينى» تغتابنى عنـــد قوم وتمدحنى فى آخرين وكل منك يأتينى.

فى الأثر أن «شيرويه» أمر بنزع لسان منافق من قذاله «قفاه» جزاء نفاقه؟!

وأخيرا – وليس آخرا – يقول الأســـتاذ العقاد فى قصته ســـارة: «ذو الوجهين منافق، وذو الوجه الواحد ميت»!.

«فإن الإنســـان يعيبه أن يصنع له نفســـا غير نفســـه ووجها غير وجهه وأن يبدو للناس بوجهـــين يلعن أحدهما الآخر ويعلم هو أنهمـــا – كليهما – ملعون، ولا يعيبه أن يكون له مائـــة وجـــه ينم كل منها على سمة من سماته ومعنى من معانيه وذو الوجهين فى كل وجه من وجهيه كذب وطلاء».

وخير للمرء أن يموت وهو صاحب وجه واحد من أن يعيش بوجهين.

❑❑❑

obeikandl.com

أنيس منصور بين تفاحة الصحافة وجنة الأدب؟!..

يقول عميد الفلسفة العقلية (ابن رشد) فى كتابه «تهافت التهافت»: «إن قصد الفلاسفة إنما هو معرفة الحق، ولو لم يكن لهم إلا هذا القصد لكان ذلك كافيا فى مدحهم».

فرق «أفلاطون» بين الفضيلة العادية والفضيلة الفلسفية فالأولى تجئ عن التقليد فصاحب التقليد لا يعدو كونه مقلدا سلوكه للآخرين تماما مثل النمل والنحل فكل نملة تفعل فعلا كغيرها من النمل تسودها وتسيطر عليها، أما الفضيلة الفلسفية فتقوم على النقد وعلى الذاتية وعلى التفرد ومن ثم كما يقول الفيلسوف «عاطف العراقى» فلا يكون صاحبها مقلدا لسلوك غيره من أفراد البشر بل هو كالإنسان المتوحد الذى تحدث عنه أول فلاسفة المغرب العربى «ابن باجة».

ولقد ذهب «إخوان الصفا وخلان الوفا» فى القرن الرابع الهجرى إلى ضرورة الانفتاح على كل الأفكار والتيارات فى كل دول العالم شرقا وغربا، أو كما قال رسول الله – عليه الصلاة والسلام – «اطلبوا العلم ولو فى الصين».

وهكذا كان الأستاذ «أنيس منصور» رحمة الله عليه، فقد انفتح بعمق قراءته على جميع روافد المعرفة، وانفتحت له أبواب القراءة بمختلف صنوفها وعلى مصاريعها، هو من الرعيل الأول من جيل العمالقة (التى وضعت لهم الملائكة أجنحتها رضا لهم) لأنهم كانوا طلاب علم، والعلم هو العنصر الأول من عناصر الحياة فى نظر الإسلام، كان يجيل فى الليل البهيم خواطره فعكف على القراءات العلمية والأدبية ناهيك عن الفلسفية وهضم ما قرأه فبث أنهار الصحف السيارة ما جادت به قريحته، مع تدبيجه للكتب الرائعة التى بلغت زهاء المائتين كتاب. كان يقرأ أكثر مما يتنفس، وإذا كان عملاق الفكر الأستاذ الكبير «عباس محمود العقاد» قد قال: «إننى أقيس الإنسان بعدد الكتب التى قرأها» فقد قرأ الأستاذ «أنيس منصور» ما ينيف على السبعين ألف كتاب؟!

أى رجل كان هذا الرجل؟ وأى أديبٌ كان هذا الأديب؟.. كان أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء، فكتاباته يشع منها نور العبقرية المتميزة المتفردة كما كان أستاذه العظيم «عباس محمود العقاد». عشق الصحافة، وأحب الأدب، وأولع بالفلسفة، وكنا ونحن فى ميعة

الصبا وشرخ الشباب نقرأ ما يكتبه سواء فى «الأخبار» فى عموده اليومى أو فى مجلة «الجيل الجديد» الذى ترأس تحريرها وأحيانا فى مجلة «آخر ساعة» التى أختصها بسلسلة مقالاته التى عنونها بإسم « طلع البدر علينا» عقب قيامه بالحج إلى بيت الله العتيق فمحا بذلك فترة إيمانه بالوجودية وما كتبه «ألبير كامى» و«جان بول سارتر» ورفيقته «سيمون دى بوفوار»، ألتقيته فى أوائل الستينيات بمكتبه بجريدة «الأخبار» مع رهط من محبيه ومحبى الأدب جلسنا إليه، وجلس إلينا زهاء الثلاث ساعات نتجاذب معه أطراف الحديث فما أحسسنا بعد انصرافنا من لقياه إلا أنها كانت دقائق معدودات. والتقيته مرة أخرى مع المرحوم والدى الذى كان قد كتب مقالا عن سعد زغلول وثورة ١٩١٩ بعد أن ضرب لنا موعدا محددا للقياه فإذا به بعد لقيانا يعتذر لوالدى اعتذارا كريما بأن (الأوامر) قد صدرت إليه بعدم نشر أى تعليق على «هذا الموضوع» الذى دعا الأستاذ «أنيس منصور» الكافة إلى الكتابة فيه على نحو ما ألمعنا إليه سالفا، وكان هذا إثر حملة ظالمة ضارية وجهت إلى حزب الوفد وزعيمه وما أكثر هذه الحملات التى تشن على الوفد وتاريخه فى تلك الحقبة من الزمن، وأدلى فيه بدلوه المرحومان «الدكتور محمد أنيس» و الدكتور «ضياء الدين الريس» أستاذا التاريخ بالجامعة. والذى لفت نظرى آنذاك – أن (الحياء) قد غلف وجه الأستاذ «أنيس منصور» وهو يحادث والدى رحمة الله عليه – وقد تشابكت يداه وانحنى انحناءه ظاهرة تدل على جم أدبه وجمال تواضعه.

ولقد تفرد الأستاذ «أنيس منصور بكتابين بلغا من الذيوع والانتشار ما بلغاه كلاهما، أولهما «٢٠٠ يوم حول العالم» الذى سجل اسمه به بين الرحالة العرب بل الرحالة العظام مثل «ابن جبير»، و«المسعودى» و«أبو الريحان البيرونى» أصحاب القدح المعلى فى هذا المضمار – هم وآخرون، الذين أتت إلينا كتبهم تذخر بما ذخرت به من ذكر أحوال الأمم. ووصف معايشها وطبائعها وعاداتها، وكما فعل ابن بطوطة فى رحلته الشهيرة «تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» مدونا ما شاهده من أخبار الشعوب التى زاروها، وهكذا دبجت يراعة الأستاذ «أنيس منصور» – كذلك – فى تواليفه العديدة مثل: «بلاد الله خلق الله»، و«غريب فى بلاد غريبة»، و«اليمن ذاك المجهول» وغيرها وغيرها، فقد ولج فى هذا الرافد الأدبى ولوجا يؤكد جرأته وعميق ثقافته.. وأريحيته وشغفه باقتحام المجهول وارتياد أماكن بعيدة نائية فى الزمان وفى المكان لم يكن أحد قد ارتادها من قبل.

أما سفره الفخم الضخم «الغير مسبوق» (فى صالون العقاد كانت لنا أيام) فقد جاء عملا لم يسبق له نظير فى «سسيولوجيا» الأدب العربى كما عبر الأستاذ «أحمد بهاء الدين» والذى كان يدأب على نشر فصول منه فى مجلة «أكتوبر» ودل هذا الكتاب على عبقرية أنيس منصور وعبقرية العقاد (معا)، مما دفع الرئيس الشهيد «أنور السادات» عقب قراءته لها إلى أن يعبر له عن إعجابه بها: «يا أخى لقد قتلنا ما كتبته عن العقاد». ومن العجيب أن الرئيس الراحل قد قتل – غيلة وغدرا – ظهر اليوم التالى لتعليقه ذاك؟!.

ولا عجب – فأنيس – هو القائل «اقرأ.. ثم اقرأ.. ثم اقرأ.. ثم اكتب» وأليس هو صاحب كتاب «وأنا اخترتُ القراءة».. القراءة التى أوصلته بإمعان نظره وإنعام فكره إلى ما وصل إليه من رفعة ومن مجد، وتأمل معى أيها – القارئ العزيز – ما ختم به حياته بعبارته التى لهج بها لسانه: «إذا كنت مع الله فأنت مع الأغلبية المطلقة».

ثمة عبارة تقول: «من أكل تفاحة الصحافة، خرج من جنة الأدب».

ولقد أكل الأستاذ الكبير «أنيس محمد منصور» تفاحة الصحافة (بتمامها).. ولكنه لم يخرج من جنة الأدب؟!.

رحمه الله رحمة واسعة، جزاء ما أثرى به حياتنا إبان حياته، وبعد مماته.

❑❑❑

.. مأساة طبيب عظيم ..

رحل عن عالمنا أحد علمائنا الجهابذة الأجلاء، وعندما يختطف الموت عالم من العلماء فإن السماء تبكى عليه قبل أن يضمه الثرى إليه.

لا جَـرَم – إذن – أن اتفـق العلمـاء علـى أن قبض العلـم هو أحد علامات السـاعة الصغرى!.

يقول الحديث الشريف: «يتقارب الزمان ويقبض العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج».

كما يقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم : «إن الله لا يقبض العلم إنتزاعا بنزعه من العبـاد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسـا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلو وأضلوا».

قـال النووى: هذا الحديث يبين أن المراد بقبض العلم ليس هو محوه من صدور حفاظه ولكن معناه أن يموت حملته ويتخذ الناس جهالا يحكمون بجهالتهم فيضلون ويضلون.

فى مأسـاة أشبه بالمآسـى التى وردت فى أدب الإغريق، هى كالليالى الدهم، والعشايا الجهم، رحل عن عالمنا الأسـتاذ الدكتور العالم الجليل «فؤاد ثاقب» الذى عرفته منذ نيفٍ وعشرين عاما، وهو لما يزل بعد فى شرخ شبابه وفى أوج عطائه.

كان يعـود ابن عمتى وزوج شـقيقتى المهنـدس «محمد عبد الله بـركات» وكيل وزارة الإسـكان، الذى تليف الكبد منه وأصابه فى مقتل حتى أوشك على الرحيل وهو فى ربيع عمره.. وإذا بالمرحوم الشهيد «فؤاد ثاقب»، بفيض علمه، وعميق فكره ينهض على علاجه بصـبر وأناة، وبصر وبصيرة، حتى عادت نضرة الوجه إليه، وقد كانت مسـتعصية عليه. وزكا منه العود الذى كان قد أضمحل.. وتأبى عليه أن يعود!.

كنـت أرى فى الدكتور «فؤاد ثاقب» النطاسـى البارع، وقدرت علمـه وبادلنى تقديرا بتقدير.. وكان رحمة الله عليه، كلما يرى بثاقب فكره، القلق يعتورنى على زوج شـقيقتى والهلع والحزن ينتابنى، يبرتسـم على وجهه النبيل ابتسـامة طيبة.. ثم يردف قائلا لى: «أنـت رجـل عظيم.. ياليت لى قريب مثلك». قالها لى وهـو الرجل العظيم فى علمه، وفى خلقه وفى وفائه للناس أجمعين.

ولقد نشـرت جريدة الأهرام مأساة رحيل العالم الجليل بهبوطه المفاجئ من المصعد وهو ينقذ شـقيقتيه من مغبة السـقوط منه، وذكر – كاتب التحقيق – أن السـيدة البارة زوجته هُرعت إلى مكان الحادث، وهى تذرف الدمع السخين، تجأر بصوتها الذى يعلوه الأنين: «أنتـم لا تعرفون فؤادا»!.. ونقول – صبرا جميلا – أيتها الزوجة الوفية «فإنا لله وإنا إليه راجعون».

نحن جميعا نعرف فؤادا.. متألقا فى فكره.. متعمقا فى علمه.. كريما فى عطائه.

❑❑❑

obeikandl.com

بل.. عندما تصبح القضية.. امـرأة.. !!

أحسن الصديق المستشار مصطفى الكومى فى مقاله القيم المنشور فى هذه الصفحة الغراء بتاريخ ١٣/١٠/١٩٩٨ بعنوان «عندما تصبح المرأة».. قضية؟!.. والذى نعى فيه على المرأة المصرية انشـغالها بأمور لا تغنى ولا تسـمن من جوع وإغلاقها لمدرستها (مدرسة الأمومة)، وتركهـا لأولادها (حتى شـد منهم الدين، وضاع اليقـين)، وها هى ذى أخيرا وليس أخرا – تجهد الرأى العام، وتشغل نفسها بالمطالبة بتوسيدها كرسى القضاء.

ولـو سمح لنـا الزميل الأديب أن نقدم كلمة (قضية)، مضافـا إليها الألف واللام، وأن نؤخر كلمة (امرأة)، فما بين (تقديم)، و(تأخير) تبزغ الحقيقة واضحة جلية، لا لبس فيها ولا غموض، فى هذا الزمن الردئ العضوض؟!.. فلقد أصبحت (القضية) بالفعل فى بلادنا، قولا وعملا.. امرأة؟!.

والذى لا مرية فيه، أن المرأة المصرية ومنذ أن هبط عليها كتاب (تحرير المرأة) لقاسـم أمين فى بداية هذا القرن، وهى تعتقد أن لها حقوقا قد ألف بخصوصها كتاب وأن هاتيك الحقوق لما تزل فى حاجة إلى المزيد من الكلمات، وأن يكتب فيها المجلدات؟!.

ولقد أصبح الناس – فى مصر – وأمسوا خلال شهور طوال ولا شغل لهم إلا أحقية المرأة فـى تولى منصب القضاء الذى أحجم عنه الثقات مـن الفقهاء، والزمرة من العلماء، تحرزا من الخطأ – حتى اليسير منه – فيما لو أصبحوا قضاه خشية، وخوفا من عقاب الله، وفى سـبيل هذه الطِلبة، وتلك الرغبة، انشـغلت الدولة كلها، وأجهزتها جميعها بهذا الأمر، الذى ملأت به المرأة من الصحف الأنهار، وهى تصيح ليل نهار، وعبر الإذاعة المسـموعة والمرئيـة وعن طريق المحافل والنـدوات، وعقد المناظرات، وبصوت قوى جهورى. تجأر، أريـد أن أكـون قاضية، (وأريد حلاً)، لمـا أبغيه، وأطمح إليه، وأطمـع فيه، ومع يقينى (بـأن طالـب الولاية لا يولى)، فأنا من حقى القضـاء فهل تمنحوا لى هذا الحق، يجب أن ترهفـوا أسماعكم لهذا النداء، فهو الرجاء ولا شـئ دونه على البال، فقد أصبح وأضحى، هو السؤال؟!.

ولقد تساءل الزميل المفضال: لماذا تتمسك المرأة وتصر على العمل بالقضاء؟. ولماذا تتمسك المرأة وتصر على العمل بالقضاء؟. ولماذا لا تطالب مثلا – بأن تعمل عمدة، أو شـيخ البلد،

أو شـيخ خفراء.. أو فى المناجم والمحاجر وأعمال البناء؟. ونقول له: هذا هو دأبها، فكل ممنوع لديها مرغوب، ومطلوب؟!.

وإذ هدأت اللُجة، وخمدت الضجة، بعد أن هدآ خاطرها، الكبار، واستماحها العذر، الصغار، حتى عادت عقيرتها ترتفع مرة أخرى مطالبة، وكما نشرت الصحف (بحقها) فى الســفر والترحال، وشــد الرحال، دون إذن من زوجها، أو من غيره من الرجال؟!. ناهيك عن (حقها) كذلك فى أن تكون العصمة ملك يديها، وأن تُؤْجر وتُعوض إذا ما أقدم الرجل على طلاقها دون رغبتها .. ولعلها أضافت، والخروج أيضا بدون إذنها؟!.

والــذى لإلجاج فيه أن قانون الأحوال الشــخصية (المعدل) الجديد قد منحها مالم يكن فى حسبانها، أو يَرِد على ذهنها؟!، ولو عاش (آشلى مونتاجو) الذى قال ذات يوم بعيد: إن (المرأة أكثر عبقرية من الرجل) لتأكد مع إعتراض الجميع على ما ذهب إليه، من صدق قولتــه، وصحة نبوءته، مما حصلت المرأة المصرية، وتحصلــت عليه؟!.. وقد يرى بعض الغيارى من الرجال أن حقوقهم بدأت تقل وتضؤل بالمقارنة بما حصلت عليه المرأة المصرية مــن حقوق، فيقدموا على تكوين (جمعية) للمطالبة بحقوقهم، ورد اعتبارهم، وبهذا يكون الميزان قد اعتدل، بعد أن أصابه الخلل؟!.

ويااليت المرأة المصرية تقرأ وتســتقرئ قولة (نابليون بونابرت): إن المرأة التى تهز المهد بيمينهــا، تهز العالم بيســارها وأيضا قولتــه: على المرأة أن تعلم أن الشــئ الوحيد الذى (تبدعه).. هو طفلها؟.

❑❑❑

تاريخنا.. هل يكتب من جديد ؟!

التاريخ هو عرض الإنسانية «فتاريخ الأمم والشعوب هو الصفحة الباقية لها على مر الأزمان والعصور»! كلما تذكرت هذه العبارة التى قالها الفيلسوف (شوبنهور) كلما أمنت بأن تاريخنا العربى برمته يجب أن يكتب من جديد فالذى لا مراء فيه أن هذا التاريخ قد زيف المزيفون فى الماضى الكثير من حقائقه ووقائعه حتى التبس الأمر على أبناء هذا الجيل، بل والأجيال التى سبقته أيضا. فلم يعد الكثيرون يعرفون الصالح من الطالح، والمخلص من الخائن، والصديق من العدو! وها هو ذا تاريخ المماليك فى مصر يختلف فيه المؤرخون اختلافا بينا ،فمنهم من قال إن عصر المماليك هو أزهى عصور مصر، والبعض الآخر ارتأى فيه أسوء العصور، وإنه كان عصر تردت فيه مصر إلى أسفل سافلين. وكذلك تاريخ الثورة العرابية فقد تباين فيه الكثيرون تباينا جعل تاريخ هذه الثورة المجيدة يتلبس أمره على كل من قرأ هذا التاريخ.

فعرابى مرة هو مفجر أول ثورة فى عصر مصر الحديث.. ومرة أخرى هو الجاهل الجهول الذى قذف بمصر إلى أتون الجحيم حتى أن أمير الشعراء أحمد شوقى هاجمه بضراوة إذ قال فيه، بعد عودته من المنفى:

صغير فى الذهاب وفى الإياب أهذا كل شأنك يا عرابى؟

والزعيم مصطفى كامل لم يخل الأمر معه من مثل هذا، فهوالذى أراد أن تكون مصر تابعة لتركيا وأن هذه التبعيه تفقد مصر – لو تمت – استقلالها وحريتها.

ولم يخل تاريخ ثورة مصر الكبرى عام ١٩١٩، ولا سيما زعيمها سعد زغلول، حتى إن ميثاق العمل الوطنى الذى وضع أيام الرئيس الراحل «جمال عبد الناصر» قد اتهم سعد (أنه ركب قمة الموجة الثورية يقود النضال الوطنى الذى لم يهن ولم يضعف) أى أن واضع الميثاق قد نزع بهذه المثابة الزعامة عن سعد زغلول، وجعل منه قائدا انتهازيا لم يكن منه إلا أن امتطى موجة هذه الثورة الخالدة.

وكذلك تاريخ «مصطفى النحاس» هذا الزعيم الأمين الذى بذل حياته فى سبيل توطيد ركائز الديمقراطية على أرض مصر، وكانت زعامته للوفد زعامة خالصة لأجل الله والوطن.

والرئيس «محمد نجيب» هذا الزعيم الوطنى الذى التف شعب مصر حوله وطوقه بمحبة عارمـــة، فقد شـــوه تاريخه، ويكفى أن دوره فى ثـــورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قد محى محوا من كتب التاريخ إلى حين قريب.

وجاء الزعيم «جمال عبد الناصر» فلم ينج هو الآخر من بعض التلفيقات التى وجهت إلى زعامته بينما أن مآثره على مصر لا ينكرها إلا جاحد مهما كانت الأخطاء التى وقع فيها.

أما الزعيم «محمد أنور الســـادات» الذى بذل حياته فى ســـبيل وطنه فقد استشهد على يد طغمة فاغتالته غيلة وغدرا بعد أن قاد حرب أكتوبر المجيدة، وكانت له اليد الطولى فى إجلاء المحتل الإسرائيلى من بقعة عزيزة على مصر هى أرض سيناء.

وإذا كان تاريخ أية أمة لا يخلو. كما قال (نابليون) من الأكاذيب.

فتاريخنا العربى يمتلئ بما – لا عد له ولا حصر من الزيف والأباطيل ناهيك عن الأوهام التى لا أساس لها؟!.

ماذا إذن لو قامت الدولة بتشكيل لجنة خاصة من علمائنا الثقات، تتولى كتابة تاريخنا كتابة صادقة أمينة، تزيل الغشاوة من على الأعين، وتمسح عن جبين أمتنا تاريخا لا يمت إلى العلم أو الواقع بأدنى صلة من الصلات ..؟!.

❑❑❑

تَراجُع اللغة العربية.. تَراجُع للنعرة القومية ؟!
«رسالة إلى وزير التعليم»

كم عز أقوام بعز لغات!.

آبدة من الأوابد التى تذهب فى أسماع الزمن مذهب الخلود!.

فقد علت إنجلترا بكلمات. دكنز. وكارليل. ومؤلفات شكسبير.

وارتفعت فرنسا بتواليف. راسين. وفولتير. وموليير، وسمقت ألمانيا بليبنتس. وجيته. وشيللر، وسمت روسيا بتولستوى. وجوجول. ومكسيم.

وعزت مصر، والأمة العربية. بالقرآن الكريم. ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ [سورة طه – الآية ١١٣] (صدق الله العظيم).

واللغة العربية هى لغة الضاد. اللغة الشاعرة. كما أطلق عليها أستاذنا العقاد، وأفرد لها كتابا، إذا تقرأه تراه إنسانا، وهى اللغة الضاربة فى القدم. الموغلة فى العراقة طوال خمسة عشر قرنا. خُلقت لغات سادت، ثم بادت. والعربية هى العربية لم تمح، ولم تتغير. أو تتبدل. فقد حوت على أدب لا تحويه لغة أخرى، كما عبر رجل الفكر والسياسة الدكتور عبد الوهاب عزام، أدبا، موطئا ما بين الصين وبحر الظلمات، ولم يعرف فى أداب العالم. قديمها. وحديثها، أدبا اتسعت به المواطن، هذا الاتساع، وامتدت به الأعصار هذا الامتداد، ثم هل عرف العالم أدبا أعظم من أدب العرب سعة رقعة، وطول مدة وجمالا وجلالاً؟، وفى الأدب العربى سير رجف بها الزمان، وأقر بها الحدثان.

لا جرم – إذن – سادت اللغة العربية، وتحدث بشأنها الثقلان، الإنس والجان، ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ ﴾ [سورة الجن – الآيات ١– ٢]

واللغة أى لغة، هى وعاء الفكر، وإن شئت قل هى الفكر وهى الذكر، وهى ذاكرة الأمة، وشاحذة الهمة، وهى الوشيجة بين الماضى والحاضر، وهى قوام الشخصية، وتراث الإنسانية.. ثم هى كما عبر الناقد الفرنسى «بوفون» هى المرء ذاته، ومن نافلة القول أن نقول إن قصيدة عظيمة، أو رواية جيدة يكتبها أديب، أكثر إفادة وأوفى دلالة من حشد من المؤرخين بأكداس كتبهم التاريخية، وأين خمسون مجلدا من المواثيق ومائة مجلد من

الوثائق، كما تساءل سائل، فى مقابل مذكرات تشيللى، ورسائل القديس بولس، أو ملهيات أو يستوفان؟. بل أين الملوك والأباطرة بجانب أسماء الغزالى والجاحظ والأصفهانى؟.. وقد صدق من قال «أديب واحد» خير من «ألف صيدلى»؟!.

وقد استمرت اللغة العربية لغة للتعليم العالى فى مصر منذ عصرمحمد على إلى أن أناخ الإنجليز على مصر بكلكلهم عام ١٨٨٢ إذ بدأت عملية تحول كبرى، أشبه بتحويل مجرى النيل، بإحلال اللغة الإنجليزية، محل اللغة العربية، بادئين بأهم مدرسة، من المدارس أنذاك، وهى مدرسة الطب بعد مضى أقل من خمس سنوات على بدء الاحتلال للبلاد، (قسرا) على العباد.

وبدأ الليل يرخى سدوله، على هذه اللغة العظيمة، وما بين تفاؤل وتشاؤم، عبر عن الأول شاعر النيل حافظ إبراهيم، إذا رثاها بأبيات، تنزف الحسرات قال فيها:

رَجَعْتُ لنفْسِى فاتَّهمتُ حَصاتِى ... ونـاديْتُ قَوْمِى فاحْتَسَبْتُ حياتِى
وَلَـدتُ ولَّـا لـم أجِـدْ لعرائسـى ... رِجـالا وأكفـاءً وَأَدْتُ بناتِـى
أيُطربُكُم من جانِبِ الغَربِ ناعِبٌ ... يُنـادى بوَأدى فى رَبيعِ حَـياتـى
سَرَتْ لُوثَةُ الإفْرَنج فيها كمَا سَرَى ... لُعابُ الأفاعِى فى مَسيلِ فُـراتِ
فجاءَتْ كثَوْبٍ ضَمَّ سبعين رُقْعـةً ... مشـكَّلـةَ الألـوانِ مُختلفـاتِ

وجاء خليل مطران بمثل الاتجاه الثانى إذ فى ندوة تكبكب حولها الغيورون على هذه اللغة. تنبأ جبران بأن اللغة العربية سوف تنهض من كبوتها وتصحو من رقدتها وتكون هى الموحد للميول السياسية والمنازع اللغوية وتلم شعث النزاعات العربية.

وخلال النصف الأول من هذا القرن الذى أوشكت شمسه على المغيب، قيض الله للغة العربية. عمالقه. أفذاذا من محبى اللغة العربية وروادها علت بهم وعلوا بها، ورفعتهم وارتفعوا بها، أمثال عباس محمود العقاد، وطه حسين، وزكى مبارك، وميخائيل نعمة، وإيليا أبو ماضى، وأحمد حسن الزيات. وعلى الجارم، ومحمد فريد أبو حديد.

كتبوا وأجادوا وأبدعوا وأفادو، وامتازوا بأسلوب عربى قويم مستقيم. أفصح تماما على قدرة هذه اللغة واستيعابها لكافة اللغات.

والآن وقد تراجعت اللغة العربية تراجعا بينا. بين كتابنا وعلى ألسنتنا واللغة العربية (بنت المشافهة)، وفى مدارسنا وجامعاتنا. وحل محلها لغة لا هى عربية، ولاهى عامية، بل هى خليط من هذا وذاك حتى أمسى الخطر يطبق على لغة الضاد، من كل حدب

وصـــوب، وباتت اللغة العربية، تعيش بين أبنائها وأهلها وذويها فى أيام جهم. وعشـــايا دهم. بســـبب غيـاب غـــيرة الموجهين لها، والقائمين عليهـــا، وكادت أن تصبح هذه اللغة العظيمة، اللغة الثانية فى بلادنا، مما جعلها تعود القهقرى مرة أخرى تاركة المجال لكل من هب ودب لكى يبعث بها وبتراثها.

وإننـــا ندق ناقوس الخطر لكل عاشـــق لهـــذه اللغة، ولكل أمين عليهـــا. من مغبة هذا التراجـــع. ويالیتنـــا نعود. إلى إقامة النـــدوات والمنتديات اللغوية مـــن أجل الحوار الأدبى والحوار اللغوى ويجب أن يسبق ذاك حفظ القرآن الكريم بمناهج مقررة على تلاميذ المرحلة الابتدائية وحتى التخرج من الجامعة وجعل الدين مادة أساســـية فيها، رســـوب ونجاح، ولهـــا ثواب وعقـــاب، مع إعداد مدرس اللغة العربية إعدادا تربويا، حيث إن مدرس اللغة العربيـــة ينهـــض على تدريســـها دون أن يكون مؤهلا لذلك، وذلك كله مع تبســـيط قواعد النحو وخاصة فى المراحل الأولى، والبعد عن الخلافات اللغوية، والنحوية، مع رفع درجة النجاح فى اللغة العربية، اللغة القومية التى إن هى تراجعت فقد تراجعت النعرة القومية، وضاعت النعرة الوطنية للبلاد.

فإما حياة تبعث الميت فى البـلـى وتنبت فى تلك الرموس رفاتـى
وإمـا ممـات لا قيامـــة بعـــده ممـــات لعمـرى لـم يقس بممات

فهل نكرم أنفسنا.. ونحدب عليها من خلال حدبنا على لغتنا.. (الجميلة). ونصونها. من الضياع والهوان.. قبل الأوان؟.

❑❑❑

رؤيتى للثورة المصرية ٢٥ يناير ٢٠١١..
والمأمول منها..

من – مذكراتى الشخصية – والتى أدأب دوما على أن أسجلها على صفحات أحتفظ بها منذ سن باكر فى حياتى أعود إليها وأستخرج منها ما خطه يراعى عن ثورة ٢٥ من يناير ٢٠١١.. أرانى قد كتبت: لم أكن أحسب – وكذلك غيرى – أن مصر تموج بهذا الكم والكيف من الفساد والإفساد؟

وكان لابد من قارعة!.. قارعة تخرج مصر من الظلمات إلى النور ضد من سلب العزة واستلب الكرامة.. وانتهب القوت وأصاب مصر بالقنوط. كان شكسبير يقول: «أخذت كرامتى أحذت كل شئ».

وبعد خمول مديد استمر زهاء الثلاثين عاما حكم مصر بقبضة من حديد.. قيض الله لمصر فتية آمنوا بربهم فزادهم الله إيمانا فانتزعوا كرامة مصر من براثن وحوش ضارية أرادوا ابتلاعها، ومن أيدى طغاة متجبرين لم «يخافوا» ظلما ولا «هضماً» وكانت تجارتهم الرابحة فى سوق الحكم وسوق الاستغلال عملتها من المال وبضاعتها – ومن أسف –.. من الرجال.. استبدلوا الثورة بالثروة.. والنخوة بالشهوة.. والحق بالقوة وبزغت ثورة الشباب فنزعت أستارهم وكشفت خبيئتهم فأعادت العزة والفخار إلى العباد وأحيت الأمل.. الذى كان قد ولى وغابا.

ثورة ٢٥ يناير ثورة فتية نقية بيضاء أحاطها شعب مصر جميعه بخالص الدعاء فمضت فى طريقها المرسوم وقدرها المحتوم.. وياله من قدر؟!.

أراد الله به خيرا لمصر فبعثها من مرقدها عزيزة الجانب وضاءة الجبين وستظل إن شاء الله كذلك بعد أن عاشت مصر فى متاهات الشرود بيد كل شيطان مريد حتى صعقه الموت المبيد بعدما روع الناس بالفتك والبطش العنيد.

لم تكن ثورة الخامس والعشرين من يناير كغيرها من الثورات فلم تكن على غرار ثورات الشباب التى هبت رياحها على أوربا وأمريكا ولم تكن كثورة فرنسا عام ١٧٨٩ التى قامت من أجل الإخاء والمساواة وخضبت أرض فرنسا بدماء ضحاياها.. ولم تكن كذلك كثورة عرابى أو سعد زغلول أو جمال عبد الناصر فهؤلاء القواد العظام ثأروا من أجل تحرير

وطنهـم من ربقة الاسـتعمار الأجنبى.. بيد أن هذه الثـورة العظيمة ثورة ٢٥ يناير اندلعت ضد «الاسـتعمار الداخلى» الذى أناخ على مصر بكلكلة فلم يترك لها حولا وطولا عبر ليل طويل بطئ الكواكب ألقى بظلاله وظلامه على حاضرها ومستقبلها وكاد أن يفقدها ذاكرتها .. والذاكرة هى مستودع الفكر الإنسانى.. وكما قالت المفكرة الإنجليزية «إلين ودنج» عالمة الفيزيـاء: «إن الموت يهون أمام فقدان الذاكرة وكاد اليأس يسـتبد بالمصريين جميعا الذى أمسوا غير قادرين على اليأس أكثر مما يئسوا.. وانبلج الفجر فمادت الأرض من تحت أقدام الطغاة وكشف الله أمر البغاة الذين عاثوا فى أرض مصر نهبا وسلبا وطغياً».

وإذا كان – التاريخ – قد سجل أن أول ثورة فى تاريخ الإنسانية قد شب أوارها من مصر عـام ٢١٥٠ قبل الميلاد فقد دون أيضا أنها كانـت ثورة كما عبر الحكيم الفرعونى «إيبور» أتت على اليابس والأخضر حتى أضحى كل مصرى فى هذا الزمن السـحيق يقول « ليتنى كنت ميتا.. على حين جاءت ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ ثورة إنسـانية أحيت اليابس وجعلت الأخضر يزداد اخضرارا وأخال أن من فى رمسه ينطق ويقول ليلتنى كنت حيا لأشهد هذه الثـورة التى جاءت لتعلم العالم – كما عـبر رئيس الولايات المتحدة «أوباما»: كيفية تغيير التاريخ بوسائل سليمة .. فلقد غير المصريون تاريخ بلادهم والعالم أجمع.

هنيئا لشباب الثورة.. وهنيئا لمصر بشبابها.. ورحمة الله على شهدائنا.. ولعنة الله على الظالمين.

لقـد انخرط أولادى فـى صفوف الثائرين فى ميدان التحريـر.. وكنت أتوجه إليه آناء الليل وأطراف النهار كى أشهد بنفسى ميلاد الثورة التى كانت لما تزل فى رحم مصر حتى مر على مصر الثمانية عشـر يوما التاريخية منذ ٢٥ يناير ٢٠١١ وحتى مسـاء الجمعة ١١ فبراير ٢٠١١ يوم أعلن «عمر سليمان» نائب رئيس الجمهورية المعين حديثا من قبل الرئيس «تنحى محمد حسـنى مبارك عن رئاسـة مصر وتكليف المجلس الأعلى للقوات المسـلحة لإدارة شئون البلاد» لحظة تاريخية فارقة لن أنساها من حياتى لقد ولدت الثورة وأصبحت كائنا بشـريا حيا يجب علينا جميعا أن نحوطها بالعناية والرعاية حتى تشـب عن الطوق ويزكو عودها وتضحى بشرا سويا.

لقـد أراد أعداء مصر أن يحرقوها كما أحرق الإنجليـز «عذراء اللورين».. «جان دارك» عام ١٤٣١م فاسـتبدوا بها ظلما وطغيانا حيث كان الاستبداد هو هوايتهم المفضلة فحرموها من نسائم الحرية.

لقد كذبوا على الشعب وأوهموه بأنهم يعملون لصالحه بينما كانوا هم يعلمون لطالحه وصدق الشعب كذبهم فالحكمة تقول:

«إن الناس مستعدون لتصديق كَذِبة سمعوها لألف مرة، أكثر من استعدادهم لتصديق حقيقة لم يسمعوها إلا لمرة واحدة منذ عام ١٩٨١ منذ حكم الرئيس السابق والبطالة تنتشر فى مصر وكذلك التدهور الاقتصادى والتراجع الملحوظ فى مستوى التعليم مع انتشار الفساد فى البلاد انتشار النار فى الهشيم».

فضلا عن أن مصر وهى ثانى أكبر دولة فى أفريقيا من حيث عدد السكان بعد نيجيريا وهى أكبر دولة فى الشرق الأوسط أصبحت من أفقر الدول فى العالم بالنسبة لمستوى دخل الفرد.

لقد زورت الإنتخابات.. وفتحت المعتقلات وزج الأبرياء داخل غياهب السجون.

وكان من ثالثة الأثافى أنه وفى عام ٢٠٠٤ أبرمت مصر أربعة عقود بموجبها تقوم مصر بتصدير الغاز الطبيعى لإسرائيل ويمتد العمل لهذه العقود حتى عام ٢٠٣٠ مما دعا المحكمة الإدارية بمصر إلى أن تصدر حكمها ببطلان هذه العقود وطالبت المحكمة الحكومة المصرية بإعادة النظر فى أسعار التصدير ولكن الحكومة لم تنفذ ذلك.

ولقد جادت قريحة الشاعر الفذ الأستاذ «فاروق جويدة» بما اعتمل فى قلوب الثائرين فقال:

«ارحل كزين العابدين وما نراه أضل منك
ارحل وحزبك فى يديك
ارحل فمصر بشعبها وربوعها تدعو عليك
ارحل فإنى ما أرى فى الوطن فردا واحدا يهفو إليك
لا تنتظر طفلا يتيما بابتسامته البريئة أن يقبل وجنتيك
لا تنتظر أما تطاردها هموم الدهر تطلب ساعديك
لا تنتظر صفحا جميلا فالخراب مع الفساد يرفرفان بمقدميك
إرحل وابنك فى يديك»

ومنذ إعلان شباب الفيس بوك عن ثورتهم على الظلم والطغيان ودعوة الشعب المصرى عبر الموقع الاجتماعية على الأنترنت مثل «تويتر ويوتيوت» ونحن جميعا عن بكرة أبينا

نترقب النهاية التى جاشت فى خواطرنا، إن رحيل هؤلاء الذين هانت عليهم مصر وأزلوا شعبها طوال عقود ثلاثة حتى أهل علينا يوم الثلاثاء ٢٥ يناير ٢٠١١ ـ فكان بداية النهاية لهـؤلاء الطغـاة الظالمين الذين حكموا مصر وكأنها بقرة حلـوب تدر لهم وليس لغيرهم لبنا سائغا للشاربين وكانوا هم الشاربون.. وجاء يوم ١١ فبراير ٢٠١١ – يوم الرحيل وقد كنت – آنذاك – أنا وأولادى فى قلب ميدان التحرير نحتفل بنجاح الثورة، ورحيل الجبابرة.. إذ بشاب يوجه حديثه إلى قائلا: «أننا سنقوم بتنظيف الميدان – ميدان التحرير»، فلا تنسى ياحاج أن تأتى مع أولادك غدا لتنظيف الميدان»؟!.

وهذه هى مصر..

قـرأت فى كتاب الأسـتاذ المفكر الفذ «أنيس منصور» فى كتابـه الجميل «وأنا اخترت القراءة» قالوا فى النكت الاقتصادية إن وزير اقتصاد هتلر واسمه هيلمار شـاخت (١٩١٧–١٩٧٠) ذهـب إلى – لبنـان – ويقال إلى مصر لإصلاح السياسـة المالية والاقتصادية. وقالوا إن الرجـل قـرأ وسمع وقيل له وفكر ثم عاد يقول: أنتم لسـتم فـى حاجة إلى أى إصلاح اقتصادى.. أنتم كده كويسين جداً». وهكذا كانت نظرة عالم إلينا.

وأعود إلى مذكراتى التى أدأب على تسـجيلها يوما بيوم منذ سـنوات طوال فأنقل منها عبـارة عميقـة قال فيها صاحبها: «طوبى لمن بادر عمره القصير فعمر به دار المصير، وتهيأ لحساب الناقد البصير، قبل فوات القدرة وإعراض النصير».

ومن هنا فإنه من المأمول من هذه الثورة الخالدة التى شـحذت الأسماع إلى الإصغاء إلى صوتها صوت الحق حتى إن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية.. الرئيس أوباما.. دعا شعبه إلى أن يتعلـم من هذه الثورة السـلمية العظيمة.. من المأمول وقـد قضت الثورة على النظام الاسـتبدادى وتعقبت فلوله ووأدت صناع الملوك وهو عنوان الكتاب الذى شحذ فكرى وشد نظرى بما خطه مؤلفه «كارل إى. ماير» وقد ترجمته الدكتورة فاطمة نصر.

من المأمول من هذه الثورة أن تعمل على وصل الليل بالنهار بالعمل الجاد القويم المستقيم فى سـبيل نهضة مصـر.. بزيادة الإنتاج.. وغرس الفضائـل والقيم فى المجتمع المصرى.. قيم العدل والأمن والأمانة والرحمة والتسـامح والعلم والتفكـير واحترام الآخرين والصداقة والانتماء إلى مصريتهم بما يرفع اسـم مصر عاليا خفاقا بين أمم العالم.. فهى أقدم حضارة فى التاريخ.. ولا جَرَم.. أن تتبوأ مكانتها بين العالمين فى الحال وفى المآل.

ثورة عبرت جميع الأجيال.. وحققت الآمال..

حـذر منهـا العلمـاء، وتنبأ بها الكتاب والأدبـاء! ولكن – هكذا – الطغـاة البغاة – لا ينزلون عن كراسى حكمهم إلا بدك عروشهم دكا دكا.

فـى القصر الجمهـورى.. وكانت الوفود – آنذاك – تـترى – من كل حدب وصوب، وقد تكوكبت وتجمعت حول الرئيس السـابق «محمد حسـنى مبارك» تزف إليه مشاعرها – المغلفة بالنفاق الآثم، عقب نجاته من مؤامرة أثيوبيا الشـهيرة التى تربصت به وترصدته علـى الأرض الأثيوبية، تبغى مصرعه.. ولو نجحت فى تدبيرها لتحول «حسـنى مبارك» من بعدها إلى شـهيد تذرف الناس الدموع عليه.. ولكن الله أراد شـيئا آخر حتى لا يتحول الرئيس السـابق إلى معبـود لمصر تدبج فيه اليراعات، القصائد العصماء التى تشـيد بذكره وفضله.. فقد أراد الله أن يَخرج مبارك من حكم مصر بثورة شعبيةٍ غير كل الثورات منزوعا من دسـت الحكم الذى تقوقع فيه و تربع عليه بقسـر وظلم وطغيان طوال عقودٍ ثلاثة من الزمن كانت من أسوأ العهود وأظلمها على مصر بعد أن ظهر المخبوء، وقد كان مطمورا فى أديم الأرض.

نقول إن الرئيس السـابق عقب توديعه لثلاثة من علماء الأزهر الأجلاء استوقف أحدهم وأحسـب أنه فضيلة الشـيخ «محمد الغزالى» رحمة الله عليه، وطلب إليه أن يدعو الله له، لأنه مسئول عن إطعام ثمانين مليونا من المصريين حسبما قال.

وانفجر الشيخ «الغزالى» فى وجه الرئيس السابق مُغضبا، قائلا له: «لا تقل هذا يارجل.. أأنت الذى يطعم المصريين، إنك لا تستطيع أن تطعم نفسك، ولا غيرك، إنه الله هو الذى يطعم الناس ويطعمك»، علت الصفرة وجه مبارك واربد وجهه وهو كظيم!.

وإذا زاره فضيلة الشـيخ «محمد متولى الشعراوى» مع كوكبة من علماء الأزهر الشريف، وكانت قاعة الإستقبال تموج بجمع جامع ممن جاء يزجى التهنئة إليه – زرافات ووحدانا، وجه العالم الجليل حديثه إليه قائلا: إننى يا سيادة الرئيس أقف على عتبة حياتى لأستقبل أجل الله فلن أختم حياتى (بنفاق) ولن أبرز عنتريتى بإجتراء ولكن أقول كلمة موجزة: أريد أن تعلموا أن الملك كله بيد الله يؤتيه الله لمن يشاء وينزعه ممن يشاء فلا تآمر على الله لمُلك

ولا كيد على الله لحُكم لأنه لن يحكم أحد فى ملك الله إلا بمراد الله فإن كان عادلا نفع بعدله وإن كان جائرا ظالما قبحه الله فى نفوس كل الناس وأنا أنصح كل من يجول برأسه أن يكون حاكما أنصحه.. ألا يطلب الحكم، بل أن يكون مطلوبا إليه، فرسول الله قال : «من طُلب إلى شئ أعين عليه ومن طَلب شيئا وُكل إليه» ثم يمم وجهه إلى مبارك وأردف قائلا: «يا سيادة الرئيس آخر ما أحب أن أقوله لك، ولعل هذا يكون أخر لقاء لى بك، إذا كنت قدرنا فليوفقك الله، وإذا كنا قدرك فليعنك الله على تحملنا».

وقبلها بسنوات جد قليلة، وقد نما إلى علم الرئيس «أنور السادات» أن الشيخ «المحلاوى» إمام مسجد القائد إبراهيم بالإسكندرية قد أمعن فى نقده فأمر السادات بالقبض عليه هو ومن معه من رموز مصر الذين كانوا يعارضون حكمه ويناوؤنه من خلال اتفاقية «كامب ديفيد» والزج بهم جميعا فى غياهب الجُب، وفى خطبة له بالتلفاز المصرى قال الرئيس «السادات»: «إنه – أى الشيخ المحلاوى – مرمى زى الكلب فى السجن؟!»، ولم يتوان الشيخ «الشعراوى» عن إرسال برقية «للسادات» قال فيها: «يا سيادة الرئيس إن الأزهر لا يخرج كلابا، ولكنه يخرج علماء أفاضل ودعاة أمجادا».

انتقل الشيخ الشعراوى إلى الرفيق الأعلى ومرت السنون بطيئة متثاقلة وتوالت الأيام والنذر تتجمع حتى كونت سحابة سوداء فى سماء مصر وهلَّ على مصر يوم الخامس والعشرين من يناير عام ٢٠١١ فعمت مصر المظاهرات الصاخبة بعد تأجج النيران فى الصدور وتجمعت الألوف المؤلفة فى ميدان التحرير ميدان العزة والكرامة وأحد الميادين الثلاثة التى دخلت التاريخ بالثورة العارمة التى كانت قد تأججت فى القلوب مطالبة «مبارك» أن يرحل، ورحل حاملا عصا حكمه على كتفه، بعد أن توسد سدة الحكم فى مصر زهاء الثلاثين عاما، غير مأسوف عليه.

ولم يكن أحد يدرى ومنهم كاتب هذه السطور على وجود هذا الكم والكم من الفساد والإفساد فى مصر ومع الإرهاصات التى أرهص بها بعض كتاب مصر وأدبائها من أن عهد مبارك فى طريقه إلى الزوال إلا أن أحدا لم يكن يصدق ذلك!.

وكان لابد من قارعة! قارعة تُخرج مصر من الظلمات إلى النور ضد من سلب العزة واستلب الكرامة.. وانتهب القوت، وأصاب مصر بالقنوط.. فبعد خمول مديد استمر زهاء الثلاثين عاما حكم مصر بقبضة من حديد.. قيض الله لمصر فتية آمنوا بربهم فزادهم الله

إيمانـا فانتزعـوا كرامة مصر من براثن وحـوش ضارية أرادوا ابتلاعهـا، ومن أيدى طغاة متجبريـن لم «يخافـوا» ظلما ولا هضما وكانت تجارتهم الرابحة فى سـوق الحكم وسـوق الاسـتغلال (عملتها من المال وبضاعتها – ومن أسـف –.. من الرجال.. اسـتبدلوا الثورة بالثروة.. والنخوة بالشهوة.. والحق بالقوة)، وبزغت ثورة شباب ٢٥ يناير بل ثورة الشعب المصرى بأكمله فنزعت أستارهم وكشفت خبيئتهم فأعادت العزة والفخار إلى العباد وأحيت الأمل.. الذى كان قد ولى وغابا.

ثورة ٢٥ يناير ثورة فتية نقية بيضاء أحاطها شعب مصر جميعه بخالص الدعاء فمضت فى طريقها المرسوم وقدرها المحتوم.. وياله من قدر؟!.. أراد الله به خيرا لمصر فبعثها من مرقدها عزيزة الجانب وضاءة الجبين وسـتظل إن شـاء الله هكذا بعد أن عاشـت مصر فى متاهات الشرود بيد كل شيطان مريد حتى صعقه الموت المبيد بعدما أن روع الناس بالفتك، والبطش العنيد.

لم تكن هذه الثورة التى بهرت العالم كله بسـلميتها ونقائها ،وإصرار شـبابها على قهر مـن ظلموهـم وافتأتوا على حقوق وطنهم فـى الحرية والديمقراطيـة والعدالة الاجتماعية التى غابت ردحا طويلا من الزمن مثل الثورات التى عرفتها أوروبا فى القرن الثامن عشـر والحـركات الليبرالية والقومية فى أوروبا فى ذلك القرن مثل ثورة اليونان والنمسـا وألمانيا وإيطاليا وكذلك ثورات أوروبا الشرقية عام ١٩٨٩، وثورة أوكرنيا المعروفة بالثورة البرتقالية عام ٢٠٠٤.

ولم تكن ثورة الخامس والعشرين من يناير – كذلك – كغيرها من ثورات الشباب التى هبـت وتهب رياحهـا على أوربا وأمريكا بين الحين والحين، ولم تكن كثورة فرنسـا عام ١٧٨٩ التى قامت من أجل الإخاء والمساواة وخضبت أرض فرنسا بدماء الأبرياء.. ولم تكن كذلك كثورة عرابى أو سعد زغلول أو جمال عبد الناصر فهؤلاء القواد العظام ثاروا من أجل تحريـر وطنهم من ربقة الاسـتعمار الأجنبى؟، بيد أن هذه الثـورة العظيمة ثورة ٢٥ يناير اندلعت ضد (الاستعمار الداخلى) الذى أناخ على مصر بكلكله فلم يترك لها حولا ولا طولا عبر ليل طويل بطئ الكواكب ألقى بظلاله وظلامه على حاضرها ومستقبلها وكاد أن يفقدها ذاكرتها.. والذاكرة هى مستودع الفكر الإنسانى.. وكما قالت المفكرة الإنجليزية «إلين ودنج»

عالمة الفيزياء: «إن الموت يهون أمام فقدان الذاكرة» وكاد اليأس أن يستبد بالمصريين جميعا الذين أمسوا غير قادرين على اليأس أكثر مما يأسوا.. وانبلج الفجر فمادت الأرض من تحت أقدام الطغاة وكشف الله أمر البغاة الذين عاثوا فى أرض مصر نهبا وسلبا وغشا وطغيانا.

هنيئا لمصر بثورتها.. ورحمة الله على شهدائنا الأبرار الذين وهبوا حياتهم فداء لبلادهم.. ونصرة لوطنهم.

❑❑❑

obeikandl.com

جلال القضاء ..

القصة تبدأ عندما دخل أستاذ جامعي ليحاضر تلاميذه في إحدى الكليات، كعادته.

وإذا بهم يرونه وقد ترك موضوع الدرس ضاربا به صفحا ليهاجم مقالا قرأه في إحدى الصحف يشكو فيه كاتبه من تأخر الفصل في القضايا، فأهاب الأستاذ بوزارة العدل أن تعمل على تدارك ذلك بزيادة عدد رجال القضاء.. ثم يهاجم القضاة أنفسهم!!.

فهل يصح هذا من أستاذ جامعي جدير به أن ينصرف إلى عمله وألا يتعدى حدود مهنته؟!.

إن قضاء مصر هو الدرع الواقي لأمجاد هذه الأمة ومقدساتها وإن مصر تزهو به على العالمين.

وأين ما قاله هذا الأستاذ الجامعي من القول القائل: «فتش عن الرجل تحت وسام الدولة فلن يصنع الوسام منه قاضيا ما لم يكن يحمل بين جنبيه نفس القاضي وعزة القاضي وكرامة القاضي وغضبة القاضي للحق دائما؟».

إن قضاتنا من خيرة قضاة الأرض في أنفتهم وعزتهم وزهدهم في الحياة الدنيا، ولعل الأستاذ الجامعي يهدئ من ثائرته إذا علم رأى بعض كبار الأساتذة الأجانب في قضاتنا، وقد رأوهم عن كثب، بعيدا عن التهويل والتهليل.. ونحن نهدي إليه كلمة قالها زميل له بإحدى جامعات روما وهو الدكتور «بيرو كالمندارى» عميد إحدى الكليات هناك:

«ألا ما أشبه القاضي «المصرى» بالعامل في مناجم الماس حين يقوده عمله إلى فرص الثراء الفاحش فلا تمتد يده إلى ما تستطيع قطعة صغيرة منه أن تؤمن حياته وحياة أسرته.. ولكنه يقنع بأداء واجبه وراحة ضميره. فتمسك اليد الخشنة التي كانت تلعب بالماس لعبا قطعة الخبز الجاف تدفع بها غائلة الجوع راضية هانئة..».

ترى.. من هذا الأستاذ الجامعي؟!.

❑❑❑

وجيش مصر العظيم .. كذلك يستحقها .. ؟!

الثـورة المصرية حققت أملا مصريـا.. وأصبحت رمزا قوميا عربيا.. وأضحت نبراسـا عالميـا، فثـورة ٢٥ يناير أول ثـورة فى العالم لا تحمل المدافع والرشاشـات وإنما تتقدمها حرصا على أمنها وسـلامتها الدبابات.. تعقبت عهدا ظالما حتى باد.. فأصبحت مصر فى يد شـعبها بعد أن كانت فى قبضة كل من هب ودب.. ملكا مباحا مسـتباحا يغترف من خيراتها ذوى الذمة الخربة من الخائنين.. فمافتئ الكل فى حق الحياة سواء وتعانق الهلال مع الصليب فى مودة وإخاء.. ويممت شـعوب الأرض من كل البقاع والأصقاع نظرها إليها بكل تقدير وإعجاب.. بعد أن صحا المارد من نومته.. تهابه الحراب؟!.

كان جيشـها الوطنى العظيم سـياجها، وضباطه وجنوده أمنهـا، يدفع عنها كل ذى خطـر. يزود عن حماها.. ويقف بالمرصاد لمن عداها.. بعقد بينه وبين الشـعب وعهد بينه وبـين الله، فحال بين العزل من الأبرياء وداس بقدمه على (الدوجما) الهمج الأغبياء الذين تسلحوا بسلاح الغدر والخيانة بخيولهم وجمالهم مذكرين إيانا بعصر الجاهلية فى محاولة يائسـة منهم لوقف مد شـباب الثورة ووئدها فى مهدها – ولكن هيهات هيهات!.. فلقد وقف جيش مصر كالجبل الأشـم يحتضن الثورة فى عينيه.. وشـاء الله أن يُمن على الذين اسـتُضعفوا فى الأرض ويجعلهـم أئمة ويجعلهم الوارثين.. بعـد أن تحقق وعد الله العلى الناصر لكل مظلوم بأنه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة الحج – الآية ٣٩].

إن هذا الجيش الباسـل النبيل وعلى رأسه مجلسه الأعلى وقائده المشير «محمد حسين طنطاوى» لن ينسى له التاريخ إنه ذهب إلى الرئيس السابق محمد حسنى مبارك وقال له: «إننى بمثابة ابنك.. تنح حقنا للدماء.. وتنحى الرئيس».

وهكـذا كان الجيـش المصرى على مر العصور والدهور جيشـا وطنيـا أبيا يصون الديار ويحمى الزمار.. فهل ينسـى التاريخ اليوم التاسـع من سـبتمبر عام ١٨٨١ عندما تصدى للخديـو الخائن توفيق الذى تحالف مـع الإنجليز ضد مصر فجأر فى وجهه القبيح جيش مصر وعلى رأسه الزعيم «أحمد عرابى» صارخا فى وجه: «لقد خلقنا الله أحرارا ولم نخلق

تراثا ولا عقارا.. فو الله الذى لا إله إلا هو إننا لا نورث ولا نستعبد بعد اليوم».. واعتبر المؤرخون هذا اليوم أعظم يوم فى تاريخ القومية المصرية.. ولم يكن جيش مصر الوطنى الآن – إلا معبرا عن تاريخه العريق الضارب فى القدم.. فلطالما رفع راية الحق منحازا للشعب مثبتا أنه ليس ملكا لأحد وإنما هو ملك للشعب وحده. فلن يسمح التاريخ بتكرار مثل هذا المرسوم الذى نشرته الدليل المصرى [Moniteur Egiptien] والذى اتخذه الخديو محمد توفيق بحل الجيش المصرى عقابا له على تضامنه مع الزعيم أحمد عرابى كذلك لن يكرر التاريخ وجود مثل الخائن محمد سلطان باشا الذى اغتال الجيش المصرى بموقفه الوطنى خلال الثورة العرابية، والذى تحالف مع الإنجليز ضد وطنه وسمح له بولوج البلاد. حتى حياه المؤرخون وكتب عنه الكاتبون يتبارون فى تمجيده والإشادة به.

يقول «سريو» فى كتابه مصر الحديثة إن كفاءة الجندى المصرى وما اشتهر به من الثبات والشجاعة قد قامت عليه حضارة مصر.. ويقول المرشال «مارمون»: إن الجندى المصرى له حظ عظيم من المقدرة تبلغ درجة النبوغ.. ويقول البارون «موالكتونب»: إن المصريين هم خير من رأيتهم من الجنود..

لقد رشح الرئيس النمساوى «هاينز فيشر» المصريين لنيل جائزة نوبل للسلا قائلا: إنهم أروع شعب على الأرض ويستحقون جائزة نوبل للسلام.. وكما قرأنا فى جريدة «المصرى اليوم» ونحن نضيف والجيش المصرى أيضا يستحق هذه الجائزة فلقد حمى ثورة الخامس والعشرين من يناير، فاستتب لمصر وللعالم كله السلام بحسبان أن مصر هى (بؤرة العالم)، حماها.. ليس بالبأس والصولجان.. ولكن بوطنيته الصادقة وقوة الإيمان.

❑❑❑

حق الجار على جاره ..

حـق الجـار حق مقدس حرصـت عليه جميع الأديان سـواء الأديـان الكتابية أو غير الكتابية.

ففـى «مصر القديمـة أو العتيقة» نقرأ فـى أدب الفراعنة لأحد الحكمـاء فى وصية له لإبنه «حافظ على جارك، وعامله كأخ لك» إن كان جائعا فاعطه له من خبزك وأطعمه من طعامك، وإن كان مريضا، فعُده، وإن غاب فاسئل عنه، وإن حقد عليك فاجلس على حفة النهر حتى يأتى لك التيار بجثته!.

وفى الأدب الصينى نقرأ: «عامل جارك بأدب» .. ثم نقرأ أيضا: «إن كان جارك سيئا فاصبر عليه حتى يرحل».

وفى الديانة «البوذية التى بشـر بها [البوذا جوتاما] قبل ميلاد السـيد المسـيح – عليه السـلام، بحوالى خمسة قرون دعت البوذية إلى التوسـط فى أمور الحياة الثمانية»، وهى: «الفهم، والعزم، والكلام، والسـلوك، والمعيشـة، والعمل، والتأمـل، والفرح».. والمقصود بالفـرح هنا هو «الفرح الصادق» الذى يتاح للإنسـان فيبلـغ به الملكوت.. ويدخل فيه فرح الإنسان «لجاره».. كما يفرح لنفسه.

وجاءت الديانة الفارسـية التى علم فيها الفيلسـوف (زراد شـت) الناس حب الخير. وجعل الخير المحض من صفات الله، وبشر بالثواب، وأنذر بالعقاب ودعا إلى محبة الناس بعضهـم لبعض ومنها حب الجار لجاره والصديـق لصديقه ومن المأثور عنه قوله: « رب! هب لى عونك، كما يعين الصديق أخلص صديق».

أمـا «الحضـارة البابيلية» التى هـى من أقدم الحضارات فحرمـت الاعتداء على الأخ أو الصديق أو الجار..».. «فمن اجتزأ على فعل المحرم.. تجزيه الآلهة، على ذنبه بالوبال.. والمرض العضال.. فإن لم يكن جزاؤه مرضا فهو خسـارة فى المال أو البنين»، وهكذا كانت أيضا الثقافة اليونانية وفلاسـفتها العظام سـقراط و أفلاطون وأرسطو الذين دعوا إلى محبة الخلق كل الخلق بعضهم لبعض.

ونزلت الديانة اليهودية لتدعو كما قال (هوشـع النبى) ،تدعو إلى الحب ومنها حب الجار.. «لأن خلائق العدل والحق والإحسان والمراحم هى خلائق الأبرار».

وبشـر «السيد المسيح» – عليه السلام – بالديانة المسيحية التى قامت على الحب فالله محبة.. ومن يحب الله يحب الناس جميعا ومن أقواله – عليه السلام – سمعتم أنه قيل: «تحبُّ قريبك وتبغض عَدُوَّك. وأما أنا فأقول لكم أَحِبُّوا أعداءَكم. باركوا لاعنيكم. أحسـنوا إلى مُبغِضيكم. وصلوا لأجل الذين يسـيئُون إليكم ويطردونكم. لكى تكونوا أبناءَ أبيكم الذى فى السماوات. فإنه يشرق شمسهُ على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين. لأنهُ إن أحببتم الذين يحبونكم فأيُّ أجرٍ لكم. أليس العَشَّارون أيضًا يفعلون ذلك. وإن سلَّمتم على إخوتكـم فقط فأيَّ فضل تصنعون. أليس العَشَّـارون أيضًا يفعلون هكذا. فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل».

محبة الإنسان لأخيه الإنسان ومنها بالقطع حب الجار.. فالطهر.. كل الطهر فى نقاء الضمـير.. فمناط الغير كله فيه، ومرجع اليقين كله إليه «فليس شـئ من خارج الإنسـان يدنسـه بل ما يخرج من الإنسـان هو الذى يدنس الإنسـان».. فإذا بذلت الصدقة لأخيك أو لصديقـك أو لجارك فلا تتباهى بالإحسـان.. «فأبوك الذى يراك فى الخفاء يجزيك فى العلانية».

وأشرقت شمس الإسلام وجاءت آيات الله البينات لتوضح وتؤكد ذلك.

﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [سورة النساء – الآية ٣٦].

فى هذه الآية الكريمة، بين الله – سبحانه وتعالى – أنواع الجيران فهناك جار قريب.. من ذوى القربى، وهناك جار ملاصق فى السـكن، وهناك الجار المؤقت وهو المصاحب فى الطريق، وأوجب الإسلام الإحسان إلى الجميع.

وقد أكدت الآية الكريمة فى نهايتها أن الإساءة وعدم الإحسان إلى الجار لا يصدر إلا من إنسان مختال كفور، قد امتلأ قلبه بالاعتلاء والكبر.

وها هو ذا رسول الله عليه الصلاة والسلام يحذر من إيذاء الجار فقال – صلى الله عليه وسلم: «والله لا يؤمن.. والله لا يؤمن.. والله لا يؤمن».

قيل: من يا رسول الله؟.. قال: «الذى لا يأمن جاره بوائقه».

وقد جاء رجل إلى النبى – صلى الله عليه وسلم –، وقال: يا رسول الله إن فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصدقتهها وصيامها غير أنها تؤذى جيرانها بلسـانها فقال – صلى الله

عليه وسلم: «هى فى النار. فالإسلام دين الإنسانية قد أوجب عليها الإحسان حتى إلى الجار الغير مسلم. فالمسلم من سلم من الناس من لسانه ويده».

وأوصى الإسلام بالجار وقنن حقوقه بما يدل على قداسة حق الجار فى الإسلام. وكيف لا ؟ وهو العصا التى يتؤكأ عليها.. وهو نجدته عند الشدة وأقرب الأقربين له عند الحاجة، وعونه عند الخطوب. فالإنسان عبد الإحسان.. قال الشاعر: «لطالما استعبد الإنسان إحسان»، ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام، «جبلت النفوس على حب من أحسن إليها».

من نافلة القول أن نقول إن السلف الصالح دأب على إكرام الجار والمحافظة عليه فكان لا يشبع إلا إذا شبع جاره ولا يسكن إلا إذا سكن، كما كان يعود جاره إذا اعتوره مرض ويسأل عنه إذا غاب، وإذا نزلت به النوازل أعانه على نوازله، واحترم عواطفه، فلا يفرح إذا كان حزينا و لا يكتسى إن كان عريانا، وإلا كساه. ولذا كان الرجل العربى يتباهى بأن جاره عزيز بعزته، وغنى بثروته.

وفى الأثر ورد «ما ضرنا أنَّا قليل وجارنا: عزيز، وجار الأكثرين، ذليل».

كان العرب الأقدمون، يتباهون بأن إكرام الجار من المفاخر العظيمة والمأثر المجيدة، وقد سجل التاريخ أن الحارث بن عمرو نزلت به نازلة من نوازل الدهر ومصيبة من مصائب الأيام أضطر معها أن يبيع داره ليسدد ما عليه من ديون.. فقال له المشترى: إن دارك لا تساوى أكثر من خمسين دينارا. فقال له الحارث: وبكم تشترى جوار سعيد بن العاص؟!. فقال المشترى: والله ما رأيت قبل اليوم جوارا يباع، ومن هو سعيد هذا الذى تتبع جواره؟. أجابه الحارث: ذلك الذى إذا مرضت عادانى وإذا سألته أعطانى وإن أعسرت مد لى يد المعونة. يُعيذنى فى النوائب ويساعدنى فى المصائب ويواسينى فى الهموم والأحزان. ولما وصل الخبر إلى «سعيد»، جاء مسرعا، والحديث لما يزل قائما – بين المشترى، والحارث فقال للحارث: أمسك عليك جارك ولا تبع دارك، بقليل أو كثير، وكل ما عليك من دين، أو حوائج، فهو إلى، وعلى. وهكذا كانت النخوة العربية الإسلامية.

ومن هنا جاءت الحكمة: «خذ الجار قبل الدار».

ونُقلت إلينا المأثورة: «خذ الرفيق قبل الطريق"».

قد قال عليه الصلاة والسلام: «اتق المحارم تكن عبد الناس وأحسن إلى جارك تكن مسلما وأحب للناس ما تحبه لنفسك تكن مؤمنا».

وقد جاء رجل إلى الرسول – عليه السلام – يشكو إليه من سوء خلق جاره، ومعاملته. فقال له النبى: اذهب وأخرج متاعك وبعثره على قارعة الطريق، فإذا سألك الناس لماذا أخرجت متاعك من دارك، وألقيته هكذا، فقل لهم: إن لى جارا يؤذينى. ففعل الرجل ما أمره به الرسول، فلعن كل ماشٍ ذلك الجار، وما يزال الناس يلعنونه حتى ذهب هذا الجار إلى الرسول، معتذرا لجاره.

وقد حرص الرسول – عليه الصلاة والسلام – على حقوق الجار فقال عليه الصلاة والسلام «ليس منا من بات شبعانا وجاره يتضور جوعا، وهو يعلم».

وقال أيضا: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره.

وقال أيضا: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لأصحابه، وخير الجيران عندالله، خيرهم لجاره».

وقد بين الرسول أن الجيران ثلاثة: جار له حق واحد وهو الجار المشرك، وجاره له حقان وهو الجار المسلم ذو الرحم.

ثم تعالوا معى لتمعن النظر، ونمعن الفكر فى هذا الحديث الشريف الذى جاء بمثابة مذكرة تفسيره – بلغة أهل القانون – حينما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أتعلمون ماحق الجار؟.. قالوا وما حق الجار يارسول الله ؟ فأجاب عليه السلام.

«ان استغاث بك أغثته.. وإن استقرضك أقرضته.. وإن مرض عدته.. وإن مات شيعت جنازته.. وإن أصابه خير هنأته.. وإن أصابته مصيبة عزيته.. ولا تستطل عليه بالبناء، فتحجز عنه الريح، الإبإذنه.. وإن اشتريت فاكهة فاهد له منها، فإن لم تفعل فأدخلها سرا، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده، ولا تؤذه».

وهاهو ذا التاريخ يسجل فى أنصع صفحاته كيف حرص المسلمون الصالحون على إحترام الجار وصون حقوقه، فقد جاء أحدهما يشكو إلى أخيه كثرة الفئران. فقال له: لو اقتنيت – هذا – وأشار إلى قط – لتقضى عليها. فرد عليه قائلا: أخشى أن يسمع الفأر صوت القط فيهرب إلى دور الجيران فأكون قد أسأت إليهم؟!.

وقد روى أن الإمام أبا حنيفة كان له جار يُصلح الأحذية يبيت الليل يعاقر بنت الحان «الخمر» ثم يدق الأحذية ويغنى بصوت عال كريه..

وكان الإمام أبو حنيفة يصبر على هذا الأذى، ويتحمل سلوك جاره سيئ الخلق، وفى يوم ما قبض العسس على هذا الرجل وسيق إلى غياهب الجب، ولما افتقد الإمام أبو حنيفة

صوته سأل عنه، فعلم ما حدث له.. فما كان منه إلا أن ذهب إلى الأمير وتشفع له عنده، حتى أخرجه من السجن، وأخذ الإمام بيده، فخجل الرجل أشد الخجل، وتاب على يد الإمام، وحسن إسلامه وصح حاله.

ومن مفاخر ما حكى عنه التاريخ فى حسن معاملة المسلم لجاره ما حكى عن بن عمر رضى الله عنهما إذ كان له جار يهودى فكان إذا ذبح الشاه يقول: احملوا إلى جارنا اليهودى منها.

وقد ورد فى المأثورات أن الجار الفقير يتعلق بجاره الغنى يوم القيامة ويقول، يارب سَل هذا، لما منعنى معروفه وأغلق عنى بابه، وفى حديث الرسول عليه الصلاة والسلام، وقد سِأله رجل، دلنى على عمل يا رسول الله إذا عملت به دخلت الجنة فقال عليه الصلاة والسلام: «كن محسناً»، فقال الرسول، وكيف أعرف أنى محسن؟ فأجابه: سل جيرانك فإن قالوا إنك محسن فأنت محسن، وإن قالوا إنك مسيئ فأنت مسئ».

وقد جاء فى الطبرانى من حديث المقداد بن الأسود «لأن يسرق الرجل من عشرة بيوت، أيسر من أن يسرق من بيت جاره، ولأن يزنى بعشرة نسوة أيسر من أن يزنى بامرأة جاره».

ومما يحكى عن حسن معاملة الجار. ما روى من أن سهل بن عبد الله التسترى كان له جار مجوسى، وكانت القاذورات تسقط من فوق هذا الجار المجوسى فى دار سهل بن عبد الله، فكان سهل رضى الله عنه يجمع تلك القاذورات فى مِكتل عنده، كل يوم، ويلقيها بعيدا، دون أن يعاتبه، ولما حانت منية «سهل» استدعى جاره المجوسى وذلك بعد أن أبصر جاره المكتل المليئ بقاذوراته فسأله: ماهذا؟ قال له: هذا مايسقط من دارك على وأنا أتلقاه بالنهار وأجمعه ليلا، ولولا أنه قد واتانى أجلى، وأنا أخاف أن لا تتسع أخلاق لغيرى، فيؤذيك، ما استدعيتك فما كان من جاره إلا أن قال له: أيها الشيخ أنت تعاملنى هذه المعاملة منذ زمن طويل وأنا مقيم على كفرى.. مُد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله.

هذا هو حق الجار فى الإسلام. حق مقدس تأثر به القاصى والدانى، وتأثر به الأدب الشعبى حتى نطقت به الأمثال التى جاء فيها:

اختار الجار قبل الدار.

النبى وصى على سابع جار.
إن كان جارك فى خير افرح له.
أطلب لجارك الخير، إن مانلت منه، تكتفى شره.
«الجار أولى بالشفعة» «مبدأ قانونى معمول به كحق الإرث».
الجار جار، وإن جار.
جارك قدامك ووراك، إن ماشاف وشك يشوف قفاك؟!.
قبل ما أقول يا أهلى يكون جيرانى غاتونى.
ربك وجارك أعلم بحالك.
لولا جارتى لانفقعت مرارتى.
من جاور السعيد يسعد.
غير من جارك ولا تحسده.
يا جار الدهر، احزن لى شهر.
الجار للجار ستر وغطا.

وهل ثمة أعظم حديثا.. من قول رسول الله عليه الصلاة والسلام حين قال: «ظل جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»، وهكذا يثبت الإسلام أنه دين المبادئ.. وأنه دين الحق.

فمحبة الجار لجاره أمر إلهى، وسنة شريفة يجب أن نحرص عليها كل الحرص، وأن نعض عليها بالنواجز.

❑❑❑

من قاض مصرى.. إلى الرئيس أوباما..

غـاص المصريون بخيالهـم إلى أغوار الماضى وهـم ينصتون بقلوبهـم إلى الرئيس أوباما وتعلقـت به عقولهم وسـرحت معه من خـلال خطابه الصافى الضافـى، الذى وجهه من خلال منبر جامعة القاهرة إليهم وإلى العالم الإسلامى بل إلى قاطنى المعمورة فى شتى البقاع والأصقاع ومس شغاف قلوب المسلمين استشهاده الصائب بآيات من القرآن الكريم تدعو إلى التسامح وإلى قبول الآخر وإلى العيش فى سلام ووئام.

وفى مثل هذا الشهر يونيو عام ١٩٦٣ قال الرئيس كيندى.. وهو بصدد مخاطبته للشعب الأمريكى: «إننا نواجه مشكلة أخلاقية قديمة قدم الكتاب المقدس وواضحة وضوح الدستور الأمريكى.. ألا وهى الاعتراف بحقوق الآخرين..».

كان كينـدى يقصد بكلمته هذه محاربة العنصرية التى ضربت جنبات البيت الأمريكى وباتت تتهدد الأمة الأمريكية فى صميمها وفى سويداء قلبها؟!.

ويقص علينا «مارتن لوثر كينج» الشـهيد الزنجى الأمريكى الذى اغتيل على يد الرجل الأبيـض لقـاء دفاعه عن حقوق السـود – فى أمريـكا الذين جلبوا إلى أمريـكا من القارة الأفريقية كعبيد أرقاء حيث كان الإنسان يباع ويشترى، كما يعامل الحيوان؟!. وفى ظلمة الليل البهيم.

ولعل قصة كفاح الزنوج فى أمريكا لن تطوى من كتب التاريخ، ولا من مدونات الفكر، فقـد عـاش الزنوج تحت ربقة إحتلال البيض لهم، وتكبيلهم فى إسـار الظلم مسـتعبدين إياهم، بحيل الداهية، وبقوة الطاغية الذى صدر فى غيه، يتفنن أناء الليل وأطراف النهار فى إذاقة كل زنجى العذابات ألوانا، ومن صنوف الذل والمهانة وصالا، فكان محظورا عليه أن يتعلـم القراءة والكتابة بمقتضى قانون جائر ثابت فى السـجلات الرسمية والحكومية، وكان الزنجى إذا شـك أو تألم فالعقاب الوبيل له يتراوح بين التشـويه الجسـمانى إلى حد القتل حتى بات كل زنجى يتمنى ألا يقوم من سـباته؟ فمنذ لحظة مولده فى المستشـفيات المتدنية والمقصورة على السـود دون سـواهم ينتهى به المطاف إلى مقابر السـود.. وما فتىء العنصرى الأبيض يردد مؤكدا أن الزنجى أى زنجى راضٍ عن حياته، ومصيره. فليس فى الإمكان أبدع مما كان؟!.

وطفق الزنوج يبحثون كيف السبيل إلى الخروج من هذا النفق المظلم .. فالجميع «أذن طين وأخرى من عجين» ؟!.. فلا أحد يجيب أو يستجيب؟!.

وما إن أهَّل صيف عام ١٩٦٣ حتى كان الزنوج قد جيشوا جيوشهم ونظموا صفوفهم ومضوا قدما تحت لواء النضال السلمى للمجاهرة بحقوقهم، وكان من بينهم ـ آنذاك ـ العاجز، والمشوه، والضرير، فأضحت السلطات الأمريكية ـ وعلى حد تعبير «لوثر كنج» أشبه ما تكون بالسجين الهارب الذى وقع تحت شعاع نور كاشف بل وفاضح ـ أيضا مما فت فى عضد هاتيك السلطات التى أصبحت حبيسة أمام هذا النور الذى كشف الحقيقة العارية أمام أنظار العالم كله.

ومع أن الولايات المتحدة الأمريكية ما اشرأبت قامتها وسمقت هامتها إلا بفضل هؤلاء الزنوج الذين كانوا يعملون فى شتى المناحى ومختلف الأعمال التى تنوء بها كواهل البيض.

سيادة الرئيس الأمريكى : يتوجه إليكم قاضٍ مصرى وأنت خريج الحقوق من جامعة هارفرد أعرق الجامعات فى الولايات المتحدة الأمريكية وقد درستم القانون، وأصبح يسرى كأى دارس له فى دمائه وأفكاره أن تعمل بما درست وأن تحق الحق فالقانون إنما وضع لكى يفرق بين الغث والثمين ويمحص الحق من الباطل ويعطى لكل ذى حق حقه، وأن تعمل جاهدا ومخلصا على أن تيمم وجهك شطر الأرض المغصوبة من الفلسطينين وأن تجاهد فى سبيل عودة الديار المسلوبة إلى ذويها وأهلها.

فإن المهمة التى ألقاها الله على كاهلك هى أن تعمل فى سبيل إنصاف الفلسطينين من الصهاينة المتجبرين والذين عاثوا فى أرضهم السليبة فسادا وإفسادا ضاربين كل المبادئ والقيم التى قننتها المبادئ الخلقية للمسيحية والإسلام.

وسلام الله عليك.

❑❑❑

خطر الماسونية .. والمؤامرة العالمية ؟!

يدها من حديد.. وبأسها شديد.. تجذب إليها الصغار.. وتشد إلى حظيرتها الكبار؟!

أصاب الأستاذ الأديب « على خميس» كبد الحقيقة عندما حذر من مغبتها فى مقالته «الثورة المصرية من مخلب البلطجية إلى أنياب الماسونية».

الماسونية كما عرفها المستشرق الهولندى (دوزى) هى عبارة عن: «جمهور كبير من مذاهب مختلفة تلم شعثها غاية واحدة هى إعادة هيكل سليمان الذى هو رمز إسرائيل»، وهى عبارة عن شباك حاكها تسعة من أحبار اليهود منذ ردح قديم من الزمان ضللوا الناس بشعارهم المزيف (حرية – عدالة – مساواة) يحمل فى طياته بروتوكلات حكماء صهيون وأحاطوا دعوتهم بالكتمان إحاطة السوار بالمعصم وكانت كلمتهم التى تتردد على أفواههم فى هذا الصدد (أمنع من السر الماسونى)، والهدف الأسمى لهم هو انتزاع فلسطين من هويتها العربية، وعقيدتها الإسلامية، ومن هنا يفوزون بالمغنم، وعلى عاتق الأمة العربية، بل وجميع الأمم يقع المغرم.

وفى كتابه «أحجار على رقعة الشطرنج» يكشف مؤلفه «وليم جار كار» حقيقة الماسونية بعد أن أنفق من عمره عقودا أربعة (منذ عام ١٩١١ حتى عام ١٩٥٠) فى البحث والتنقيب، عن هدف الماسونية المغيب، وتوصل إلى أنها إنما تسعى جاهدةً إلى أن يتحول العالم برمته إلى دول تصطرع فيما بينها حتى يمسى العالم بما فيه وما يحويه خرابا يبابا.

وقد دأب مؤسسها الأول «آدم وايزهاويت» على أن ينشر مذهب الماسونية منذ ولادة شهر مايو ١٧٧٦ حيث كان يعمل أستاذا للقانون فى بافاريا أحد الدول الجرمانية فسعى سعيا دؤوبا على ضرورة القضاء على الحكومات وطمس الأديان السماوية أو بالأحرى الدينين المسيحى والإسلامى، وارتأى أنه لا يمكن الوصول إلى ذلك إلا عبر تقسيم الشعوب (أو الجوييم) «الذى يعنى جميع العالم ماعدا بنى إسرائيل» عن طريق بذر بذور الشقاق بين الدول، وزرع المشكلات العنصرية والاقتصادية والاجتماعية وإشعال نيران الحروب الأهلية والدولية فى أرجاء الدنيا، كما كان فى الحربين العالميتين الأولى والثانية، هنا نشأت جماعة النورانيين (المحفل الماسونى) وكان مغزاه ومرماه وأد الإرادة الفردية وقتل النزعة

الوطنية وجذب العديد من الرموز القومية من العلماء والرؤساء وممن يشغلون مراكز المدراء من أرباب التجارة وأساطين المال إليهم .. ومن ثم تأسس محفل الشرق الكبير (المحفل الماسونى)، ولقد نجح هذا التشكيل العصابى فى إنشاء ثلاثة معابد متخصصة فى تأهيل الشباب للهدف المرجو والمعلوم. يقع الأول فى إقليم (goldonstum) باسكتلندا، والثانى فى بلدة ساليم (Salem)، والثالث فى أنا ريتا (Anarryta) باليونان، وسقط فى شباكه العملاء الذين مافتئوا مخلصين يعملون وهم الخبراء والمدراء لدى الحكومات لتكوين حكومة عالمية من (الجوييم) تهيمن على مشكلات العالم برمته ابتغاء الغاية التى تغيوها وأضحت ديدنا لهم ونبراسا. وفى مؤتمر الحاخامات من أحبار اليهود المعقود فى بودابست فى غضون عام ١٩٥١، وبعد أن لطخوا أيديهم بالدم المهراق فى الحرب العالمية الثانية أخذوا يعدون العدة ويهيئون الوسائل «للحرب العالمية الثالثة»؟!، وكان منهجهم الذى نفثوه وأذاعوه فى ذلك المؤتمر ما نصه: (وسنضرب بعض الأمم بمدافع بعض، لتشرف إسرائيل على قضايا الشعوب الباغية، وهذه هى معركتنا الأخيرة مع (الجوييم)، وبعدها سيصبح كل يهودى سيدا وماعداه عبدا)، وبهذه - المثابة - تنضوى الشعوب المقهورة تحت جناح إسرائيل الكبرى .

ولقد امتدت دعوتهم من لبنان إلى سوريا وهبطوا مصر حتى وضعت الدولة يدها على بعض مخططاتهم فى عام ١٩٥٥، ولقد أصدر «إسحاق بن زيفى» الرئيس السابق لإسرائيل كتابا أسماه «الدونمة» صدر عام ١٩٥٠ قال فيه: (إن يهودا كثيرين.. وكثيرين جدا يعيشون بين الشعوب بطبيعتين، إحداهما ظاهرة، وهى اعتناق دين الشعب الذى يعيشون بين ظهرانيه اعتناقا جماعيا، والثانية باطنة وهى اخلاص عميق لليهودية وقد أسماهم بنى زيفى «طائفة مسلمة يهودية»)؟!.

وها هوذا - الجنرال الأسبانى «كانو لوبيز» يقف فى البرلمان الأسبانى (الكورتس) ليقول: منذ عام ١٩٢٥ طوت الماسونية تحت لوائها العديد من ضباط الجيش فى الاتحاد العسكرى الأخوى (الذى أقاموه) حتى زكا عوده، وأصبح بشرا سويا، وأقسموا جميعا والحديث للجنرال المذكور - بطاعة رئيسهم طاعة عمياء ليس لها حدود وبأن سلطته تسمو على أية سلطة عداها مهما علت أو سمقت.

ومنذ عام ١٩٣٠ يمموا وجوههم واهتماماتهم لتوثيق دكتاتورية عمياء مستبدة للقضاء على الكنيسة المسيحية، ولم يتوقف تآمرهم على قتل الأبرياء من الأحياء بل تعداه إلى التمثيل

بجثث الموتى حتى إنه فى غضون شهر يوليو ١٩٣٦ تم إخراج أجداث الراهبات من قبورهن وتعليقها على حوائط الأديرة وعليها لوحات تحمل عبارات غاية فى القحة والبذاءة.

ولقد أثبتت الإحصائيات على أنه ما بين عامى ١٩٣٦، ١٩٣٧ قتل على أيديهم ما يقرب من خمسين ألفا من البشر فى برشلونة، وما يربو على الثلاثين فى فالينسيا، وأبادوا عُشر سكان مدينة مدريد من أجل تنفيذ مخططهم الشيطانى النورانى الماسونى، ولا ينسى التاريخ ما فعلوه مع « هتلر» إذ صوروه بصورة المعتدى بعد تدبير مؤامرة خاصة بمشكلة ممر دانزنج ولم يكن هلتر يطلب إلا رفع الظلم الذى أوقعته معاهدة فرساى على ألمانيا فالمناطق التى اقتطعت منها كانت تابعة لألمانيا ولم يقدم هتلر على الحرب إلا بعد أن أستجار شعبها به من العدوان الشيوعى عليها .. يقول «جاى جار كار»: «هذه هى الحقيقة التى ينكرها الجميع».

لقد استطاعت الماسونية أن تضم بين جنباتها فضلا عن زعماء الغرب مثل تشمبرلن، والملكة «فيكتوريا» ومن الشرق «جمال الدين الأفغانى»، و «الإمام محمد عبده» وغيرهما ظنا منهما أن الماسونية رسالة سامية تدعو إلى الوئام والسلام، وإن كان الأول قد انسل منها خارجا بعد أن كشف الستر عن خافى مراميها، ولعل من المفيد أن نختم هذا المقال بما يؤكد هوية هذا المخطط الجهنمى بما هو ظاهر على العملة الأمريكية (الدولار) إذ تمثل رموزه نفس رموز الماسونية العالمية وعملائها الذين يعتبرون البشر مجرد قطع وأحجار على رقعة شطرنج تغطى وجه البسيطة وأسقطوا منها تاريخ وثيقة الاستقلال الأمريكى؟! وكان قمينا بهم أن يفعلوا ذلك.

جدير بنا وبكل شعوب الأرض أن نحذر وأن ننتبه إلى ما يحيق بنا من شر الماسونية الذى كان ولم يزل يطل برأسه يوما بعد يوم.. فلعل وعسى؟!.. فلقد شكلت الماسونية روافد لها فى جميع الأنحاء والأرجاء تمثل نهرا بل بحرا يغرق العالم فى لجته منتهيا به إلى الموت الزؤام.. وكما يحدث فى مصر الآن من إحن ومحن و اختلافات واضطرابات وفتنة طائفية ومطالبات فئوية.. هل يكون مرد هذا من فعل الماسونية العالمية لتدمير الأمة المصرية؟! بل والشعوب العربية..

ولقد صدق الشاعر الذى قال:

نرى خلل الرماد وميض النار ويوشك أن يكون له ضرام

خواطر «قاض» .. ردا على خواطر «مؤرخ» !.

لا مشاحة فى أن فن التاريخ من الفنون التى تتداولها الأمم والأجيال، وتشد إليه الركائب والرحال، وتسمو إلى معرفته السوقة والأغفال، وتتنافس فيه الملوك والأقيال، ويتساوى فى فهمه العلماء والجهال.. فى باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومباديها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق فهو لذلك أصيل فى الحكمة عريق، وجدير بأن يعد فى علومها وخليق.

ويردف العلامة ابن خلدون قائلا: إن فحول المؤرخين فى الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها، وسطروها فى صفحات الدفاتر وأودعوها، خلطها المتطفلون بدسائس من الباطل أوهموا فيها أو اتبعوها، وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها، واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم وابتدعوها وأدوها إلينا كما سمعوها، ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها ولا رفضوا ترهات الأحاديث ولا دفعوها فالتحقيق قليل، وترف التنقيح فى الغالب كليل».

ولقد اختلف العلماء فى تفسير معنى التاريخ على نحو ما ذكره صاحب كتاب «المدخل إلى علم التاريخ» بين ما يراه «السيوطى» هو ربط الأحداث بالزمن.. أو هو وضع علامات على مسيرة الزمن لتحديد وقت وقوع الأحداث، وبين من يراه نظرية المعرفة تلقى ضوءا على حقيقة هاتيك الأحداث، وثمة نفر آخر «السخاوى» يذهب إلى أنه العلم الذى يهتم بالنشأة والميلاد والتطور عبر الزمن، أما «كولن جود» فيقول: «إن علم التاريخ هو نوع من أنواع البحث العلمى بهدف الكشف عن جهود الإنسان فى الماضى معتمدا فى ذلك على تفسير الوثائق».

ومن أوجز وأشمل ما قرأناه فى هذا الخصوص هو ما قاله «الأستاذ العقاد» عن التاريخ «التاريخ هو عرض الإنسانية».

ومن هنا فإن المؤرخ أو حتى الهاوى للتاريخ يجب أن يتوخى الدقة فيما يكتب يستبطن ما قد يظهر ويستظهر ما قد يبطن، نأيا بنفسه عن الجموح والجنوح بخطأ يشغب به على القواعد المقررة، بما يغشى به أفكار العامة، أو بما يمس به، أعراضا فى يومها الحاضر، أو فى أمسها القريب، أو فى غدها الموشك، ويقع الناس صرعى الأوهام والخيالات، وكم من الناس قد اعتمد على الخيال وأقام به الرواسى من الجبال.

نقـول هذا بمناسـبة ما كتبه الأسـتاذ الدكتـور عبد العظيم رمضـان.. وتحت عنوان: «الأسـتاذ العقاد لم يكن ملاكا» والمنشـور بجريدة الجمهورية فى ٢٩/ ٧/ ٢٠٠١، إذ قال: «إنـه يعجبه كثيرا البرنامج التليفزيونى الذى تقدمه السـيدة جميلـة إسماعيل على القناة الأولى فى التليفزيون المصرى الذى يختبر معلومات الشعب المصرى عن الشخصيات المصرية المشهورة وتقدم فيه فى النهاية للفائز هدية على الطريقة القرداحية «جورج قرداحى» أكثر تواضعا قد لا تتجاوز صينية بسبوسة أو كنافة ولقد تركزت الحلقة الأخيرة من تلك البرنامج على شخصية «محمود عباس العقاد» كذا! الذى كانت تدور حوله هذه الحلقة التى ركزت على سـجن العقاد بسـبب عيبه فى الذات الملكية وتقصد الحلقة بذلك عندما وقف العقاد فـى مجلس النـواب يوم ١٧ يونيه ١٩٣٠ بعد أن أعلن رئيـس الحكومة مصطفى النحاس باشا استقالته بسبب عجزه عن تقديم مشروع محاكمة الوزراء فألقى العقاد عبارته الشهيرة «ألا فليعلم الجميع أن هذا المجلس مستعد أن يسحق أكبر رأس فى البلاد فى سبيل صيانة الدسـتور وحمايته».. فلو قدمت المذيعة حياة العقاد كاملة لعرفت أنه بعد سـبع سـنوات فقط انقلب على هذا الموقف وعلى الحياة البرلمانية وعلى الدستور ووقف يساند الملك فاروق فى أخطر معركة دسـتورية شـهدتها البلاد وأخذ يجند كل ما يملك من قوة منطق وبلاغة حجة فى الدفاع عن (حقوق الملك)، ضد (حقوق الشـعب)!.. فقد زعم فى إحدى مقالاته أن الضمان الوحيد للحقوق الدسـتورية فى أيدى الملك الكريم حرسـه الله! ذلك هو الضمان الـذى لا خطر فيه على أحد بل فيـه الوقاية من جميع الأخطار، إنه الضمان الذى يفديه المصريون بأرواحهم وأموالهم فيفدون أنفسهم ويفدون بلادهم!.. وفى مقال أخر ادعى العقاد أن حقوق الملك هى حقوق الأمة! تغار عليها كما تغار على أعز الحقوق الدسـتورية لتوطيد الأمور وحماية الناس من أغلاط الوزارات على توالى القيام والسقوط، وأضاف: «هنا يتجلى لنـا أن الأمة تحمى الملك لأنه يحيمها! وتضمـن حق الملك لأنه يضمنها وترفع حق الملك على حقوق أخرى لأنه الحق الباقى لها على تعاقد العهود وتتابع الأحزاب واختلاف الميول والأحوال».. وواضح هنا أن العقاد انقلب على موقفه انقلابا تاما وبـ ١٨٠ درجة! ومن هنا فالمطلوب دائما لإنصاف التاريخ تقديم صورة الشخصية للناس بما لها وما عليها مع تفسير المواقف وليس تبريرها! بدلا من تقديمها فى صورة ملائكة لا يخطئون ولا يزلون! فالأستاذ العقاد كان أستاذا (ولكنه لم يكن ملاكا)!.

هذه خلاصة ما كتبه الأستاذ الدكتور «رمضان» قد جاء على شاكلة خلاصة المحاكمات فى قضايا الجنايات أشبه بعنوان كتاب «سرمرست موم» فى كتابه «SUMMING UP».

ولما كان ذلك، وكنا نؤمن بآبدة والآبدة هى جمع آوابد وهى الكلمة التى تذهب فى أسماع الزمن مذهب الخلود. يقول: «على بن أبى طالب – كرم الله وجهه –» الساكت أخو الراضى» ومن ثم، وأخذا بمذهب الإمام على، فإننا نوجز القول، ردا على الأستاذ الدكتور، فنقول: «إنه قد سبق وأن تطاول المتطاولون على الأستاذ العقاد بمثل ما ذكره الدكتور رمضان ومنهم الأستاذ سلامة موسى، والأستاذ فتحى رضوان ،إذ رماه الأول بأنه – أى الأستاذ العقاد – هو والدكتور طه حسين، والدكتور هيكل – كانوا من «الكتاب الملوكيين»، وذلك لسبق مدحهم للملك فاروق ملك مصر السابق.. وتكفل الأستاذ بالرد على الأول إبان حياته ففند مزاعمه، وأورد فى رده سبق مدح الأستاذ سلامة موسى نفسه للملك فاروق.. وأما الثانى فلم يكن العقاد على قيد الحياة لكى يجهض رأيه ذاك، ومما قاله الأستاذ العقاد ردا على هذه الشائعة ما دبجته يراعته «أما فاروق فقد لعنا أباه حرفيا.. وهل سمع أحد أننا زحفنا على بطوننا إلى عرشه يوم كان له عرش تزحف إليه البطون ممن تعلمون ولا تعلمون؟، إنه على هيامه بذكرى أبيه فقد تقرب إلينا ولم نتقرب إليه، وسألنا أن نستقيله فى بعض المناسبات يوم كان الناس جميعا يمدحونه ولم يكن أحد يعيبه سرا ولا علانية، فقدمنا له النصح فى قالب المدح ووصفناه بما ينبغى أن يتصف به من الحرص على الرعية وصيانة الإستقلال والحرية، ولم نطلب أن نلقاه إلا وقد كان هو قبل ذلك طالب اللقاء.

وهذه سجلات القصر محفوظة يرجع إليها من يشاء، وفى هذا يقول الأستاذ المحقق سامح كريم أن موقف العقاد من الملك السابق فاروق يتضح من هذه العبارة الصغيرة وكذا موقفه من أبيه الملك فؤاد الذى كان يرى أنه لابد – أى العقاد – أن يكون: كبرناردشو» الذى دعى لزيارة الملك «جورج» فأجاب: بأنه يكون سعيدا إذا زاره الملك فى بيته، لا أن يكون كالمتنبى.. الذى كان العقاد يستصغر عظمته، تلك التى تخنقها تبعيته للأمراء وإن كانت هذه التبعية للعيش الرغيد المألوف فى عصر المتنبى..

ومن الثابت أن الأستاذ العقاد قد دعى لإلقاء قصيدة فى حفل ملكى أقيم بالصحراء الغربية بوصفه عضو البرلمان النائب عن هذه الدائرة وألقى القصيدة وكان تعليق الملك السابق فاروق عليها – موجها كلامه للأستاذ العقاد – لماذا لم تكن تقول هذا الكلام فى عهد أبى الملك فؤاد؟ فكان رد العقاد على هذا التعليق الملكى أنه قد خرج على التقاليد الملكية..

وشـق الصفـوف منصرفا عن الحفل قبـل أن ينصرف عنه الملك.. بل وغـادر المنطقة كلها إلى القاهرة.

ويبقى السؤال الذى أورده الأستاذ كريم، يزداد حدة وعنفا أو تزيدا وتجاوزا حين يطلقه فتحى رضوان كالرصاص على العقاد وقد أصبح جثة هامدة .. لماذا كان يمدح العقاد فاروقا؟ – ونسـج على عنوان ذلك – الكاتب الناقد الأسـتاذ رجاء النقاش، والحقيقة التاريخية تنهض بجلاء من خلال تاريخ مصر السياسى لتقول: إن ثمة معركة حامية كانت قد نشبت بين العقاد والوفد إثر خروج الوفد عن خط زعيمه سـعد زغلول، متبعة فيما ذكره المؤرخون لتلك الفترة سياسة الرجل الفرد أو الحكم الدكتاتورى، وكان من أبرز مظاهرها تكوين فرق القمصـان الـزرق لتكون يده التـى يبطش بها لكل مخالفيه، وعاثت تلك الفئة فسـادا فى البلاد، وضاق بها العباد الذين شـكوا، فما أصغت الوزارة إلى شـكواهم ومازال الأمر يتفاقم حتـى لجـأ الناس إلى الملك ليدلى فى هذه الحالة بدلـوه وكان النحاس يرفض تدخل الملك محتميا بالدسـتور ووقف الملك مكتوف اليدين، وهنا ظهر العقاد أو «هرقل» كما أطلق عليه الدكتـور «لويس عوض» وأعلنها صيحة مدوية من أجل إصلاح الوضع الخاطئ.. ومما قاله الأسـتاذ العقاد آنذاك» إن قيام القمصان الرزق لا يخالف الدسـتور وحسب بل هو يخالف الديمقراطية فى صميمها وهى شئ أعم من الدستور وأولى منه بالغيرة والصيانة.. ومتى كان حق الوزارة أن تحكم على الطريقة الدكتاتورية وهى لم تتسـلم الحكم إلا على اعتبار واحد وهـو أنها وزارة ديمقراطية؟.. وهل فى الدنيا أعجب مـن قيام وزراء دكتاتوريين فى عهد ملك دستورى؟ ثم أردف العقاد قائلا من حق صاحب الجلالة أن يشير بيده فى هذه المسألة لأنـه قائد الجيش الأعلى فيحق له أن يصون سمعة الجيش وأن يمنع قيام هيئة عسـكرية غير الهيئة التى هو قائدها وحافظ نظامها .. وقد تساءل سائل بحق أين كان فتحى رضوان عـام ١٩٥٤ يـوم أن قال العقاد: أما فاروق فقد لعنا أياه.. على النحو المذكور أنفا، لماذا لم يرد رضوان آنذاك على العقاد؟.

وقد كانت الفترة التى كتب فيها الأسـتاذ العقاد ماكتب فى وقت كان الناس يتطلعون مشوقين لتولى الملك فاروق سلطته الدستورية ذلك لأنهم رأوا فى الملك الشاب من يمن الطالع مـا جعلهم ينظرون للمسـتقبل بعين ملؤها الأمل والرحمة وقـد أحاطوه بعاطفة، وكما عبر الدكتور محمد حسين هيكل فى كتابه «مذكرات فى السياسة المصرية» ص ٣٥٤ بعاطفة من

الحب الصادق لما نجم عن هذا الشـاب من براءة وطهر ومن الرجاء الخالص لله أن يجعل عهده عهد حرية وسعادة للمصريين جميعا، راجع الدكتور عبد العزيز شرف، عصر العقاد ص ٣٢٨ فيما أثبته بخصوص خروج الأستاذ العقاد عن الوفد.

ولعل من المفيد أن نذكر كيف كان موقف الأسـتاذ العقاد من الرئيس جمال عبد الناصر الـذى رأى فيه حاكما مطلقا ويرى أن اختياره لرجاله ليس اختيارا للموهبة أو الكفاءة إنما هو يختار الذى يريحه، أو الذى ينحنى له، ويذكر الأستاذ أنيس منصور فى هذا الخصوص فى كتابه غير المسبوق «فى صالون العقاد كانت لنا أيام» أن الأستاذ العقاد بعد حصوله على جائزة الدولة التقديرية فى الأدب فى سـنة ١٩٦٠ أرسل له الكلمة التى سوف يلقيها أمام الرئيس جمال عبد الناصر لكى يعيد كتابتها على الآلة الكاتبة فقرأها وانزعج فلم يجد بها كلمة واحدة عن الرئيس جمال عبد الناصر أو حتى عن الثورة لا فى أولها ولا فى أخرها؟!، وشاطره هذا الإنزعاج المرحوم الأستاذ «كامل الشناوى».

وإن ننسى لا ننسى ما كتبه الأستاذ رجاء النقاش مهاجما الأستاذ العقاد فى هذه الفترة متهما إياه بأنه الكاتب الوحيد الذى لم يكتب حرفا واحدا عن ثورة ٢٣ يوليو، انظر أيها القارئ العزيز، ماذا كان رد الأستاذ العقاد عليه؟ – وأنا هنا أنقل من الذاكرة – قال الأستاذ العقاد له: «إن الثورة التى تعتمد فى تأييدها على كاتب مثلك لهى أضعف الثورات؟!.

ثم هل لنا أن نتسـاءل ونوجه سـؤالنا للأسـتاذ الدكتور عبد العظيم رمضان الذى نكن لـه المودة والتوقير – وهو يعرف ذلك سـلفا – أين كنت يـا دكتور عبد العظيم إبان الحكم الدكتاتـورى للرئيس جمال عبد الناصر، كما أسميته أنت؟.. ولماذا لم نقرأ لك كلمة واحدة عن نقدك له أو لسياسـته على النحو الذى سـودت به الصفحات الطوال عنه ناقدا ومحللا ومفسرا ومهاجما له، فى جميع ما كتبته عنه؟ قد تقول أنك لم تمدح ولكن الجميع يقولون أنك قدحت.. وبعد موت عبد الناصر؟!.. أين كنت إذن يا دكتور؟!.

قمين بنا إذن أن نعطى لكل إنسان حقه بعد البحث والدرس والفحص والتمحيص، فيما قد يُلغط به من بعض الشانئين عن زعمائنا وعلمائنا وأدبائنا الذين يفنون أعمارهم فى خدمة البلاد، فى أكثر الأحايين بغير دليل يكفى لإدانة متهم فى قضية مخالفة – على حد تعبير أسـتاذنا العقاد.. فضلا عن أبناء الوطن المخلصين؟.. فهناك الإشـاعات التى تذاع وتشـاع حقدا وغلا وافتئاتا على كرامة الخلصاء والشـرفاء، وهم منها براء يسـقط كذبهم من الأقلام

ويسرى بهتانهم على الأفواه بغير دليل. أو قد يجيئها الدليل «المختلق» من صنع أصحاب المنافع والمآرب فى سياسة الحاكم الغالب. وهم يدافعون عن أنفسهم باتهام الأخرين، ويقينا فإن الدكتور عبد العظيم رمضان «المؤرخ القدير» ليس قطعا من بين هؤلاء؟!.

من نافلة القول إذن أن نقول إن الأستاذ العقاد كان من أهم ما يميزه مواقفه الثابتة فى الحياة. فهو يقف كما عبر العلامة الدكتور شوقى ضيف فى كتابه الأدب العربى المعاصر.. يقف دائما عند رأيه ويثبت ثباتا وكأنه حصن من حصونه. يعيش فيه ويعيش له، ويذود عنه ذود العربى الأصيل عن عرضه ويروعك عنده دائما نصب عينيه لا تغيب بل هى دائما النبع الروحى لأحاسيسه ومشاعره بكل ما تموج به من أحداث سياسية وكل ما تزهى به من أمجاد ماضية.

صدقت يا أستاذنا الكبير عباس العقاد رحمة الله عليك فيما قلته فى قصتك «سارة» «ذو الوجهين منافق وذو الوجه الواحد ميت».

ولقد مت فى نظر شانئيك.. ولكنك حى خالد فى عيون عارفى فضلك ومحبيك.

❑❑❑

المتاحف.. ذاكرة الشعوب ..

وهى بلا شك كذلك. فالشعوب التى لا متاحف لها أشبه بإنسان بلا ذاكرة. يعيش وكأنه قد أصيب بمرض الزهايمر .. المرض الذى إذا أصاب أحدا ابتهل إلى الله أن يفارق الحياة!.

ورسالة المتاحف رسالة بالغة الأهمية فهى تقوم على تحويل مبان تقبع فيها المقتنيات إلى تراث يقطن فيه الأحياء، وذلك من أجل ترسيخ روح الانتماء وتعميق الهوية الحضارية.

ومنذ عهد ضارب فى القدم أنشأ الإنسان المتاحف، كيف ذلك؟ قد سجل الإنسان الأول تاريخه على الأثار التى خلفها والتى كانت مطموره تحت الثرى لا تقع عليها الأعين ومن ثم أطلق عليها الأثريون اسم «الخبيئة» من خلال رسوم وإشارات تحولت مع تقدم البشرية إلى كتابات تحقق العنصر الحى لفعل «الحْكَى»، وبفك ألغازها، واستنكاه رموزها تحولت طلاسمها إلى شخوص حية تحقق العنصر المركزى «لفعل الحكى» من خلال لغة مقروءة تنطق بماضى الشعوب وما مر بها من أحداث، ومن ثم ترى فيها المدح والقدح مثلما حدث مع نبى التوحيد فى مصر القديمة «إخناتون» وغيره من فراعنة مصر.

تمثل الأهرامات متحفا جليلا مهيبا وإن كان الشاعر الفحل «المتنبى» قد خرج من مصر ساخطا على «كافور الإخشيدى» فوصف الهرمين بقولته:

أين الذى الهرمان من بنيانه من قومه؟ من يومه؟ ما المصرع؟
تتخلف الآثار عن سكانها حينا، ويدركها الفناء، فتتبع؟

وإليك ما قاله «عمارة اليمنى» فى عصر الفاطمى عن الهرمين نفسيهما فصور مناعتهما أمام الدهر:

بناء يخاف الدهر منه، وكل ما على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر
تنزه طرفى فى بديع بنائها ولم يتنزه فى المواد بها فكرى

بيد أن الأهرامات كانت بمثابة المتاحف المفتوحة، أم الخبيئات فقد أضحت محل أبحاث ودراسات العلماء من شتى أنحاء الأرض وأضحت كل خبيئة كنزا رائعا للرائين أو الزائرين.

وقد انبهر العالم بما اكتشفه «كارتر» من مقبرة «توت عنخ آمون» وما حوته فى داخلها من مدونات تقص عليك جزءا هاما من تاريخ مصر القديم.

وعندما عملت وكيلا لنيابة الأقصر ونيابة أرمنت جست خلال الديار وشهدت المتحف العالمى للآثار فى البر الغربى للأقصر.. وكذلك معبدى الكرنك والأقصر مرات ومرات، بدا لى جليا قيمة المتاحف وأثرها البالغ فى تثقيف الشعوب، وكنت أشاهد الآلاف الذين يتقاطرون على هذه المتاحف لإستقراء تاريخ مصرالقديمة وحضارتها السامقة التى جاءت لنا حسب الجدول الذى خلفه لنا المؤرخ «مانيثون Manetho».

والذى تحصل فى عصور ما قبل التاريخ والدولة القديمة والوسطى وعصر الهكسوس والدولة الحديثة والعصر المتأخر والعصران الفارسى وما بعده حتى وصلت مصر بعصورها إلى عصر البطالمة والعصر الرومانى ثم البيزنطى فالقبطى فالفتح العربى لمصر عام ٦٤٠ بعد الميلاد.

وقد أفصحت لنا خبيئات قدماء المصريين عن استعمال قدماء المصريين لكتابتين متبيانتين إحداهما لغة العلم والأدب والأخرى اللغة الدارجة، وكذلك نوعين من الخطوط، أحدهما زخرفى وهو الخط الهيروغليفى والآخر هو الهيراطيقى كما أنه كان هناك الخط المبسط الهيراطيقى وإذ نجح جان فرنسوا شمبليون «Jean François Champollion» فى حل رموز الكتابة المصرية القديمة فقط تكشفت لنا تلك الخبيئات بما كتب فيها المدوينات وما كنا سنعلم ذلك إلا عن طريق هذه المتاحف المخبوئة المطمورة تحت التراب.

من تكرار القول أن نقول إن تلك الخبيئات وهذه المتاحف هى المعلم للشعوب قاطبة وقد انتشرت فى ربوع العالم فمن متحف المرأة الوطنى للفنون فى واشنطن، ومتحف بيكاسو، ومتحف اللوفر فى باريس، إلى متحف مدام توسو بلندن، متحف المتروبوليتان إلى المتحف المصرى فى مدينة القاهرة، والمتحف القبطى، والمتحف الإسلامى.

وهكذا أصبحت المتاحف هى همزة الوصل بين الجديد والقديم، وشكلت البنية السردية للخطاب الذى يشكل ثلاثة مكونات هى: الراوى، والمروى، والمروى له بما قصته علينا من قصص التاريخ وسردته لنا من أحداث جسام، والسردية «Narratology» أو علم السرد فرع من أصل كبير هو الشعرية (Poetics) كما عبر الدكتور «مقدادى» فى كتابه «البنى الحكائية».

قمين بنا أن ننمى فن المتاحف فى نفوس الشباب فلقد أصبح الفن المتحفى من الفنون الحديثة التى تحرص عليها دول العالم.

ذكرى.. مصطفى النحاس.. سيد الناس؟!

يقيس «توماس كارليل» – فى كتابه «الأبطال وعبادة البطولة – Heroes and Hero worship» العظمة، لا بمولد الإنسان وطبقته، وإنما بموهبته وعطائه للجموع.. وقد نسب إشراقات الحضارة لعبقرية الأفراد العظماء..

وأكد أن دراسة التاريخ عنده هى دراسة تفوق وعظمة أبطاله وعظمائه وعبادتهم، وقد حلل عناصر العظمة والبطولة فردها إلى ثلاثة : الإيمان بأن البطل قد اختاره الله، والإيمان بالجبرية التى يعبر عنها البطل فى رسالته، وتحليه بشجاعة غير عادية.. وقد انتقد كارليل فكرة أن البطل ابن عصره، والتى ينادى بها أصحاب المذهب الاجتماعى فى تفسير التاريخ، وقد ذكر أن عصورا كثيرة صرخت تنادى مطالبة بالعظماء فما وجدتهم.

وقيض الله لمصر بعد وفاة زعيمها سعد زغلول.. رجلها مصطفى النحاس.

ولقد فزع الإحتلال الإنجليزى وزبانيته عندما علموا أن الوفد المصرى قد ضربوا صفحا عن اختيار ابن شقيقة سعد.. «محمد فتح الله بركات باشا» رئيسا للوفد المصرى بعد وفاة الزعيم «سعد زغلول» فلقد اختاروا «مصطفى النحاس» زعيما لهم.. وحاول الإنجليز والسراى محاولة جاهدة بإقصاء مصطفى النحاس عن زعامة الوفد.. فلم يفلحوا وباءوا بالخسران المبين وذلك لمعرفتهم بوطنيته ونزاهته وقوة شكيمته.. ويؤكد ذلك أنهم قد نفوه من قبل مع الزعيم سعد زغلول إلى عدن ثم إلى جزيرة سيشل.

وعندما مات سعد زغلول كتبت جريدة البلاغ تقول: بغير هذا النبأ أعدت الأسماع وبغير هذه الصيحة جرت الألسنة فبالحياة اقترن سعد فما سمعناه إلا والحياة له لزام، والدعاء له صلاة..

فكيف من الممكن أن يتصور أحد مهما كان حماسه للنحاس أن الملايين التى اعتادت وأحبت أن تهتف «يحيا سعد» بدمائها.. أن تتحول إلى «يحيا النحاس»؟!.

ولقد تحول الملايين من شعب مصر إلى الهتاف بحياة النحاس.. سيد الناس، كما أسماه الزعيم سعد زغلول. وقد قيل إن الملك فاروق كان يبكى من الإهانة لشعوره بأن الصحف اهتموا بالنحاس أكثر من اهتمامها بالملك. وخرجت الألوف تهتف له (الشعب مع النحاس) فأخرج على ماهر الجموع من الإخوان المسلمين وهى تهتف: (الله مع الملك)؟!.

قبل أن يتبوأ كرسى الزعامة وكان يترافع – آنذاك – عن أحمد ماهر والنقراشى فى قضية مقتل «السيرلى استاك» وقف فى قاعة المحكمة وهو يرفع عقيرته فى وجه القضاة وقائلا لهم: إنى أتهم علنا وفى مجلس القضاء، (النيابة العامة) بالاشتراك مع رجال (السلطات) فى التدبير لإغتيال ماهر والنقراشى.. اكتبوا هذا عنى، وأنشروه على الملأ.. ويذكر الدكتور رفعت السعيد أن الناس جميعا كانت تعلم أن كلمة السلطات تعنى دار المندوب السامى البريطانى.

عندما كون أحمد حسين – الذى قال له النحاس «أنت دسيسة وإن الأمة لا ترحم الخوارج» – جماعة القمصان الخضر واستخدمها فى ترويع الوفديين وإيمانا من النحاس بإنه لا يفل الحديد إلا الحديد كون جماعة القمصان الزرقاء التى بثت الرعب فى قلوب القصر والإنجليز.. وحاول شانؤه الانتقام منه فأوعزوا لمن يُدعى عز الدين عبد القادر، بإطلاق أربع رصاصات على سيارته بيد أن الله قد كتب له النجاة. واعترف الجانى بأنه أحد أعضاء حزب مصر الفتاة، وحاولوا مرة أخرى تدبير مؤامرة لاغتياله بتفجير قنبلة وضعت فى محرك سيارة أسفل بيته ولما فجروها انطلق المحرك من السيارة إلى نافذة الحجرة التى كان ينام فيها النحاس .. مستقرا تحت سريره؟!.

ورفض النحاس إلباس حفل تنصيب الملك لباسا دينيا عندما اقترح الأمير محمد على (ولى العهد) بأن يتم تنصيب الملك فى احتفال دينى رفض ذلك رفضا قاطعا قائلا: إن الإسلام لا يعرف سلطة روحية وليس بعد الرسول وساطة بين الله وبين العباد، وليس أحرص منى ولا من الحكومة التى أتشرف برئاستها على احترام الإسلام وتنزيه الإسلام.. حاربوه وناصبوه العداء ووصفه خصومه بالنصاب المرتشى وأنه صاحب كرامة الأوحال، وأمانة المحتال وصيانة دستور الدجال فلم يلق بالا إليهم واستمر فى طريقه نحو بناء الوطن وإعلاء كلمته وفرض عزته وبسط كرامته على كل من تسول له نفسه الإعتداء عليه.

اهتبل النحاس فرصة فرض الوصاية على العرش فأصدر القانون رقم ٧٢ لسنة ١٩٣٧ الخاص بإنشاء المجلس الدفاع الأعلى بعد أن قنن فيه النحاس تجريد الملك من أية سلطة إشرافية على الجيش ومنحها لرئيس الوزراء وألغى بجرة قلم منصب القائد الأعلى للقوات المسلحة وهو المنصب الذى كان يتولاه الملك عادة.

وإبان رئاسته لوزارته الثالثة سعى سعيا حثيثا إلى بناء ركيزة فى الجيش باعتبار أن الجيش هو رمز الحركة الوطنية وأدخل سلسلة من الإصلاحات داخله مما استحوذ على

إعجـــاب غالبيـــة الضباط مما أثار القيادة البريطانية فســـعت لدى القصـــر والذى رأى فى استمراره فى منصبه تكريسا للنفوذ الوفدى بالجيش فأقاله الملك فى نهاية أغسطس ١٩٣٩ .. كما توسعت حكومته بمقتضى المعاهدة التى وقعها مع الإنجليز فى القبول بالكلية الحربية ففتحت أبوابها لأبناء الطبقة المتوسطة والتى كانت بحكم أصولها الاجتماعية تنتمى لقاعدة شـــعبية عريضـــة، وكان من أثر ذلك خروج الجيش المصرى مـــن عزلته الاجتماعية وكذلك تقعره السياســـى وهذا كما – قال المؤرخـــون – أرخى عودا لنبت الاتجاهات الوطنية بين الصفوف وكان (لُحمة) سياســـة النحاس السياســـية هى خلق رأى عام يعمل لصالح جيش مصر فى الخارج، أما (سُداها) فكان محاصرة النفوذ الملكى بين المطرقة والسندان.. (مطرقة) الوفد (وسندان) الشعب.. كما ساهم النحاس مساهمة فعالة فى إنشاء جامعة الدول العربية التى وقع ميثاقها بســـراى الزعفران بالقاهرة فى ٢٢ مارس ١٩٤٥ وكان له اليد الطولى فى إنشائها والقدح المعلى فى خروجها إلى الحياة.

عندمـــا ألـــف النحاس وزارته ١٩٥٠ وأراد أن يعين الدكتور طه حســـين وزيرا للمعارف وكان الدكتور طه حســـين قد صنف فى صفوف اليســـاريين ونصحه حسين سرى باشا بعدم اختياره كوزير.. بالإضافة إلى ما ســـبق من كونه يســـاريا فهو من المغضوبين عليه من الملك، فأصـــر مصطفى النحاس على تعيينه وزيـــرا للمعارف العمومية وعين بالفعل على غير رغبة الملك فاروق وكان تعيينه فى الوزارة النحاســـية خـــيرا وبركة على مصر.. إذ نهض التعليم علـــى يـــده وأصبح غداة تعيينه (كالماء والهواء) وما فتـــىء الدكتور طه يعمل على جعل هذا المبدأ دستورا للتعليم فى مصر.

عقد معاهدة ٣٦ مع المحتل الإنجليزى الذى اعترف فيها باستقلال مصر، وألغاها فى أكتوبر ١٩٥١ قائلا قولته الشـــهيرة وهو يوجه حدثيه إلى أعضاء مجلس النواب. من أجل مصر وقعت معاهدة ٣٦ ومن أجل مصر أطالبكم اليوم بإلغائها.. ثم اجتمع البرلمان بمجلسيه مســـاء ٨ أكتوبر وأعلن فيه رئيس الوزراء قطـــع المفاوضات بين مصر وإنجلترا بعد أن تبين عـــدم جدواها وألغى معاهدة ٢٦ أغســـطس ١٩٣٦، وكذلـــك الاتفاقيتين اللتين ألمعنا إليهما الخاصتين بمسألة السودان بالإضافة إلى مرسوم بمشروع قانون بتعديل الدستور يجعل لقب الملك ملك مصر والســـودان ووافق البرلمان على ذلك بالقانون رقم ١٧٥ لســـنة ١٩٥١، وكان ذلك فى ١٥ أكتوبر عام ١٩٥١.. ودعا مصطفى النحاس شـــعب مصر إلى الكفاح المسلح ضد

الإنجليز فى قاعدة قناة السويس التى تحولت إلى مقبرة للإنجليز وكان الفدائيون يصلون الجنود المحتلين.نارا حامية أقضت مضجعهم وأشعرتهم بأن وجودهم فى مصر هو الموت الزؤام مما دفع المخابرات البريطانية إلى إقامة معسكر فى ضفة القناة (كسفريت) واستقدمت إليه بعض الخارجين عن القانون من المحترفين المدربين على الإتلاف والتخريب.

ولن ينسى التاريخ لمصطفى النحاس أنه أول من حذر من احتمال إنشاء دولة إسرائيل على حدود مصر الشرقية مصرا على أن تكون قرية أم الرشراش جزءا من أرض مصر وحتى لا يكون لإسرائيل من قدم فى البحر الأحمر واستمر هذا الوضع حتى عام ١٩٥٦ حيث سلبت أم الرشراش (ميناء إيلات الإسرائيلى) من تراب مصر بعد العدوان الثلاثى الشهير على البلاد.

وعلى امتداد تاريخ الوزارات المصرية المتعاقبة منذ ولادتها فى أغسطس ١٨٧٨ وحتى قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لم يتول رجل رئاسة مجلس الوزراء بالقدر الذى تولاها مصطفى النحاس (٧ مرات).. وعلى امتداد نفس الفترة حدت خمس إقالات لرؤساء الوزراء اختص النحاس منها بمرات أربع ؟! ولن ينسى التاريخ أيضا أنه وبعد أن ألغيت الإمتيازات الأجنبية استصدر مجلس الوزراء برئاسة النحاس قوانين وتشريعات المحاكم المختلطة، وكذلك اختصاصات المحاكم الشرعية.

ولن ينسى التاريخ أن النحاس قد وجه جُل اهتمامه إلى السودان وقال قولته الشهيرة: تقطع يدى ولاتقطع السودان عن مصر وكذلك أصبح ملك مصر فى عهده هو ملك مصر والسودان.

وفى غضون عام ١٩٦٥ انتقلت روح النحاس إلى بارئها بعد حياة حافلة من العطاء لمصر وكانت جنازته التى شاهدها كاتب هذه السطور .. حيث كان من المشيعين فيها جنازة حافلة اشترك فيها جميع طبقات الشعب من أطيافه المختلفة مودعين زعيمهم وداعا يليق بمصطفى النحاس.. سيد الناس.

❑❑❑

راسبوتين.. وشعب مصر الحزين؟!

وراسبوتين هو ذلك (الفاجر) وهذه هى ترجمة اسمه باللغة العربية الذى أحاط بروسيا إحاطة السوار بالمعصم متحكما فيها مسيطرا عليها بقبضة من حديد، وذلك قبيل الثورة البلشفية التى اندلعت عام ١٩١٧ وكان منخوب الفؤاد خؤونا ساحرا جبانا يهرف بما يعرف أو لا يعرف.

اسمه الحقيقى «غوبغورى بفيمتش» ولد بسيبيريا عام ١٨٦٩ ضمن ما قيل عنه إنه فى ريعان شبابه قد حوكم بتهمة اقترافه لجريمة سرقة، وعوقب جراء ذلك بالعمل فى خدمة إحدى الكنائس، ومن ثم توطدت أواصر الصداقة بينه وبين رجال الدين، ورويدا رويدا أسبغ عليه الكهنة صفة رجل الدين برغم فسقه وفساده، فقد كان دائما صبحه وليله يعاقر بنت الحان ولا يكف عن شربها وتجرعها ثم يتسربل بعدها بلباس الكهنوت.

ذاع صيته وانتشر اسمه من خلال ما أشيع عنه أنه كان صاحب قدرات خارقة يشع من عينيه الزرقاوين بريق عجيب غامض يثير الرهبة والفزع فى كل من يراه.

أصيب الابن الأصغر «أليكسيس نيكوليافبتش»، «ولى عهد القيصر» «نيقولا الثانى» بجرح غائر نزف من خلاله الدم الغزير إذ كان مصابا بسيلان الدم وتقعر داخل حجرته يهمى من عينيه الدمع السخين إذ وقف الأطباء أمامه حيار دون أن يفلحوا فى علاجه، فأشار بعض رجال القصر على القيصر وزوجه «ألكساندرا»، (وقد أعدما سويا عام ١٩١٧ واجتثث بإعدامهما هما وعائلتهما سلالة أسرة رومانوف) باستدعاء راسبوتين باعتباره رجل دين مبارك (ليس حسنى مبارك)! وأنه صاحب يقين ويتحلى بالروح القدس الأمين.

توجه راسبوتين يحث الخطى تجاه ولى العهد وتمكن من وقف نزيف الدم وشفى بعد ذلك من علته، فأنزله القيصر وزوجته مكانا عليا فى البلاط القيصرى حتى أمسى بين ليلة وضحاها متحكما فى ديوان القصر الإمبراطورى النساء فيه قبل الرجال إذ كان عشقه الدائم هو المرأة لا بديل سواها ولا يزيغ بصره دونها.

تحول راسبوتين بعد ذلك من خادم فى القصر إلى أن أصبح السيد المطاع كل ينعم عليه بما استطاع، فلعب دورا بالغ السوء فى أروقة الحكم بل وفى أرجاء متسعة من البلاد الروسية.

ضاق به ذرعا الأمير الروسي «فيكس لوسيبوف» فدبر له أمرا بليل فدعاه إلى الحضور على وليمة أولمها له فى قصره وقدم له من خلال صحاف أطايب طعامه شطائر من الحلوى مملوءة «بسم السيانيد القاتل» بيد أنها لم تؤثر فيه إذ كان راسبوتين قد تعود على أن يسكب فى حلقة بين الحين والحين قطرات من هذا السم الزعاف حتى يتعود عليه ويسلم من أعدائه الذين تنبأ بأنهم يتربصون به الدوائر آناء الليل وأطراف النهار وأنه حتما سيلقى مصيره على أيديهم.

عاد الأمير فقدم له نبيذا مسموما فشربه ولكنه لم يُجد معه كذلك فتيلا ولما استيأس الأمير منه أمر حاشيته فهجموا عليه هجمة ضارية وأطلقوا عليه مع من يدعى «يوسوبوى» رصاص غدارتهم مصابين إياه فى القلب والرأس وتأكدوا أنه أسلم الروح فقيدوه وأخذوه وألقوه فى نهر «نهرانيفا» بعد أن حفروا فيه حفرة ودفنوه فيها.. فبحثت السلطات عنه بعد غيابه وعدم إيابه، حتى عثروا عليه مجمدا فى قاع هذا النهر الجليدى، وإذ حللوا جثته لكى يتبينوا أسباب وفاته تبين أنه لم يمت بالرصاص، ولا بالسم وذلك بالتحليل الذى أجروه على جثته، وإنما هو قد قضى غرقا بعد تسرب الماء إلى رئتيه عن طريق تنفسه؟!!.

والسؤال الذى يثور: كم يوجد على أرض مصر مثل «راسبوتين»؟! وكم ابتليت مصر بمثله خلال عهود ظلامها التى استمرت عقودا طويلة من الزمان؟.

كثيرين هم مثل راسبوتين أحاطوا بحكامها وقد تحولقوا حولهم كالذئاب الجائعة ينهشون فى لحمها وخيراتها ثم تحولوا إلى أفاع تنفث سمومها فى قلب الوطن خلال ما كانوا يُسرون به فى آذان أولئك الحكام من كذب صراح وغش وتزوير بعد أن خربت ذممهم مستغلين، إما استبداد هؤلاء الفراعين.. أو كبر سنهم.. أو حداثة عهدهم.. أو اضمحلال ثقافتهم.. إن كانت لديهم ثقافة أصلا.. ثقافة حب الوطن والانتماء إليه؟!.

حمدا لله، فقد سطع نور الثورة المصرية المباركة فنزعت الستر عن هذه الحفنة الضالة المضلة من «الراسبوتيين» الدجالين عن خاف مساعيهم بعد أن سلبوا الحكم عقله وأماتوا قلبه فاستحقوا هم ومن انصاع لهم اللعنات وباءوا بالويلات أحقابا بعد أحقاب.

❑❑❑

رأينا فى الدستور

عندما تفضل اللواء «سامى أبو المحاسن» وكيل المخابرات العامة، والأستاذ «أحمد وجيه» مدير العلاقات الثقافية بقرية آمون بالساحل الشمالى بالإسكندرية، وكذلك الأستاذ محمود صلاح عيد المستشار بالتحكيم الدولى بدعوتنا لإلقاء محاضرة عن الدستور وأهميته.. قلت فيها: «إن القوانين قد سبقت الدساتير، وكانت هى المهدة لها مثل قانون حمورابى، وقانون الألواح الأثنى عشر، ناهيك عن قانون الامبراطور الرومانى أنطونين كراكلا، ومن قبلها قانون «تحوت» الذى أصدره الملك مينا عام ٤٢٠٠ ق. م، وقد ظهرت الدساتير فى مصر إبان حكم الخديو إسماعيل لها وكان مجلس شورى النواب أول مجلس نيابى فى تاريخ مصر بعد دستور الذى وضع لها عام ١٨٦٦ وكان دستورا مثاليا على أسس قانونية صحيحة ثم جاء من بعده دستور ١٨٨٢ فى عهد الزعيم «أحمد عرابى باشا» ومن بعده جاءت الجمعية الوطنية، فالجمعية التشريعية، فدستور ١٩٢٣، ثم دستور ١٩٣٠، وتلاهم دستور ١٩٥٤ بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وجاء من بعده دستور ١٩٥٦، ثم دستور الوحدة بين مصر وسوريا ١٩٥٨، وتلاه دستور ١٩٦٤، وفى عهد الرئيس الراحل «محمد أنور السادات» ولد دستور ١٩٧١، وأخيرا ولد دستور ٢٠١٢ من رحم ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١.

قد ظهرت الدساتير فى حياة البشرية فى أثينا على هيئة قانون العقوبات عام ٦٢١ ق. م.

ويعتبر أقدم دستور مكتوب لدولة ذات سيادة هو دستور إمارة سان مارينو.

وقد عرف الإسلام الدستور المكتوب فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بما سمى بـ «الوثيقة» التى قام بإعدادها رسول الله لتنظيم أحوال دولة المدينة المنورة.

والدستور يصدر بأسلوبين.. أسلوب المنحة أو أسلوب العقد أو الاتفاق، أما الأساليب الديمقراطية فى وضع الدستور فتتم عن طريقى الجمعية التأسيسية المنتخبة أو أسلوب الاستفتاء الشعبى.

وكان من أول من أخذ بأسلوب الجمعية التأسيسية الولايات المتحدة الأمريكية غداة استقلالها عن بريطانيا سنة ١٧٧٦، وانتقل من بعدها إلى أوربا فكان دستور ١٧٩١ الفرنسى أول دستور مدون حيث إن هناك الدستور غير المدون مثل الدستور الإنجليزى

فهو دستور جامد ، أما الدستور المرن فهو الذى يمكن تعديله باتباع نفس الإجراءات المتبعة لتعديل القواعد القانونية، ومن أمثلة ذلك دستور إيطاليا ١٨٤٨، ودستور فرنسا ١٨١٤، ودستور الاتحاد السوفيتى ١٨١٨.

وينبغى أن يتوافر فى واضع الدستور أن يكون متحليا بصفات خاصة مثل الحيدة والنزاهة وبعد النظر وإمعان الفكر. ديمقراطى النزعة صاحب ذمة وهمة وعلو رأى.. وألا يسير كما عبر البعض مع اتجاه التيار «Down stream».. تيار الحاكم أو المغرضين الذين يتربصون الدوائر بمصلحة الشعب.

وقد تعرضت مصر إلى تجربة قاسية من خلال الدستور الصادر عام ١٩٢٣ كماذهب الأستاذ «محمد زكى عبد القادر» فى كتابه «محنة الدستور» حيث كان هذا الدستور – أحيانا – لعبة فى يد الملك اعتمادا على بعض نصوصه الفضفاضة.

إذ إن اللجنة الاستشارية التشريعية قد جعلت الدستور يتعرض لتبديل حقيقى حيث أنها كانت كلها من الأجانب فيما عدا مصرى واحد هو «الدكتور عبد الحميد بدوى باشا».. القاضى بمحكمة العدل الدولية، فيما بعد.

كما جرى تعديل آخر بشأن تعيين وعزل ضباط الجيش المصرى فجعلها حقا مطلقا للملك. كما نصت على ذلك المادة ٤٦ من ذلك الدستور.

ولن ينسى التاريخ ما فعله إسماعيل صدقى بهذا الدستور من إلغائه، الأمر الذى جدد المقاومة الشعبية لمناوئة ذلك، وسجن أستاذنا العقاد وكذلك سجن الأستاذ محمد توفيق دياب رحمهما الله جراء مهاجمتهما الحادة والعنيفة لتعطيل الدستور.

وقد جهرت بالرأى إننا نرى مع شيخ رجال القانون العلامة «الدكتور عبد الرزاق السنهورى» أن طريق وضع الدستور يجب أن يخضع للتدابير الآتية: «الرجوع للشريعة الإسلامية الغراء فى وضع قواعد الدستور واعتبار الأمة هى التى تعبر عن الإرادة الإلهية بإجماعها، وإجماع الأمة نوع من التعبير عن الإرادة الإلهية».

وقلت من بين ما قلته فى هذه المحاضرة أن وضع الدستور يجب أن يكون عن طريق لجان لأساتذة الحقوق والجامعات ورجال القضاء والمثقفين لوضع اللبنات الأولى للدستور وأن يعرض مشروعه المزمع على مجلسى الشعب والشورى ثم طرحه للإستفتاء الشعبى حتى يكتمل بناؤه. وأن الدستور يجب أن يكون الاتفاق عليه فى هذا الاستفتاء بغالبية الشعب المطلقة حتى يضحى دستورا حيا بمنأى عن النقد .. وبعيدا عن الشوائب والأوضار.

رحمة الله على الموتى.. وسلامه على الأحياء..

قال الله تعالى فى كتابه الكريم: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ صدق الله العظيم.

«لا يندغم ولا يفنى».. «فالحكومات تزول وهو لا يزول».. قالها الإمام محمد عبده عام ١٨٧٦ – فى معرض حديثه ـ عن معدن شعب مصر.

مصر وطن لا نعيش فيه ولكنه هو الذى يعيش فينا، جأر بها قداسة الأب شنودة بحسه الوطنى.. وحدسه الدينى.

«مبارك شعب مصر» – ساطعة – منذ القدم فى الكتاب المقدس.

– ولله دَر – الذى قال.. فإلى الله من مشى بصليب فى يديه.. ومن مشى بهلال.. فالدين للديان جل جلاله لو شاء ربك وحد الأقواما.

فيا أيها المجرمون الآثمون.. لقد تهاوى وحبط ما أردتموه من خراب يباب لمصر فقد التفت قلوب المصريين – مسيحين ومسلمين – بعضها حول بعض ولم تؤثر فيهم – قِيد أنملة – فزعة الهول التى أصابتهم جراء ما اقترفت أيديكم الملوثة بالدماء، من وأدكم للأبرياء فى واقعة ماسبيرو، ولم ولن تفلحوا – مجتمعين أو متفرقين – أن تنالوا من وحدة شعب مصر أو تفصموا عرى الوحدة التى جمعت بين جناحى الأمة مسلميها وأقباطها ولا وشائج القربى التى ربطت بينهم عبر كر السنين وتعاقب الأيام بفعلتكم هذه.. النكراء!.

إن شعب مصر يؤمن إيمانا كاملا بما ورد فى الذكر الحكيم ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [سورة البقرة – الآية ١٣٦].

أحسستم بأن دائرة مصر تنداح فامتلأت قلوبكم حقدا وهما وأردتم بها شرا وشاء الله بها خيرا – فمصر هى كنانة الله من مسها بسوء قسمه الله – فالتوراة والإنجيل والقرآن هى كتب الله المنزلة جعلها الله «نوراً»، وشعارنا «لكم دينكم ولى دين».

ومن استقراء التاريخ نعلم أن اليهود فى مصر قد تبوأوا مكانا عليا حتى قيل : يهود هذا الزمان قد بلغوا غاية آمالهم، فالعز بينهمُ.. والمال عندهمُ.. وبينهم المستشار والملكُ.

وفى عهد محمد على رسخ مبدأ المواطنة – مقدسا – لدى جُل المصريين، وفى عهد سعيد باشا ألغيت الجزية المفروضة على أهل الذمة وانخرطوا برمتهم فى جيش مصر، وفى عهد إسماعيل أُوفد المسلمون والمسيحيون – معا – إلى خارج الديار لينهلوا من علم الغرب.

كما أمر إسماعيل بترشيح المسيحيين فى مجلس شورى النواب. وكذلك تعيينهم قضاة بالمحاكم جنبا إلى جنب أشقائهم المسلمين ومن قبلها ومن بعدها وإلى الآن أضحى منهم الوزراء والعلماء.

وفى ثورة شعب مصر – بجناحيه – العام ١٩١٩ اختلط دم المسلم بدم المسيحى وهتفوا جميعا عن بكرة أبيهم «يحيا الهلال مع الصليب».

من الأقوال المأثورة: «إن المصائب تسفر عن عجائب وعن رغائب لا يدركها العقل إلا بعد انجلائها». فالله يخرج الخير من الشر، فإذا اشتد الظلام وزمجر الرعد وقصفت الريح .. انقشعت الغمة وانبلج الفجر.

وبرسوخ الحق وثبات الجبال الرواسى ستقف مصر وقفة رجل واحد أمام غدر الغادرين وحقد الحاقدين ولن يفلحوا فى أن يمسوا مصر بأى أذى فإن مصر تستقبل المصائب وكأنها قطرات الغيث فمحمد رسول الله – عليه الصلاة والسلام – هو الرحمة المهداة. وعيسى عليه السلام هو روح الله فلا يفرقنا فى مصرنا أحد هكذا يؤمن المسلمون والمسيحيون على السواء إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وسيبقى القرآن الكريم، وتظل الأناجيل المقدسة المنزلة من عند الله يطالعها الناس آناء الليل وأطراف النهار.. ولو كره الكارهون.

فهم يمكرون ويمكر الله.. والله خير الماكرين.

وآخيرا – وليس آخرا – فإن القبض على الجانى أو الجناة هو مطلب قومى حتى تهدأ القلوب وتستقر النفوس. ويعرف الجميع أن فى مصر عينا للعدالة ساهرة تقف بالمرصاد لكل من يتربص بمصر الدوائر، أو يحاول أن ينفث سمومه بين ظهرانيها.

❑❑❑

رسالة .. قاضى القضاة .. !!

منـذ قرابـة ما ينيـف على ربع قـرن خـلا.. عرفت المستشـار ابراهيـم زغو قاضى قضاة مصر.

كنـت آنذاك أعمل فى أقاصى الصعيد ،مديرا لنيابتى الاقصر، وأرمنت. وكان رئيسـا (منتدبا) لنيابة سوهاج.

وإذ عنَّ له أن يشـد الرحال لزيارة مدينة (طيبة) ماكثا بها ليال ثلاث كان ضيفا كريما على كاتب هذه السطور. وقد اهتبلنا فرصة وجوده بيننا، وتحلق رجال النيابة حوله، طلبا للمزيد من علمه وفضله وخبرته، يسـتبطنون ما ظهر من حديثه معهم، ويسـتظهرون ما قد يكون تد خفى عليهم منه.

وذات يوم قائظ الحر، شـديد الحرارة، أبت فيه أخت يوشـع، أن تفارق كبد السماء، يممنا وجوهنا – نحن وكلاء النائب العام – تجاه المستشار زغو لأخذ رأيه فى قضية مهمة اختلفنـا حـول التصرف فيها وهذا شـأن رجال القضاء جميعا، كثـيرا ما يختلفون تجاه ما يعرض عليهم من قضايا حتى يهديهم الله سبحانه وتعالى سواء السبيل. موصلا إياهم إلى مرفأ الحق، فيجعلهم يستقرون. على ماكانوا فيه يختلفون أو يأتون برأى أخر جديد.

وإذا بالمستشار زغو الذى كان يرتدى (بزته) الكاملة. وقد ألفى، البعض من الحاضرين وهو يرتدى ملابسه الرسمية، والبعض الآخر، قد تحلل (قليلا) منها، ينصرف عن طلبتنا فيما سعوا إليه لكى يدلى بدلوه فيه لأن ولكى – يحادثهم –ويحدثهم يحادثنا ويحدثنا عن مظهـر القاضـى. وما يجب أن يتحلى به القاضى من خلق طيـب (ومظهر) وقور وألا يغره بالله الغرور. فإن الله وقد وسده– سبحانه – كرسى القضاء لكى يحكم بين الناس بالحق. لأن الله هو الحق .

ودارت الأيام وكرت السـنون، وأصبح المستشـار إبراهيم زغو، قاضيا لقضاة مصر وإذا بـى أصحو ذات صباح. فتقع عيناى، على (رسـالة) بعث بها المستشـار زغو غداة توليه لمهام منصبه الجليل، إلى قضاة مصر، تهادت إليهم عبر أنهار الصحف، يناشـدهم فيها، الحفـاظ على حساسـية منصبهم. من خلال وقار مظهرهم ووجـوب أن يتزيوا دائما بالزى

المناسب واللائق بهم.. ولعل مرجع هذا إلى انخراط عدد من أعضاء النيابة الجدد فى السلك القضائى، هم فى مسيس الحاجة إلى من يعلمهم آداب القضاء وتقاليده التليدة الراسخة، لأن هذا الذى دعا إليه قاضى القضاء، هو دأب قضاة مصر، لا محيص له منه ولا معدى لهم عنه.

وكان هذا مما أثار عليهم حفيظة «البعض» من «الطغمة الحاقدة» التى طفت على سطح الحياة العامة فى مصر فى الستينيات من خلال حملة منظمة موتورة، على القضاة، مشتعلة النار، مشبوبة الأوار رمى فيها هذا «البعض» لغرض فى نفس يعقوب وكما يرمى غلام، «البحر» بحجر، القضاة بأنهم يعيشون فى برج عاجى.. وانبرى لهم «والدى» المستشار محمد مرشدى بركات – رحمة الله عليه – يخاطب هذه الفئة، من فوق منبر الأستاذ الكبير أحمد الصاوى محمد فى يومياته بجريدة الأخبار الغراء قائلا: نعم إن القضاة يعيشون فى برج عال.. إذا كان قوام هذا البرج (المزعوم) هو خلقهم المتين، وترفعهم عن الدنايا (ومظهرهم) الجاد الرصين، وهذا هو مسلك القضاة، وهذا هم سمتهم، وأن المرحوم عبد العزيز فهمى باشا، كان لشدة حرصه على كرامة وظيفته، وحساسية منصبه، يستقل فى غدوه، ورواحه، عربة «سوداء» «مغلقة». إيغالا منه فى مظهره، الذى لا يتباين عن مخبره، حتى لا يتعرف عليه أحد صبيحة ذهابه إلى محكمة النقض، أو عشية إيابه منها!!.

وها هو ذا قاضى القضاة يعيد سيرة سلفه العظيم!.

لا مشاحة – إذن – أن فى مصر قضاة.

قد قالها (برسالته) إلى القضاة.. شيخ القضاة!

❑❑❑

رسالة الصحافة.. بين عبد الله النديم.. والشيخ حمزة فتح الله ..

قالهـا «نابليون بونابـرت» وأصبحت آبدة من الأوابد يتناقلهـا كل من يريد أن يعرف قيمة رسالة الصحافة وأهمية رسالتها ولا شك أن الصحافة المصرية كان لها شأنها وشأوها ولعبت دورا هاما فى تاريخ مصر لحمته وسـداه فى الدفاع عن حقوق الوطن ضد المسـتبدين من حكامها والغاصبين الذى اغتصبوا الوطن وسلبوا الشعب حقوقه.

فالصحافة هى صاحبة الجلالة التى يجب أن تكون ذاتها مصونة لا تمس لا يفئت على حقها فى التعبير أحد ولا يقيد حريتها إنسان.

وكـم حوربـت الصحافـة برجالاتها حربا لا هـوادة فيها فقد وقـف كل ظالم لها بالمرصاد، وضاق بها الحكام والسـلاطين وبعد أن نصبت الصحافة من نفسـها حارسـا لحقـوق الشـعب وحاميا لمصالح البلاد وبرز دورها من أواخـر عهد الخديوى إسماعيل بعد أن احتدم الصراع بين المواطنين وبين القوى الأجنبية فاتجه إسماعيل إلى تشـجيع الصحف الشـعبية وإطلاق حريتها لتسـانده فى مواجهة الدول الدائنـة بعد أن أثقلوا الديـون عليها، ومـن خلالها بعد ذلـك وأدوا حريتها. فما كان مـن هاتيك الصحف إلا أن مضـت تدافـع عن اسـتقلال مصر معارضـة التدخل الأجنبى فى شـئونها ومع ذلـك فقد يممت وجهها متصدية لنقد سياسـة الخديو وتصرفاتـه ومن تلك الصحف (مصر والتجارة) اللتين أصدرهما الأديب «إسـحاق» فى سـنة ١٨٧٧، ١٨٧٨ بمساعدة جمـال الدين الأفغانى وصحيفة (الوطن) التى أصدرها «ميخائيل عبد السـيد» ليطالب بالإصلاح النقابى والإصلاح المالى فتعرضت للبطش عدة مرات.

ومنذ صدور «الأهرام» فى ٧ أغسطس عام ١٨٧٦ ولم يمر عامان من إصدارها حتى انضمت إلى صحف المعارضة فهاجمت الحكم الاستبدادى، وطالبت بحكم الشورى. فعارضت النفوذ الأجنبى. ونسجت على منوالها توأمها «صدى الأهرام» التى أغلقتها حكومة «شريف باشا» نهائيا فى ٥ مايو ١٩٧٩.

ومـا أن تولى «البارودى» رئاسـة النظـارة، و«أحمد عرابى» وزارة الحربية حتى اشـتد الأمـر على صحف السـوريين واللبنانيين وتوقفت عن الصدور صحـف الأحداث، والأهرام والمحروسة ومصر على الصحف الموالية للخديوى.

مثـل صحف، وعملـت على زيادة الصحف الموالية لها مثل القسـطاط والنجاح والمفيد والطائـف) لعبدالله النديم، وكانت جل الصحف المصرية قـد أيدت الحركة العرابية فلما احتل الإنجليز الإسكندرية فى يوليو ١٨٨٢ إنحاز الخديو لهم وشجر الخلاف بين الصحف وقـد تنازعهـا اتجاهان الأول فى القاهـرة ويضم صحف الحركة الوقائع المصرية «الشـيخ محمد عبـده» وكان منها المفيد والفسـطاط والشـعب والطائف لعبـد الله النديم بينما كان الاتجاه الثانى يتمثل فى (الاعتدال) لصاحبها الشيخ «حمزة فتح الله» الذى عاضد الخديو.. وشن هجوما شرسا على أحمد عرابى ورجاله.

انضم إليه «أديب إسحاق» صاحب مصر والتجارة منقلبا على حركة عرابى بعد الاحتلال وشاركه خصمه القديم «حمزة فتح الله» حتى انكشف أمرها وذاع سرها.

وكان «عبد الله النديم» فى تلك الآوانة يرى نفسـه أنه ليس أقل شـأنا من أى قائد من قادة الشرق العربى فى عصره بل إنه لم ير نفسه أقل من «جمال الدين الأفغانى» ذاته وكان النديم من قبل منتظما فى سـلك مجالس «جمال الدين الأفغانى» ولكن شـخصيته لم تذب فيه، كما ذابت شـخصيات الكثيرين من معاصريه مع أن جمال الدين الأفغانى كان يقدره بحق قدره ويقول فيه: «إنه لو حافظ على العقيدة؛ ومشى بالناس فى سيرة حميدة، ونشر دعوته (يقصد السياسـية) فى البلاد – بما له من الاسـتعداد – الآتى بكل غريب؛ وقلب الحكومة فى عهد قريب..».

كان «عبد الله النديم» رجلا يفهمها وهى طايرة «كما يقول السكندريون» ومعنى هذا أنه لا يجوز عليه شـىء من البهرج الذى يلجأ إليه الكثيرون من الراغبين فى إحاطة أنفسـم بهالة من الخطورة المتوهمة، أو العظمة الزائفة. ولذلك لم يجز عليه كثير من المظاهر التى كانت رائجة فى عهده؛ أو – على الأقل – لم تنل من اهتمامه فوق ما تستحق.

قيل له إن جمعية «مصر الفتاة» السـرية بالإسـكندرية هى من أهم الوسائل التى ستقود البلاد إلى التحرر، وذلك بما لها من إمكانيات سـرية هائلة. فانضم إليها ولكنه سـرعان مـا خـرج منها، وراح يدعو الناس إلى العمل فى النور؛ ذلك لأنه كان – كما يقول الدكتور

الحديدى «.. يؤمن بأن الطريق السليم للإصلاح، هو تنبيه الرأى العام؛ وتبصير الشعب بما يدور حوله؛ فتتسع الدائرة؛ ويصبح العمل جماعيا من الأمة»..

وهذا يتم عن طريق تكوين رأى عام من أصحاب المصالح الحقيقية، وهم سواد الشعب؛ أو بتعبير النديم نفسه. فلم أجد طريقا لتنبيه الوجهاء والأمراء إلا بعصبية أكونها من الفقراء.. ومن ثم أنشأ «الجمعية الخيرية الإسلامية» التى لم تكن مجرد جمعية خيرية – كما يبدو من اسمها – وإنما كانت مصدر إشعاع سياسى اجتماعى علمى أيضا، وذلك بإقامة مدرسة تابعة لها، بكثرة الاحتفالات والاجتماعات التى كانت تقام باسم هذه المدرسة، وبتوجيه من «النديم» باعتباره مشرفا عليها.

وقد كان يخطب فى كل حفل منها، فى موضوعات تهم الوطن، وتعرف بمصالحه، كما كان يخطب فيها، عدد من الشبان المثقفين، الذين أعجبوا بالنديم وحركته فاتخذوه لهم رائداً؛ فى الخطابة والدعوى الوطنية.

كذلك دخل «النديم» الماسونية ؛ وخرج ليقول: من أسباب انحراف الناس عن «الأفغانى» أنه أدخل تلاميذه المحافل الماسونية، وأنه لزم الصمت تجاه الذين أخذوا عليه هذا الاتجاه..

وذلك امتعاضًا واعتراضا من «النديم» على غموض رسالة الماسونية والقسم الذى يقسمه كل ماسونى غدا التحاقه بالمحفل الماسونى إذا كان يقسم «أقسم بمهندس الكون الأعظم، ألا أخون عهد الجمعية، وأسرارها، لا بالإشارة، وبالكلام؛ ولا بالحركات، وألا أكتب شيئا عنها، ولا أنشر بالطبع أو بالحفر أو بالتصوير، وأرضى أن حنثت بقسمى بأن تحرق شفتاى بحديد محمى، وأن تقطع يداى، ويحز عنقى؛ وتعلق جثتى، فى محفل ماسونى».

كان النديم قد شق طريقه بقلمه إلى عقول القراء وبصوته إلى قلوب الجماهير فأصدر العدد الأول من مجلة «التنكيت والتبكيت» بالإسكندرية فى اليوم السادس من يونيو ١٨٨١ باعتبارها أسبوعية فى ١٦ صفحة من القطع المتوسط؛ وتعتبر – هذه الجريدة – أول صحيفة مصرية لحما ودما وولاء للإسكندرية.

كان لسان أحادها أن تترك على القارئ حكما وآدابا ومواعظ وفوائد ومضحكات، بعبارة سهلة، وتصور الحوادث والواقائع فى صور ترتاح إليها النفس، ويميل إليها القلب، يخبرك بظاهرها المستهجن .

ومن ضمن ما كتبه النقيب فيها مقال على لسان مصر تحدث فيها عن الظلم والإجحاف اللذين حاقا بأبنائها فى عصر «إسماعيل»؛ وعن نهب الأجانب لثروتها؛ وإخفاق «توفيق» فـى معالجة الأمور .. حتـى أصبح المثل الإعلامى للثورة العرابية سـواء بالكلمة المكتوبة أو بالكلمـة المنطوقـة. ومن ثم اختاره «أحمد عرابى» زعيم الثـورة واختار مجلة «التنكيت والتبكيت» لتكون لسانا رسميا للثورة. على أن يستبدل باسمها اسما آخر هو (لسان الأمة) ولكن النديم آثر أن يكون اسمها الجديد (الطائف) صدر العدد الأول منها فى اليوم العشرين من نوفمبر سنة ١٨٨١.

أما عن الشـيخ «حمزة فتح الله» صاحب جريدة «الاعتدال» والذى أوحى الخديوى بها وجعلها لسانه والمدافعة عنه أمام الجماهير التى كانت تناؤه فقد أصبح لسان سيده «الخديو توفيق» ودعى على عكس «النديم الوطنى» إلى عدم مقاومة الإنجليز. ومما قاله فى جريدته: إنهم لن يتسنى أن نمنع النفوذ الأجنبى عن البلاد إلا بالقبض على العرابيين.. وأن الجناب الخديـو هـو على جانب عظيم من التقوى والدين.. وأنه ليس أول من نصر بغير دين فكان أن أرسـلها النديم شواظا من النار فى وجه الشـيخ «حمزة» فى أول أعمال «الطائف» حقر من صحيفته وكان مما قاله فى هذا الخصوص إن الخديو أشـقى الخلق وأنه يطبع جريدته أو وريقتـه كما أسماه فى مطابع «الأجشـبيان غازيت» فى إحـدى المراكب الإنجليزية ثم يعرضها على «سيمور» قائد الأسطول الإنجليزى.

كان الشـيخ «حمزة فتح الله» مفتشا أول للغة العربية متقاعرا فى لغته غريبا فى ألفاظه ومن ضمن ما قال فى تقرير كتبه عن أحد المدرسين: «لم أرد بذلك التدميج إلا الرعوى على النشء، فإن فلا مع حفظ المبنى وفهم المعنى، خير من كثر يطوح بهم فى موامى النبت.

هل فهمت شيئا أيها القارئ العزيز من هذه الألفاظ الغامضة.. وهكذا كان غموض موقف الشـيخ «حمزة فتح الله» من الثورة العرابية ومن الحركة الوطنية على عكس الوطنى الثائر «عبد الله النديم» الذى خلده التاريخ المصرى فى أمجد صفحاته.

❑❑❑

سرجيوس.. قس الشيوخ.. وشيخ القسوس.. ؟!

بمـلء فمه.. وبصوت جهـورى.. وإبان ثورة مصر الكبرى عام ١٩١٩.. وأمام الحشـد الحاشـد من الجماهير الثائرة – مسـلمين ومسيحيين – الذين زحفوا من كل حدب وصوب ملتفة حواليه لتنصت وتستمع إليه كان يرفع عقيرته صائحا: «فليحيا الإنجليز»؟!.

وإذ – يرتـج – الأمـر علـى السـامعين يواصـل هتافـه قائلا مـرة أخـرى «فليحيا الإنجليز»؟!.

ثم يلوذ بالصمت هنيهة ماضيا فى مخاطبة الجموع المتطلعة إليه – ثم يردف – مخاطبا إياهم «فليحيا الإنجليز».. الذين استطاعوا بغيهم واستبدادهم واحتلالهم لبلادنا أن يجعلوا منا هذه الكتلة الموحدة الملتهبة المقدسة وأن يؤاخوا بين عنصرى الأمة.

وكان الإنجليز بعد ضربهم للإسـكندرية فى ١١ يوليو ١٨٨٢ قد أصبح لهم صولجان.. وجنود وسلطان وأضحت الثورة بالنسبة لهم غصة فى الحلق. وأعجوبة فى الخلق وبحثوا حتى أضناهم البحث فلم يجدوا إلا سـلاح الفتنة يصوبونها إلى صدور المصريين فاستعصت عليهم الصدور. وانغلقت أمامهم القلوب حتى إن اللورد «كرومر» الذى كان يمسـك بخناق المصريين ويجثم على أنفاسـهم بكلكله قال: إنك لا تستطيع أن تفرق بين المسلم والمسيحى فكلاهما يدخل إلى الجامع وإلى الكنيسة وكلاهما يخرجان متحابين.

ترعرع «سـرجيوس» فى كنف أسـرة دينية فوالده أحد القساوسـة الكبار وكذلك كان جده قسيسـا. وانتظم فى سلك الكهنوت منذ نعومة أظفاره فدعى إلى إصلاح مناهج التعليم الكنسى الذى ارتأى وجوب إصلاحه من خلال المدرسة الإكليريكية التى كان يدرس بها. إذ ألفاها لا تناسـب العصر فانتشـرت دعوته بين الطلبة وامتثلت تلك المدرسـة – لطلبته – بعد أن أضرب طلابها عن الدراسة.. وقيل إن هذا هو أول إضراب فى تاريخ مصر.

رحل «سرجيوس» إلى السودان حيث أنشأ جريدة «المنارة» ومن فوق منبرها شن هجومه الضارى على سياسة الاستعمار الإنجليزى الذى دأب على أن يبث بذور الفتنة بين المسلمين والمسـيحيين، فدفع ذلك المستر «مـور» حاكم السـودان – وبعد أن ضاق به ذرعا – إلى أن يطلب منه مغادرة القطر الشـقيق محدثا إياه – وبحدة –: إن الحاكم العام للسودان يطلب منك أن ترحل من السودان فى خلال أربع وعشرين ساعة.

فما كان من «سـرجيوس» إلا أن جابهه وبنبرة ملؤها الاعتزاز بكرامته: «أنا لسـت فى لندن حتى يأمرنى الحاكم العام بمغادرة البلاد..أنا هنا فى بلادى وليرحل هو إذا شاء».

آب «سـرجيوس» إلى أرض الكنانة وكانت ثورة ١٩١٩ قد شـب نارها واشـتعل آوارها فأخـذ يطوف مع المرحوم «محمد فتح الله بركات باشـا» ابن شـقيق الزعيم سـعد زغلول ليدعـوا إلى مجاهـدة الإنجليز وإلى طردهم من بر مصر المحروسـة.. وكان يدلف إلى صحن الأزهر الذى أسماه حصن الثورة الحصين يخطب فى الجموع الهادرة ويظل هكذا – دواليك – قرابـة الثلاثة أشـهر – لا يذوق خلالها طعم النوم يخـرج من صحن الأزهر ليطوف فى البـلاد يخطب فى العباد مسـتقلا «عربة حنطور» ليلهب حمـاس المصريين ضد الإنجليز فاسـتدعاه «كين بويرن» مدير أمن القاهرة – آنذاك –» واقتاده هو ورفاقه من رجال الثورة إلى ثكنات قصر النيل وألقوا بهم فى غرفة مظلمة ممتلئة بالهوام والحشـرات ثم سِـيق هو وصحبه إلى مدينة رفح وكان منكبا فى خلال هذه الفترة التى أمضاها فى غياهب الجب فى قراءة اشتات من الكتب الدينية، وعاد بعد ذلك إلى القاهرة ليواصل – حثيثا – نضاله ضد المحتل الغاصب رافعا مع رفاقه من المسلمين علم – الهلال مع الصليب – حتى ذاع صيته فى أرجاء مصر برمتها حتى أنه لما رشـح نفسـه فى انتخابات مجلس النواب عام ١٩٤٩ كان الناس يهتفون له: (من غير فلوس.. يا سرجيوس).. ولما – حانت منيته – فى آوائل الستينيات عثروا على آخر مقال له دبجته يراعته بعنوان (لن أكف مطلقا).

هذا هو سرجيوس القبطى الوطنى ابن مصر البار الذى وصفه الزعيم «سعد زغلول» بأنه: «خطيب ثورة ١٩١٩». فقد عمل بدون كلل أو ملل على توحيد عنصرى الأمة.

❑❑❑

يوم .. أن مات سعد زغلول

فـى ذلك اليوم البعيد ٢٣ أغسـطس ١٩٢٧ دبجت يراعته هـذا الكتاب القيم «فى دروب الوطنيـة» كتـب الدكتور «عصام الدين جلال» يقـول: وفى هذا اليوم الذى لم تمح السـنون الطوال انطباعاته من الذاكـرة أو القلب. لفت نظرى بمجرد الخروج من المدرسة هدوء وسكون غريب يلف شمل المدينة. ولما تأكد لى بعد قطع جزء من الطريق تسـاءلت عن تفسـير هذا التغيير الملموس. وأخبرنى الفتى أن زغلول باشـا قد مات. ولم يكن يتذكر بقية الاسم ولكنه كان يعرف أنه الباشا الكبير. ولما أمعنت النظر على مدى الطريق وجدت الوجوم والتجهم والأسى يصبغ أوجه الناس. وحتى على المقاهى لم يكن هناك الصخب والمرح المعتاد بل رأيت الكثيرين يمسـحون دموعهم. بل خيل إلى أن جو وفراغ المدينة ومبانيها قد خيم عليه الأسـى والحزن والسكون. ولم أتمالك. أنا الطفل. إلا أن أحول حديثنا إلى همس. وأفقد كل رغبة فى الابتسام أو المرح الذى كان عـادة ما يسـبغ حديثنا فى رحلتنا. وقد أتيح لى فيما بعـد أن أعرف الأكثر عن الفقيد سـعد باشا زغلول. وألمس مدى الحب والإجلال اللذين يكنهما له الناس ومدى الحزن والأسـى الذى عن بوفاته. كما اتيح لى التعرف على سـير الأبطال وإنجازاتهم وسايرت بل وحملت جثث شهدائهم. ورافقت كفاحهم فى مصر وفى أنحاء أخرى من العالم. ولكن بقى لا ينسـى حزن طنطا التلقائى والدفين. لوفاة زغلول باشا رمز الوعى والصحوة الوطنية. مهما تعمقت معلوماتى وتوسـعت تجاربى وتنوعت خبراتى. وعلى مدى سنوات العمر الطويل رأيت الجماهير فى مصر وخارجها تعبر عن أسى وألم الفراق لرموزها البارزة السياسـية والاجتماعية والفكرية. رأيت بكاء ونواحا وصراخا تعبر به عـن فجيعتها وأحلامها المهدرة ومخاوفها الكامنة. كمـا فعلت فى جنازة جمال عبد الناصر. ولكن درس جموع أهل طنطا بكل فئاتهم وأعمارهم فى خشوعهم وألمهم الدفين فى أعماقهم بقى أكثر الدروس رسـوخا وأثرا فى نفسـى وركيزة من أبرز ركائز ضميرى الاجتماعى.

كتـب الدكتـور «مارتن هاول» أول وزيـر مفوض للولايات المتحـدة الأمريكية فى مصر يقول عنه فى إحدى الصحف الأمريكية «ولسـت أبالغ إذا قلت إنه أعظم رجل قابلته فى

حياتى.. إنه جورج واشنطن الشرق» فاختلف اللورد لويد بشأن ما كتبه عن سعد فقال له: إن كلمة من هذا الرجل ستخرجكم من مصر. فرد عليه لويد: إذا قال هذه الكلمة حكمت عليه بالإعدام. فأجابه «مارتن هاول» إنه من الناس الذين يبقون أحياء حتى ولو ماتوا. ثم ألف كتابا من خلال إعجابه بسعد. عن مصر أسماه مصر الماضى والحاضر والمستقبل.

كان «أزهريا ثائرا» تتلمذ على يد عظيمين من عظماء الشرق. هما جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وأصبح فيما بعد صديقا ونـدا لهما. فلا غرو أن أصبح فيما بعد. مفجر ثورة ١٩١٩ وقائـدا لها هذه الثورة الخالـدة التى زاد فيها ولأول مرة فى تاريخ الثورات – عدد القتلـى عن عدد الجرحـى «١٦٠٠ قتيل – ١٥٠٠ جريح» – كما دون الرافعى فى كتابه القيـم فى أعقاب الثورة – ورأها أعظم حركة قومية فى تاريخ مصر الحديث.. وكان قاضيا عظيما فلم يكن القاضى الذى يتعبد النص القانون ليضحى بالعدالة فى سبيله بل كان قاضيا جزئيا مجتهدا لا يتمسـك بحروف القانون ولا يعض عليها بنواجذه ولا يخرج فى تفسـيره عمـا يتفـق والمصلحة العامة لأن الأصل فى القانون هـو العدالة. وماكان أكثر ما يتردد فى أحكامه ويرد فى حيثياته قوله: وحيث إن قواعد العدل والإنصاف تقضى.

وكان وزيرا شجاعا عندما عين وزيرا للمعارف أصلح من شأن التعليم خلال أربع سنوات قضاها فى هذه الوزارة بذل خلالها جهد الجبابرة ليهدم النفوذ الإنجليزى الذى كان ينشر ظلاله القاتمة على شـتى مناحى التعليم. تحدى نفوذ المستشـار الإنجليزى «دنلوب» الذى كان يضـع التعليـم فى قبضته. وأحل اللغة العربية محل اللغة الإنجليزية ودأب على فتح العديد من المدارس. وأعاد إلى وزارة المعارف كل من هجرها من كبار رجال التعليم وأكثر من إرسال البعثات إلى أوروبا وفتح باب المجانية لتعليم الفقراء. وعين وزيرا للعدل سنة ١٩١٠ بعد أن حرص اللورد «جرسـت» على نقله من نظارة المعارف للحد من نشـاطه فيها. فعمد إلى القضاء فأصلحه وعزز كرامته. وناضل من أجل حريته واستقلاله وانتصف للمبعدين من رجاله الذين كان قد عصف بهم. كذلك سعى إلى إنشاء نقابة المحامين التى أصبحت منارا للدفاع عن الحق وتربصوا به الدوائر فى مسـألة تافهة متعلقة بصديق من أصدقائه فاضطر إلى الاستقالة عام ١٩١٣.

انتخب وكيلا للجمعية التشريعية. ونجح فى دائرتين من دوائر القاهرة. والقاهرة كلها أنذاك أربع دوائر دون أن يكون منتسبا لحزب أو لفئة معينة من الناس وعندما شجر خلاف

فى هذه الجمعية من يكون الرئيس لها حالة غياب من يرأسها الوكيل المعين؟ أم الوكيل المنتخب؟ وتشيع المتشيعون من طلاب السلطة والسائرين فى ركب النفاق لأن يكون الوكيل المعين هو الرئيس، حينئذ. هب سعد زغلول فيهم قائلا: الوكيل المنتخب هو الرئيس.. ثم أردف قائلا أنا هنا أمثل إرادة الشعب!.

ذهب هو وزميلاه عبد العزيز فهمى. وعلى شعراوى فى أعقاب الحرب العالمية الأولى إثر إعلان الهدنة فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ إلى دار الحماية البريطانية يطالب باستقلال البلاد، وعندما دهش عميد دار الحماية «ريجنالد ونجت» من طلبه فقال له متعجبا مستوثقا: كأنكم تطلبون الاستقلال؟! فأجابه سعد: نعم ونحن أهلا له.

وكان زعيما قائدا ثائرا أسمع الدنيا حق مصر فى الاستقلال. فقبضت عليه السلطة الإنجليزية واعتقلته. ونفته فى الثامن من مارس ١٩١٩ مع حمد الباسل. ومحمد محمود. وإسماعيل صدقى إلى جزيرة مالطة. حيث كان الإنجليز ينفون أسراهم من الأتراك والألمان، فذهب إلى منفاه بعد أن أضرم النار فى الثورة الكامنة فى قلب شعب مصر. فكانت ثورة ١٩١٩.. أول ثورة فى تاريخ هذا الشرق العربى.

وفى يوم الثالث والعشرين من ديسمبر ١٩٢١ تم القبض عليه ونفيه مرة أخرى بعد أن طوقوا بجحافلهم. وفيالقهم بيته الذى يقطن فيه حتى إنه عندما رأى هذه القوة الضاربة تحيط بمنزلة. سخر من قائدها قائلا: هل أعلنت انجلترا الحرب على مصر؟ وخرج معهم إلى الشارع والجماهير تهتف فى إشفاق عظيم: إلى أين يا سعد؟.. إلى أين؟.

فتابع سيره وهو الشيخ الجليل الذى وهن العظم منه واشتعل الرأس شيبا وقد أغرورقت عيناه بالدموع.. عالى الرأس.. رابط الجأش ليس فى خطوة إسراع، ولا تثاقل ولا فى نظراته أو حركاته ما يدل على قلق أو اضطراب، ويده اليسرى فى جيب معطفه، ويده اليمنى تحرك عصاه حركة بطيئة عادية، ثم أركبوه سيارة مغلقة تحيط بها القوة العسكرية المدججة بالسلاح الشاكى وأنزلوه فى خيمة تعصف الرياح من خروقها ثم توجهوا به إلى مرفأ السويس ذاهبين به إلى «عدن» مع زملائه مكرم عبيد، ومصطفى النحاس وسينوت حنا وعاطف بركات وفتح الله بركات بينما كانت مصر كلها مرجلا يغلى، يموج بالغضب، والاضطرابات تسودها من أدناها إلى أقصاها، وفى «عدن» عرضوا عليه أن يكون ملكا على مصر فرفض فى إباء وشمم وقال لمن فاتحه فى ذلك: إننى أفضل أن أكون فردا من الأفراد

فى أمة مستقلة، على أن أكون ملكا لبلاد مستعبدة فى ظل حماية أجنبية فنقلوه بعد ذلك هو ورفاقه إلى جزيرة سيشل ثم «منفردا» بدونهم إلى جبل طارق، ورضخ الإنجليز، وخضعوا وأعلنوا استقلال مصر وإلغاء الحماية البريطانية فى تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ فوصف سعد هذا التصريح بقوله : هو ناقة البدوى التى تباع بمائة درهم، وتباع التميمة التى فى رقبتها بألف، ولكم لأتباع الناقة بغير التميمة فما أحلاها من صفقة لولا «الملعونة» فى رقبتها!.

وإن كان لنا أن نذكر لتبيان حب الشعب المصرى الجارف لسعد وانصياعه إلى قيادته فإننا نذكر هذا الحديث الذى سجله التاريخ.. فبينما كان سعد زغلول فى المنفى جاءت إلى مصر لجنة «ملنر» أصدر الوفد قرارا بمقاطعة هذه اللجنة على أساس أن المفاوضة يجب أن تكون مع سعد زغلول وحده.

ملنر لم يصدق أن المصريين جميعا قاطعوه.. وفى أحد الحقول النائية توقف ركب ملنر، ونزل الرجل ليحاصر بأسئلته فلاحا بسيطا.

س : اسمك؟

جـ : (صمت).

س : هل أنت متزوج؟

جـ : (صمت)

س : هل عندك أولاد؟

جـ: اسأل سعد باشا؟!

س : الساعة كم الآن؟

جـ: اسأل سعد باشا؟!

واضطر الإنجليز إلى الإفراج عنه وعاد إلى مصر واستقبل من شعب مصر استقبالا لم يعرف التاريخ له مثيلا حتى إن كاتبا كبيرا كتب عنه يقول : لو قدر للإسكندر الأكبر، أو نابليون بونابرت أن يشهد ما شهده سعد زغلول من استقبال الجماهير الهادرة له.. فماذا كان يتمنى لنفسه أكثر من ذلك. ونشرت جريدة البلاغ آنذاك مانشيتا عريضا معنونا منية المرشد – معقل الزعيمين فتح الله بركات وعاطف بركات – تحتفل بعودة أبنائها زعماء مصر من المنفى وتناقلت صحف العالم هذا المانشيت.

وعاد الثائر العظيم يكافح من أجل الدستور حتى صدر دستور ١٩٢٣ الذى جعل فيه حكم مصر لإرادة الشعب رغما عن ملكها أحمد فؤاد.. ثم ترأس مجلس النواب فشرف به

المجلس «وكان رئيسا له ولا كل رئيس» كما عبر المفكر الكبير عباس محمود العقاد فى مقال له عن سعد بعنوان «عظيم كل حياته عصامية».

وفى مثل هذا اليوم منذ ثمانين عاما – ونيف – مات سعد زغلول فبكته مصر كلها بدماء قلبها، وعصارة فكرها ويعبر أدباؤها وشعراؤها عن الحدث الجلل فينشد حافظ.

إيه ياليل هل شهدت المصابا ... كيف ينصب فى النفوس انصبابا
بلغ المشرقين قبل انبلاج الصبح ... أن الرئيس قد ولى وغابا
وانع للنيرات سعدا فسعد ... كان أمضى فى الأرض منها شهابا
قل لها غاب كوكب الأرض فى ... الأرض فغيبى عن السماء احتجابا

وينشد «شوقى» الذى كان غائبا عن الوطن – آنذاك – معبرا عن حزنه لموت سعد وتلقيه نبأ وفاته وهو بعيد عن الوطن:

شيعوا الشمس ومالوا بضحاها ... وانحنى الشرق عليها فبكاها
ليتنى فى الركب لما أفلت ... يشوع، همت فنادى فثناها

وتدبج يراعة العقاد:

حملوا على المِدفع مدفعا ... الأساطيل اتقته والحصون

وتكتب التايمز الإنجليزية عنه مقالا معنونا: مات الأسد المصرى..

فسلام على سعد فى الخالدين.

❑❑❑

سلام الله.. على مصر..

لا ينعدم ولا يفنى.. فالحكومات تزول وهو لا يزول.. قالها الإمام محمد عبده عام ١٨٧٦م – فى معرض حديثه – عن معدن شعب مصر

«مصر وطن لا نعيش فيه ولكنه هو الذى يعيش فينا»

جأر بها قداسة الأب شنودة بحسه الوطنى.. وحدسه الدينى.

مبارك شعبى مصر – ساطعة – منذ القدم فى الكتاب المقدس.

﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [سورة المائدة – الآية ٨٢] صدق الله تعالى.

وصدق الذى قال.. فإلى الله من مشى بصليب فى يديه.. ومن مشى بهلال.. فالدين للديان جل جلاله لو شاء ربك وحد الأقواما.

فيا أيها المجرمون الآثمون.. لقد تهاوى وحبط ما أردتموه من خراب يباب لمصر فقد التفت قلوب المصريين مسيحيين ومسلمين بعضها حول بعض ولم تؤثر فيهم قِيد أنملة فزعة الهول التى أصابتهم جراء ما اقترفت أيديكم الملوثة بالدماء، من وأدكم للأبرياء، ولم، ولن تفلحوا مجتمعين أو متفرقين أن تنالوا من وحدة شعب مصر أو تفصموا عرى الوحدة التى جمعت بين جناحى الأمة بمسلميها وأقباطها، ولا وشائج القربى التى ربطت بينهم عبر كر السنين وتعاقب الأيام، بفعلتكم النكراء.

إن شعب مصر يؤمن إيمانا كاملا بما ورد فى الذكر الحكيم:

﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [سورة البقرة – الآية ١٣٦] .

لقد أحسستم بأن دائرة مصر – تنداح – فامتلأت قلوبكم حقدا وهما وأردتم بها شرا وشاء الله بها خيرا فمصر هى كنانة الله من مسها بسوء قسمه الله فالتوراة والإنجيل والقرآن هى كتب الله المنزلة جعلها الله نورا لنا أجمعين وشعارنا: (لكم دينكم ولى دين).

ومن استقراء التاريخ نعلم أن اليهود فى مصر قد تبوأوا مكانا عاليا حتى قيل: يهود هذا الزمان قد بلغوا غاية آمالهم، فالغز بينهُمُ.. والمال عندهُمُ.. وبينهم المستشار والملك.

وفى عهد محمد على رسخ مبدأ المواطنة – مقدسا – عند جُل المصريين، وفى عهد سعيد باشا ألغيت الجزية المفروضة على أهل الذمة وانخرطوا برمتهم فى جيش مصر، وفى عهد إسماعيل أوفد المسلمون والمسيحيون – معا – إلى خارج الديار لينهلوا من علم الغرب.

كما أمر إسماعيل بترشيح المسيحيين فى مجلس شورى النواب، وكذلك تعيينهم قضاة بالمحاكم جنبا إلى جنب أشقائهم المسلمين – ومن قبلها ومن بعدها وإلى الآن أضحى منهم الوزراء، والكبراء، والعلماء.

وفى ثورة شعب مصر بجناحيه فى ثورة ١٩١٩ اختلط دم المسلم بدم المسيحى وهتفوا جميعا عن بكرة أبيهم (يحيا الهلال مع الصليب).

من الأقوال المأثورة: «إن المصائب تسفر عن عجائب وعن رغائب لا يدركها العقل إلا بعد انجلائها». فالله يخرج الخير من الشر، فإذا اشتد الظلام وزمجر الرعد وقصفت الريح.. انقشعت الغمة وانبلج الفجر.

وبرسوخ الحق وثبات الجبال الرواسى ستقف مصر وقفة رجلا واحدا أمام غدر الغادرين وحقد الحاقدين ولن يفلحوا فى أن يمسوا مصر بأى أذى، فإن مصر تستقبل المصائب وكأنها – قطرات الغيث – فعيسى عليه السلام هو روح الله تكفلنا فلا يفرقنا فى مصرنا أحد كما قال الشاعر، هكذا يؤمن المسلمون والمسيحيون.

وسيبقى القرآن الكريم وتظل الأناجيل المقدسة المنزلة من عند الله يطالعها الناس آناء الليل وأطراف النهار.. ولو كره الكارهون.

فهم يمكرون والله يمكر.. والله خير الماكرين.

❑❑❑

سيناء.. هل نعمرها بالدعاء ..؟!

إن صحراء سيناء هى نقطة التقاء قارتين وخط فاصل بين بحرين. وكثيرا ما كانت توصف هذه الصحراء، التى تقدر مساحتها بأربعة وعشرين ألف ميل مربع، بأنها أرض قاحلة لا تصلح لشئ. وما هى إلا باب لأفريقيا وآسيا، وجسر بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر أى أنها أقرب طريق مؤدية من أوروبا إلى الأوقيانوس – المحيط – الهندى والشرق الأقصى.

وكانت هذه الصحراء، منذ البدء وكما ذكر المؤرخون من أهم مفارق الطرق فى العالم. فقد شق فراعنة مصر، فى القرن السادس عشر قبل الميلاد، طريق قفر سور باتجاه غرب سيناء وبئر السبع والقدس. وشقوا طريقا أخرى ساحلية وطويلة كانت تربط وادى النيل ببلاد ما بين النهرين على شاطئ البحر الأبيض المتوسط. ولكن الرومان والأنباط يستعملون طريقا أخرى كانت تشق شبه جزيرة سيناء من الشرق إلى الغرب. وقد سميت فيما بعد «درب الحج» حيث كانت تستعمل طريقا للحجاج الذاهبين من مصر إلى مكة المكرمة.

وتظهر سيناء للوهلة الأولى مجدبة، تكسوها الجبال الصخرية القاحلة، وأرضها غير صالحة للزراعة، وتقل فيها الأمطار، وهى شديدة الحر فى النهار والبرد فى الليل.

ومع ذلك فإن سيناء ليست بصحراء ذات وتيرة واحدة، إذ أن القسم الشمالى منها الممتد من العريش حتى قناة السويس، يشكل ساحات رملية واسعة، اجتازتها فى الماضى ولعدة مرات جيوش عظيمة فمن هنا مرت جيوش الفراعنة لتحتل أرض كنعان وسوريا، ومن الجهة الأخرى غزا الهكسوس والأشوريون والفارسيون واليونانيون والعرب والصليبيون والأتراك سهول النيل الخصبة وتشهد بقايا قلعة صلاح الدين الأيوبى الجاثمة فوق أرض رأس سدر على أن هذا القائد المغوار تواجد على أرضها ذات يوم.

تعتبر منطقة التيه فى وسط شبه الجزيرة جبال كلسية. أما القسم الجنوبى منها والواقع داخل المثلث النهائى منها ملئ بالحجارة الصوانية (الجرانيت). ومن أهم جبالها الشديدة الانحدار: جبل سيناء، وجبل القديسة كاترينا، وجبل القديسة ابستيمى، وجبل سربال وأم سومار. وقد مر من هذه المنطقة شعب إسرائيل قبل خمسة وثلاثين قرنا.

تتمثل عظمة هذه الصحراء بجمالها الجذاب الذى لم تطله يد التلويث فى العالم المعاصر. يقطنها قلة من الناس، لا سيما البدو منهم الذين يعيشون من قطعانهم الصغيرة ومستنبتاتهم وأشجار البلح. كما يعيش فيها أيضا متوحدو دير القديسة كاترينا. هذا باستثناء المدن الساحلية. أما باقى الجزيرة، التى لا يعيش فيها بشر، فهى مقر للذئاب والضباع والماعز البرية والظباء والنسور. أما باطنها فغنى بأنواع من البترول والمعادن الأخرى، التى اجتذبت الإنسان منذ عهد المصريين الأولين.

ويقول بعض العلماء: إن كلمة سيناء مشتقة من الكلمة السامية «سن» بمعنى «سن» الإنسان. ويعود سبب هذه التسمية إلى شكل الجبال الشبيهة بالسن بتكوينها الجيولوجى الجذاب. ويذكر البعض الآخر: أنها مشتقة من كلمة «سين» بمعنى آلهة القمر التى كان يكرمها سكان الصحراء فيما قبل التاريخ.

وكما جاء فى الكتاب المقدس، هاجر موسى النبى من مصر وهو فى الأربعين من عمره، وجاء إلى جبل حوريب، حيث التقى ببنات يوثور السبع عندما كن يسقين قطيعهن من ينبوع الماء، الذى مازال، حتى يومنا هذا، فى الجانب الشمالى من كنيسة الدير المركزية.

تزوج موسى إحدى بنات يوثور، وعاش أربعين سنة مع حميه يرعى قطعانه ناذرا نفسه للهدوء والعزلة، فى صحراء سيناء، حيث ظهر له الله فى أعجوبة العليقة المشتعلة وأمره أن يعود إلى مصر ويأتى بشعب إسرائيل إلى جبل حوريب كى يعبدوه.. يعبدوا الله.

مر شعب إسرائيل فى سيناء فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد فى طريقهم إلى أرض كنعان، أرض الميعاد.

وبعد مرور ستمائة سنة، جاء نبى عظيم من إسرائيل اسمه إيليا – الذى ذكر فى التوراة إنه كان هو الآخر يحيى الموتى – إلى هذا المكان للتخلص من الملكة (إيزابيل)، ويستطيع المرء أن يرى، داخل كنيسة النبى إيليا فى جبل سيناء، المغارة التى عاش فيها هذا (النبى) واستحق أن يتكلم مع الله.. وهذا ما خطه «أفانجلوس بابايوانو» فى كتابه عن دير سانت كاترين.

وقد عرفت سيناء من الآثار المصرية باسم «توشويت» أى أرض الجدب والعراء. وعرفت فى الآثار الآشورية باسم «مجان» ولعله تحريف مدين وهو الاسم الذى أطلقه مؤرخو العرب على شمال الحجاز وكما ذكر «نعوم شقير» فى موسوعته تاريخ سيناء القديم والحديث.

وسيناء هى الأرض التى شرفها الله بمرور العائلة المقدسة السيد المسيح عليه السلام وأمه البتول مريم العذراء ويوسف النجار منها إلى الزقازيق ومصر هروبا من تعقب الرومان لرسول الله. كما أن «طُوى» اسم الوادى الموجود فى سيناء فقد كرمه الله بقوله تعالى إلى موسى ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾ [سورة طه – الآية ١٢].

والذى لا شك فيه أن سيناء وخلال ردح طويل من الزمن قد أصابها النسيان وجارعليها الزمان حتى أصبحت مصر بالنسبة لها أرض الطغيان Egypt is the land of turany كما عبر العلامة «جمال حمدان».

وقد كان من المعهود أن أى مصرى يريد أن يجوس خلال أرض سيناء فعليه أن يستخرج – ترخيصا – لذلك وكأنه ذاهب إلى مدينة أجنبية، وقد ألغى هذا النظام فى عهد الرئيس أنور السادات.

ولقد آن الآوان لكى نرفع عن سيناء الذلة والهوان.. وإننا لنرى الواجب لتعمير سيناء:

١ – يجب أن يعاد النظر فى اتفاقية كامب ديفيد الموقع عليها فى ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ والتى أنهت حالة الحرب بين مصر وإسرائيل ببنود فى الاتفاقية سلبية كما جاء فى المادة الثانية الفقرة الخامسة منها والتى تنص على أنه لا يجوز لمصر أن تنشئ أية مطارات حربية فى أى مكان على أرض سيناء، وبالتالى ظلت مصر طوال العقود الثلاثة الماضية والسنوات المقبلة أيضا غير قادرة على أن تنشئ مطارات حربية لها فى هذه المنطقة ووفقا للمادة الخامسة فقرة ٣ من البرتوكول. يجوز لها أن تستعمل المطارات الإسرائيلية التى أنشئت لهذا الغرض قبل توقيع الاتفاقية.

وكذلك المادة الرابعة الفقرة الأولى والخامسة من الملحق العسكرى الذى لا يجيز لمصر أن تنشىء أى مواقع عسكرية على شواطئ سيناء سواء فى البحر الأحمر أو البحر المتوسط. كما أن المادة ١٢٦ من ذات الاتفاقية تحدد لتسليح مصر شرق قناة السويس أسلحة خفيفة لا تسمن ولا تغنى من جوع.

كما أن الاتفاقية لا تجيز لمصر أن يكون لها أى قوة عسكرية مقاتلة أو مسلحة وهو ما يعنى أن أربع أخماس سيناء منزوع السلاح.

كما أن المنطقة (ب) ويبلغ عرضها ١٠٠ كيلو متر التى تمتد من شرق قناة السويس حتى قرية الشيخ زويد على البحر المتوسط شرق العريش وحتى رأس محمد غرب شرم الشيخ

جنوبا لا يوجد بها سوى قوات شرطة مدنية واشترطت إسرائيل فى المعاهدة على ألا تزيد هذه القوات عن أربع كتائب ذات أسلحة خفيفة.

ولقد اخترقت إسرائيل هذه المعاهدة أكثر من مرة وآن الآوان أن تراجع بنود هذه الاتفاقية المجحفة بحق مصر فى بسط نفوذها على أرضها.

٢ – تعمير صحراء سيناء وعلى رأس بنود التعمير يجب أن نولى اهتمامنا لترعة السلام ومشروع السكة الحديد وتنمية قبائل سيناء.

٣ – العمل على تكثيف الهجرة إلى سيناء بما لا يقل عن ثلاثة ملايين نسمة حتى يكون ثمة بحر للكثافة السكانية يغرق فيه من يحاول أن يعتدى على سيناء.

٤ – توزيع نسبة من أراضى ترعة السلام على أبناء سيناء فهم الأقدر على زراعة الأراضى.

٥ – فتح آفاق التصدير لمنتجات سيناء إلى الأسواق الخارجية بعد تنفيذ مشروع تطوير ميناء العريش البحرى.

٦ – التركيز على تنمية وسط سيناء فهو ضرورة قومية وذلك بإنشاء كما ذهب البعض – محافظة ثالثة فى وسط سيناء مع العمل على توصيل مياه النيل إليها.

٧ – مراجعة أو إلغاء كل الاتفاقيات بدءا من اتفاقية الكويز إلى اتفاقية بيع الغاز مع إسرائيل.

ولقد مكثت فى سيناء أيام طوالا منذ شهور قليلة كما سبق القول وتمنيت ألا أخرج من أرضها الطاهرة التى وقعت عليها المعجزات والتى انفردت بها عن بقية العالمين ففيها عند – جبل الطور – كلم الله تعالى سيدنا موسى عليه السلام كما جاء فى القرآن الكريم.. ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [سورة النساء – الآية ١٦٤].

لقد بدأت علاقتى بسيناء منذ عام ١٩٥٧ وفى مرحلة باكرة من حياتى إذ كتبت عنها مقالا نشر بجريدة الأهرام بعنوان «تعمير صحراء سيناء» ثم ثنيت بآخر بجريدة الشعب.

والذى لا مشاحة فيه – أن سيناء هى جوهرة مصر، بطبيعتها الساحرة وجبالها المهيبة التى ترتفع بهاماتها إلى عنان السماء تشهد على عظمة الخالق وقدرته، وجلاله ورهبته عندما يراها الرائى من فوق جبل موسى يبدو له المنظر من أبدع ما رأت العين ومن أروع ما خلق الله فى الطبيعة يترك فى النفس أثرا لا تمحوه الأيام مثلما ترك فى نفسى وأنا

أرى هذا المنظر الخلاب الذى يخطف الألباب عندما شـــددت الرحال إلى سيناء منذ شهور قليلة مع أولادى الذين طابت لهم المعيشة هناك وخرجوا من أرض سيناء.. أرض الأنبياء، والدموع تترقرق فى مآقيهم.

وقد آن الأوان لتعميرها، وجذب المستثمرين إليها، ودعوة السائحين من أرجاء المعمورة لمشاهدة أثارها الدينية المقدسة التى تسحر الرائين.. وتعز على العالمين.

❑❑❑

obeikandl.com

صاحب الجلالة.. عباس محمود العقاد.. ؟!

عندما زار الأستاذ الإمام محمد عبده – عبقرى الإصلاح والتعليم كما وصفه الأستاذ العقاد و أسماه فى كتاب له تناول فيه بالتحليل الدقيق حياته وآثاره مخلدا به ذكراه – المدرسة التى كان ينتظم بها الأستاذ العقاد فى المرحلة الابتدائية بأسوان. وقرأ موضوعا إنشائيا له، تهلل وجه الإمام وهو يقول: «ما أجدر صاحب هذا، أن يكون كاتبا بعدُ»!.

وتمر سنوات قلائل قصار، ويبزغ ضوء كتابات «العقاد»، وأشعاره كالمنار الذى يهدى من يمخرون عباب البحر فى الظلمة الظلماء، وفى الليالى الداكنة السوداء.

ويتقلد سعد زغلول نظارة المعارف العمومية عام ١٩٠٦ ليصلح من شأن التعليم الذى كان الفساد قد اعتوره، واستشرى فيه جراء سياسة «دنلوب» الإنجليزى، بعد إذعان الإنجليز للحركة الوطنية وقبل عزل (كرومر) بسنة واحدة.. ويذهب أستاذنا العقاد للقياه، ليجرى معه حديثا وقد أجراه ليكون بهذه المثابة أول صحفى مصرى يدير حوارا مع الوزير الجديد، الخطير، وكان هذا الحديث.. حديث الطبقة المثقفة فى مصر آنذاك، ويدأب هو فى كتاباته الرصينة، وقرض أشعاره الجزلة العميقة، فارضا ذاته على الحياة الثقافية والإجتماعية بقراءته الرشيدة، الغزيرة، المتنوعة، وموهبته بل مواهبه العقلية المنفردة، وشخصيته العنيدة المتمردة التى قُدت من صخر أسوان بما يفصح عن مكنون عبقريته، التى انثالت منها تواليفه فى الأدب والشعر والفكر والتاريخ، فهو أديب، وشاعر، ومفكر، ومؤرخ، وقاص، عالم من علماء النهضة المصرية فى القرن العشرين الذى شهد مولد العباقرة وسمى بحق جيل العمالقة هذا الجيل الذى أخرج مصر من دياجير الظلام إلى عالم النور.

وتضع الحرب العالمية الأولى أوزارها، تُجابه مصر بأقوى دول الأرض قاطبة. هكذا كانت بريطانيا وقتها: إمبراطورية لا تغرب عنها الشمس، تقبض على ربع الكرة الأرضية، ذات قوة عسكرية، وذات بأس فى البر والبحر» كما عبر الزميل النابغ المستشار طارق البشرى فى كتابه «القيم سعد زغلول مفاوضا».

وتندلع ثورة ١٩١٩ بقيادة زعيمها سعد، وتتأجج نيرانها، ويشتعل أوارها رافضة بقاء المستعمر الدخيل على أرضها. ويصبح هو لسانا من ألسنتها، ثم قلمها «الجبار»

الذى لا يشـق له غبار.. وتتوطد أواصر الصداقة ووشـائج المحبة بينه وبين قائدها «الفلاح العبقـرى» كما أطلق عليه الدكتور حسـين مؤنس فـى كتابه الرائع عن ثورة ١٩١٩، وكما وصفـه العلامـة إميل لودفيج فى سـفره الجليل «النيل». ويدعوه الزعيـم إلى (بيت الأمة) ويُجلسـه على يمينه.. ثم يتناثر من بعده الكبراء والعظماء، ويحتج الطفل (مصطفى أمين) على (خال والدته) سـعد زغلول قائلا: أليس هذا مخالفـا (للبروتوكول) أن يجلس عباس (أفنـدى) العقـآد بجوارك قبل وجهاء الأمة وعلية القوم؟. ويجيبه سـعد: إنه ليس عباس أفندى.. ولكنه «صاحبة جلالة».

ويمضى العقاد فى كفاحه الأدبى، وتألقه الذهنى وجرأته فى سبيل الحق. ويتكسر على نصـال قلمـه كل من يحاول أن يفتئت على هذا الحـق، حق مصر فى أن تحيا حياة حرة عزيزة.

وعندمـا قام «إسماعيل صدقى» بتعطيل العمل بالدسـتور وقـف النائب «عباس محمود العقـاد» ليقول: – يا حضرات النواب.. إن رأى مجلس النواب لا يمكن أن يكون مجهولا لحظـة واحـدة بعد البيان الذى أدلى به حضرة صاحـب الدولة رئيس مجلس الوزراء، لأن الأزمة ليست أزمة وزارة.. فحسب، بل هى أزمة مجلس النواب نفسه.. بل أزمة الدستور المصرى.. ألا فليعلم الجميع أن هذا المجلس مسـتعد لأن يسـحق أكبر رأس فى البلاد فى سـبيل صيانة الدسـتور وحمايته. وعلى العكس من أغلبية أعضاء المجلس الذين استقبلوا العبـارة الأخـيرة، بالتصفيق الحاد المتواصل، تنبه «ويصا واصف» – رئيس المجلس – إلى خطورتهـا فصاح معترضا: – ما هذا يا أسـتاذ «عباس».. أنـا لا أسمح بمثل هذا الكلام.. واسـتمر «العقاد» فـى كلمته – بعد أن أمر رئيس المجلس بحـذف العبارة من المضبطة – يقول: – مازلت أكرر أننا جميعا مسـتعدون للتضحية محافظة على الدسـتور ومقاومة كل من يعبث به، وأن البلاد جميعها على أتم اسـتعداد للتضحية، لأن الأمة قد جاهدت فى سبيل الحصول على الدستور ستين عاما.

واسـتل العقاد قلمه وسـلط سياط مقالاته يكوى صدقى بها كيا، على حد تعبير الدكتور «شوقى ضيف».

ويتولى محمد محمود (باشـا) دفة الحكم ليعلن أنه سوف يحكم مصر «بيد من حديد» ويشرع العقاد قلمه أو سيفه فى وجه الطاغية الجديد هازئا به، فى مقال له: «يد من حديد فى ذراع من جريد»؟!.

ويتهم بالعيب فى الذات الملكية.. ويساق إلى غياهب الجب، ويمكث بين جدرانه تسعة أشهر يؤلف خلالها كتابه القيم «عالم السدود والقيود» الذى هو عبارة عن أنشودة بديعة فى الحرية ويخرج من محبسه وهو ينشد أمام ضريح سعد زغلول وبين رهط من كبار رجالات الدولة يتقدمهم الزعيم مصطفى النحاس، وقد جاءوا برمتهم للترحيب بكاتب الشعب عباس العقاد:

وكنت جنين السجن تسعة أشهر وهاأنذا فى ساحة الخلد أولد
عداتى وصحبى لا اختلاف عليهم سيعهدنى كل كما كان يعهد؟!

ويشتجر الخلاف بينه وبين زعيم الأمة مصطفى النحاس لاستنكاره لسياسة الوفد والتى رآها مغايرة لسياسة الوفد إبان رئاسة سعد زغلول له على يد رئيس الوزراء «محمد توفيق نسيم».

ويضرب العقاد عرض الحائط بالصلات الطيبة التى تربطه بزعيم الأمة «مصطفى النحاس»، وينحى عليه باللائمة فى هجوم قاس شديد، معترضا على هذه السياسة فينبرى له النحاس غاضبا: أنا زعيم هذه الأمة.. ويرد العقاد عليه قائلا: وأنا كاتبها بحق الوحى الإلهى، ولن تنتهى برية هذا القلم حتى أكون قد أسقطت وزارتك؟!

وتقذف نيران الحرب العالمية بحممها، ويدق (هتلر) وجنوده أبواب مصر. ويطلب البعض من زعماء مصر الأمن والأمان.. ويؤلف هو كتاب (هتلر فى الميزان) يشرح فيها شخصية الزعيم النازى المصاب بجنون العظمة ويتنبأ فيه بالفشل والهزيمة ويتهدده هتلر وجنوده بالويل والثبور وعظائم الأمور، فيشد العقاد رحاله إلى السودان، ينتهى هناك من كتابه «عبقرية عمر».

ثم يكمل سلسلة عبقرياته التى فتح بها بابا جديدا فريدا فى الأدب العربى الحديث (ما أن تذكر حتى تشكر). فهى مرتبطة به ارتباطا لا يقبل التجزئة ،فهى تؤكد عبقريته فى استكناه أسباب العظمة، وتحليله الدقيق الموغل فى سبر أغوارها، يتقلد إمارة الشعر من عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين الذى ألقى خطابا فى مؤتمر ضم أدباء مصر قال فيه: «إننى أقلد الأستاذ العقاد إمارة الشعر فى مصر، ضعوا أيديكم فى يده وقلده إياها».

كان هو وزميلاه قد فتحوا بابا جديدا للشعر من خلال مدرسة الديوان التى أنشأوها وعابوا على الشعر فيها اهتمامه بالألفاظ دون المعانى، وكان العقاد هو صاحب القدح المعلى،

واليد الطولى فيها.. من هنا جاء شـعره فى دواوينه العشـرة التى جادت بها قريحته شعرا عميقا يملأ سـاعات العمر ويغنم به القارئ أعمارا من المتعة والبهجة والنشوة الرقيقة التى تضاف إلى الأجل المحدود كما عبر الأستاذ الأديب فاروق شوشة فى كتابه (مختارات من شعر العقاد).

ويرتبط اسـم العقاد (بأبولـون) Apolon رب الضوء والفنون والحضـارة وبصفه النقاد والأدباء بعملاق الأدب العربى.

وينـال جائـزة الدولة التقديرية ويقف أمام الرئيس جمـال عبد الناصر – فى عيد العلم – وكان كاتب هذه السطور من بين المكرمين فيه – ليلقى كلمته أمامنا، فماذا قال؟

قـال إن جوائـز الدولة مرادفة فى معناها لجوائز الأمـة.. «وإن تقديره من قبل «أمته» اشتراك معه فى الفهم والإفهام ومعاونة له على الفيض والإلهام».

ثم يردف قائلا: فى عزة القاضى الجليل، وأنفة المفكر الأديب اللبيب:

«إن جمهوريـة الفكر خير قرين لجمهورية الحكم، وإن جوائز الدولة مرادفة فى معناها لجوائز الأمة».

وهكذا كان العقاد يرتفع دائما بقيمته الفكرية.. وقيمة أى مفكر فى كل مكان وزمان من خلال اهتماهه بكرامة المفكر، ومبدأ (الحرية) التى آمن بها العقاد ايمانا راسخا، حتى إن البعض اعتبره ممثلا لهذه الحرية بأجلى معانيها وعلى سبيل المثال لا الحصر وصفه كاتب مصر العالمى نجيب محفوظ بأنه (الحرية بكل ما تعنى من أبعاد).

(فهو) الحرية إذا التمسـنا لشـخصيته فكرة يرمز بها إليه.. فالحرية هى الجمال فى فلسـفته وهى الديمقراطية فى سياسته، وهى الفردية فى رأيه الاجتماعى، وهذه هى القيم التى دافع عنها وسجن فى سبيلها واضطهد كثيرا من أجلها. ومنها استلهم أدبه على تعدد جوانبه فكان رائدا كبيرا من رواد الشعر الرومانتيكى الثائر، وكان ناقدا فذا يدعو إلى تحرير العقل والشعور من سلطان السلف والتقاليد وكان كاتب سيرة يؤمن بالعبقرية باعتبارها القوة الخالقة وسـط الأحداث والمجتمعات.. وكان قصاصا تحليليا سيكولوجيا من طراز عال فى قصته «سـارة».. (راجع سـامح كريم العقاد فى معاركة السياسـية). فلا غرو – إذن – أن نجده يعتز بكرامته أشـد الاعتزاز أليس هو القائل. أعترف أنى أحب الشـهرة والخلود، ولكننى أعترف كذلك أننى لا أطلبها لقاء ثمن يهيض من كرامتى. وإننى إذا أحسسـت أن

إنســانا يعتز بشهادة يبذلها، أو شهادة يمنعها، فلا نصيب له عندى غير التحدى، الذى يذهب به إلى الحائط، ولتذهب الشــهرة ، وليذهب الخلود معها إلى الشــيطان. كان رحمة الله عليــه يردد مقولــة له، ويكررها بالإنجليزيــة Dignity is the best policy، أى أن الكرامة هى السياســة المثلى وعن هذا يعبر: الكرامة هى التى تسعدنا حين نحسن ونظفر، لأننا نفقد ما نفقد، ونفضل آخر ما حفظناه، وهو أعز علينا مما ضيعناه.

قمــين بنا – نحن المصرين – جميعا أن نتوجه بالتحية والتقدير، لعملاق الفكر المصرى والعربى القدير.. فى يوم مولده.

❑❑❑

obeikandl.com

صدقت يا أستاذ عباس.. فموعدنا الآن .. مع الوسواس الخناس!

صدق الكاتب الصحفى الأستاذ «عباس الطرابيلى» فى مقاله المتميز الذى دبجته براعته منذ أسابيع قلائل والذى دعا فيه الشعب المصرى بطوائفه المتباينة إلى التكاتف من أجل الصلاح والإصلاح.

يحدثنا تاريخ الأدب أن «امرؤ القيس» عندما علم بمقتل والده وكان ساعتها يعاقر بنت الحان(الخمر) شد رحاله إلى مضارب أخواله فى جوف الصحراء وقال قولته التى ذهبت مثلا : «اليوم خمر وغدا أمر».

والغد يحمل فى ثناياه – بمشيئة الله – الخير كل الخير والفلاح لشعب مصر بعد أن تخلص من الوجوه القباح، الذين باءوا بالذلة وبالإفتضاح، فى كل غدوة لهم ورواح.

إن الجبهة الداخلية التى أراد الجاهلون أن يحولوها إلى قطعة من الجبن أو الزبد بإمكان أى فرد أن يمزقها إربا إربا.. هذه الجبهة هى قوام مصر يجب أن تكون متماسكة وأن تعود إلى وحدتها وصلابتها لتؤكد هيبة الدولة وتماسكها وليس انفراط عقدها مما يدفع الجاهل أو الحاقد إلى أن يعيث فى أرضها فسادا وإفسادا فالاستبداد، فى الرأى يؤدى إلى الفساد.. والفساد يجر جرا إلى الإفساد.

وها هو ذا المستشار الجليل عادل عبد الحميد – وزير العدل – يصرح فى التلفاز المصرى أن ثمة فئة ضالة كانت وراء إحراق صرح مصر «المجمع العلمى المصرى» وقد اعترف البعض منهم بتقاضى أموالا زهيدة ووجبات غذاء مقابل تدمير هذا المتحف العلمى الشامخ الذى أسسه نابليون بونابرت فى ٢٠ أغسطس ١٧٩٨.

هناك أنظمة تخشى تكرار ثورة مصر فى بلدانها.. وهناك دولا محيطة بنا أغدقت أموالا تفوق التصور لجمعيات ومؤسسات مصرية لكى يعمل من خلالها المتآمرون على تخريب مصر ودق إسفين فى ثورتها الخالدة. إذن فلا جَرَم أن نفتح عيوننا ونرهف أسماعنا حتى نتبين الغث من الثمين، والطالح من الصالح. فالثورات الكبرى مثل الثورة الفرنسية وكذلك الأمريكية ناهيك عن ثورة الصين والثورة البلشفية وغيرها من الثورات لم تنجح فى مسعاها

مع سـقوط الآلاف من ضحاياها إلا بالعض – كلٍ العض – على نواجذ جبهتها الداخلية، ومن ثم فقد أثمرت وأينعت وحققت مراميها فى التقدم والازدهار.

الأعداء يتربصون بمصر من الداخل ومن الخارج، والحفنة المتآمرة الكامنة فى «السراديب» قد عرَّاهم الله، فإنهم يتربصون بمصر الدوائر من أجل وأد ثورة مصر السـلمية الأبية الفتية التى غدت نبراسـا للثورات، وقد شـهد لها الدانى والقاصى بأنها قد أصبحت ثورة ليس مثلها ثورة من قبل ومن بعد، وقد كشف الله الستر عن خافى مساعى هؤلاء المتآمرين الذين يبتغـون لمصـر أن تصبح خرابا يبابـا بعد نفث سمومهم فى عقول السـوقة والدهماء الذين تحولوا إلى حية رقطاء، تود أن تلتف رويدا رويدا حول جسد الأمة.. وإذا أردت أن تعرفهم فإنهم يظهرون لك مرة كالغربان، وأخرى كالعقبان، وثالثةً كالأفعاوان. يريدون أن تكبل مصر بالأرسـان حتى تقع فى بئر الهوان، وتعـود القهقرى إلى عصر الطغيان.. ولكن يقف لهم الديان.

إنهم يمكرون. ويمكر الله.. والله خير الماكرين..

❑❑❑

ضربة منشة .. سبب احتلال الجزائر !!

من أعجب ما قرأت فيما دونه التاريخ فى سجلاته قصة الاستعمار الفرنسى للجزائر الشقيقة التى ترجع علاقتها بفرنسا إلى القرن السادس عشر الميلادى حينما عقد حلف بين البلدين لجأ بمقتضاه الملك «فرنسوا الأول» ملك فرنسا إلى خير الدين بربرون طالبا معونته تارة ضد جيوش جنوه عام ١٥٣٥م.. وتارة أخرى ضد جيوش «شارلكان» امبراطور أسبانيا عام ١٥٣٦ . فقد تم تبادل السفراء بين فرنسا والجزائر عام ١٥٦١م.. وفى عام ١٥٩٥ استنجد الملك «هنرى الرابع» بالجزائر فى تخليص مرسيليا من الجيوش المغيرة عليها من أعدائها.. وفى عام ١٧٩٣م عاودت فرنسا طلب المعونة من الجزائر وامدادها – أى فرنسا – بالجلود والخيول والقمح.

وفى عام ١٧٩٤ منحت الجزائر الحكومة الفرنسية التسهيلات الخاصة التى كان من شأنها أن حصل الفرنسيون على كل ما يلزمهم من القمح الجزائرى.. كما أقرض «الداى حسين» حاكم الجزائر حينذاك حكومة فرنسا عام ١٧٩٦م مليونا من الفرنكات بدون فوائد لكى يسهل على الفرنسيين شراء المزيد من قمح البلاد.. واشترى الفرنسيون القمح.. وحصلوا منه على كميات زاد ثمنها على المليون فرنك بكثير.. فاعتبرت الجزائر هذا دينا على فرنسا.. ومرت الأعوام ولم تسدد فرنسا دين الجزائر حتى عيل صبر الداى واستدعى قنصل فرنسا فى الجزائر.. وكان ذلك فى يوم ٢٩ إبريل عام ١٨٢٧ وسأل الداى القنصل متى ستحصل الجزائر على حقها من فرنسا.. ولماذا تمتنع فرنسا من الرد عليه فيما يطالب به من مبالغ مستحقة لبلاده على فرنسا، ولم يكن من القنصل إلا أن تلعثم وأجاب الداى بأن حكومته لن تكتب إليه.. أى إلى الداى.. ولا فائدة من ذلك .. فثار الداى لذلك الجواب وهب واقفا طالبا من القنصل أن يخرج من مجلسه فلما لم يستثل القنصل لأمره «هوى عليه الداى بمنشته.. وقذفه بها فى وجهه فكانت تلك الحاثة سببا فى هياج فرنسا وفى إرسالها قواتها المدججة بالسلاح لاحتلال الجزائر ردا على فعلة «الداى» وصونا لكرامة فرنسا كما زعم بذلك ملك فرنسا «شارل العاشر»؟!.

وقد تم ذلك فعلا فى يوم ٥ يوليو عام ١٨٣٠ بعد استسلام «الداى» فى اليوم السابق لذلك.. ومنذ ذلك الحين وفرنسا تحتل الجزائر، وتزعم أنها – أى الجزائر – قطعة..

أو جـزء من أرضها حتى قيد الله لها الشـهداء الأبرار الذين ضحوا بأرواحهم فى سـبيل حريتها واستقلالها ومن ثم أطلق على الجزائر بلد المليون شهيد!!.

هذه وبإيجاز هى قصة احتلال الجزائر واسـتعمارها.. قصة أغرب من الخيال إن دلت على شىء فإنما تدل على مكر الاستعماريين ودهائهم وتفننهم فى اختراع الأسباب لاحتلال الشعوب واستعمارها فهذه هى فرنسا – كما رأينا – تقدم على احتلال الجزائر واستعمارها.. وتحتلها فعلا وتستعمرها بسبب ضربة منشة!!.

❑❑❑

opeikandl.com

ضريبة الذهب الأسود فى عهد المصريين القدماء ..

البترول.. كلمة تتكون لفظين من أصل يونانى هما: «بترو.. ليوم».

الأولى بترو بمعنى «حجر».. والثانية ليوم بمعنى «زيت».. فيكون المعنى الاجمالى لكلمة بترول هو.. «زيت الصخر».. وترجع معرفة الإنسان بالبترول واستعماله إلى أجيال طويلة قبل ميلاد المسيح عليه السلام.. وقد كشفت الأبحاث أن «البنزين».. وهو أحد مستخرجات البترول – كان يستخدم فى بناء المنازل بمدينة «أورو».. وغيرها من المدن التى يرجع تاريخها إلى ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد..

ويقول سفر التكوين فى التوراة إن سفينة نوح كانت مطلاة بالغاز من الداخل والخارج.. ثم السلة التى وضع بها موسى عليه السلام عندما ألقى فى اليم طليت بالغاز من الداخل والخارج أيضا .. والغاز أحد منتجات البترول..

وتروى النقوش الأثرية المصرية أن «تحتمس الثالث» فى سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد رسم على سكان بعض المدن المصرية فريضة من البنزين الذى كان يستخدم فى تحنيط الموتى..

وظهرت صناعة البترول عندما تمكن الكولونيل «وريك» الذى كان يبحث جاهدا عنه من حفر البئر الأولى عام ١٨٥٩.. وقد وجد البترول على بعد ٢١ مترا من سطح الأرض.. وفى خلال التسعين سنة التالية بعد هذا الكشف حفرت آلاف الآبار.. وتوغل الباحثون فى باطن الأرض حتى تم استخراج البترول من آبار وصل عمقها إلى مسافة ٤ كيلو مترات ونصف تحت سطح الأرض..

ولقد نشأت صناعة البترول فى العصر الحديث فى بداية القرن التاسع عشر خلال عمليات الحفر التى كانت تجرى بحثا عن الملح.. إذ صادف الباحثون آثارا من الزيت الخام فى عددا كبيرا من مناجم الملح فى فرجينيا الغربية.. وكان الزيت الخام يعتبر مادة عديمة القيمة.. ولكن لم ينقض وقت طويل حتى كشف أن لهذا السائل بعض المزايا والفوائد.. فبدأ استخدامه فى إضاءة الشوارع فى عام ١٨٢٨.. وفى عام ١٨٤٥ استعمل البترول الخام لأول مرة مخلوطا بزيت الحوت فى تزييت آلات مصانع حلج القطن فى الولايات المتحدة الأمريكية.. ومنذ ذلك الوقت أخذ الطلب على البترول يتزايد..

ومـا أن جاء عام ١٨٨٩ حتى توالت عمليـات الحفر والتنقيب، فلم ينقض عام ١٨٦٠ حتـى بلغ عدد الآبار التى حفـرت فى أمريكا أربعا وثمانين بئرا أنتجت ما يقرب من ٧٥ طنا من البترول.

وظل البترول طوال الأربعين عاما التى تلت ذلك يسـتعمل بصفة رئيسـية فى الإنارة.. والتزييـت وغيرهما حتـى ظهر محرك الاحـتراق الداخلى فبدأ اسـتعمال البترول كوقود لمراجل السفن.

ومنذ ذلك بدأ إنتاج البترول يرتفع بسرعة عظيمة مع تطور الصناعة وارتقائها. فتضاعف مـن ٥٥ مليونـا عام ١٩١٣.. إلى ١٠٩ ملايين (طن).. فى عام ١٩٢١.. إلى ٢١٨ مليون طن عام ١٩٣٥.. إلى ٤٣٣ مليون طن عام ١٩٤٧!..

هذه هى قصة نشأة البترول فى العالم.

أما عن قصة نشـأة البترول فى مصر فذلك يرجع إلى عام ١٨٨٤ حينما اسـتقدم «نوبار باشـا» بلجيكيـا يدعى «دى باى» وعهد إليه مهمة البحث عـن البترول.. فى مصر.. فى منطقة «جمسـة» غير أن «دى باى» فشـل فى مهمته التى اسـتطاع اتحاد البترول المصرى أن ينجـح فيهـا عام ١٩٠٨ حينمـا وفق فى العثور على البترول فى المنطقة السـابقة التى بلـغ انتاجها من البترول ١٩٣ ألف طن.. ثم توالت الكشـوف عـن البترول فى مصر بعد ذلك فأكتشـف حقل الغردقة عام ١٩١٤.. ثم حقل أبو دربة عام ١٩٢١.. ثم رأس غارب عام ١٩٣٨.. ثم حقل بترول سـدر عام ١٩٤٦ ثم حقل مطارمه.. وعسـل.. وبلاعيم وغيره وغيره من حقول البترول.

وذلك هو الذهب الأسود الذى قالوا عنه «.. من ملك البترول.. ملك زمام العالم.. وأصبح السيد الحقيقى له!..».

هذا هو البترول الذى لعب دورا هاما فى حرب أكتوبر ١٩٧٣.. وجعل الولايات المتحدة الامريكية وأوروبا عن بكرة أبيها تصطلى وتكتوى بالزمهرير من شـدة البرد جراء محاصرة البـلاد العربيـة المنتجة للبترول بامتناعها عـن ضخ البترول إلى بلادهم لقـاء تكاتفهم مع إسرائيل. تضامنا منها مع شقيقتها مصر التى خاضت حربا ضروسا من أجل تحرير أرضها من ربقة المحتل الإسـرائيلى الذى أحتلها فى غلس الليل وما كان له أن يرفع يده الملوثة بدماء الشـهداء المصريـين إلا بهذه الحرب المجيدة التى أصبحـت تدرس فى أكاديميات العـالم العسـكرية المختلفة التى شـهدت لمصر بعبقريتها الحربية بعـد أن أذاقت المحتل الإسرائيلى الويل والهوان.

عقوبة الإعدام.. بين القانون المصرى وقناة دريم ؟!..

دعتنـــى قناة «دريم» فى غضون عام ٢٠٠١ لحضـــور ندوة عن الحكم الذى صدر بإعدام المرضة «عايدة» ثم بعد ذلك أعادت محكمة النقض محاكمتها أمام دائرة جنايات أخرى، غير الدائرة التى حكمت عليها بعقوبة الإعدام.

أدارت الأســـتاذة «منى الشـــاذلى» الحوار فى هذه الندوة كعادتها باقتدار وكان الحضور فيها الأســـتاذ الصحفى «محمد فودة» رئيس التحرير، والأســـتاذ «آمر أبو هيف» المحامى بالإســـكندرية، والدكتـــور عميد كلية طب التمريض بالإســـكندرية، وإحدى أســـاتذة كلية التمريض بها، وكاتب هذه السطور.

كانت الندوة مذاعة على الهواء وأدلى الحضور برأيهم فى هذا الموضوع:

قال الأســـتاذ فودة: إنه لولا الصحافة وتركيزها على هذه القضية لنفذت عقوبة الإعدام فى المتهمة، وأن الصحافة كان لها القدح المعلى فى عرض هذه القضية على محكمة النقض التى حكمت بنقض الحكم المحكوم به على المتهمة بعد أن عرضت الصحافة قضيتها على (الرأى العام) الذى لعب دورا مؤثرا فى تخفيف الحكم عليها.

أمـــا أســـاتذة الطب الذين أدلوا بدلوهم فى موضوع الندوة فقـــد داروا حول ما إذا كانت المتهمة قد أخطأت فى علاج المريضة التى تسببت برعونتها فى إزهاق روحها البريئة.

أما الأستاذ «آمر أبو هيف» محامى المتهمة فقد سلط الضوء على نفسه إذ إنه وهو وكيل المتهمة قد طعن بالحكم الصادر من محكمة جنايات الإســـكندرية بإحالة أوراق القضية إلى فضيلة المفتى.

وكانـــت المتهمـــة قد ناولـــت المجنى عليها حقنـــة بداخلها مادة قاتلـــة، وهى تعودها بالمستشفى التى ترقد فيها بمدينة الإسكندرية.

أما كاتب هذه الســـطور فوجه حديثه لكل من الأستاذ الصحفى والأستاذ المحامى فقال لـــلأول: ليس هناك قضية توصـــف بقضية رأى عام من عدمه فالقضايا جميعها أمام القضاء مهما صغرت أو كبرت ينظرها القاضى بعد بحث وفحص و تمحيص و تفنيد للأدلة الظاهرة أمامه، دون أن يولى اهتماما لرأى عام من عدمه فالرأى العام. كما قال أحد الفلاسفة «ما هو

إلا حصان جامح ليس له من ضابط إلا من يستطيع أن يكبح جماحه». ثم يممت وجهى متجها بحديثى إلى الأستاذ المحامى ذاكرا له: إنه ليس أنت ولا غيرك هو الذى خفف الحكم عن المتهمة عايدة فاستبدلت العقوبة عليها من عقوبة الإعدام إلى السجن لمدة عشر سنوات، ولكنه القانون .. والقانون وحده، متمثلا فى المادة ٤٦ من القانون رقم ٥٧ لسنة ١٩٥٩ الذى أوجب على النيابة العامة عرض أية قضية يحكم فيها بالإعدام على محكمة النقض لتقول كلمتها فيها.

ولقد قالت محكمة النقض كلمتها فى قضية عايدة دون مؤثر عليها فيها سوى القانون.

وعندما أبدت الأستاذة «منى الشاذلى» دهشتها قائلة: كيف يكون هذا؟ من حكم بالإعدام يزهق روح المتهمة إلى حكم بسجنها عشرة سنوات؟.

فأجبتها: لا تعرضى نفسك للمثول أمام القضاء فالقضاء ليس محل سخرية فنفت بأدب جم ذلك وأبدت تقديرها واحترامها الكاملين للقضاء.

فأردفت قائلا لها: إن القاضى لا يحكم إلا من خلال الأوراق والمستندات الماثلة أمامه و قد تظهر أدلة جديدة من استقرائه لهاتيك الأوراق تجعله إما يغلظ بالعقوبة أو يخففها حسبما يقر فى ضميره، ويستقر فى وجدانه، وكم من القضاة حكموا فى قضايا جد خطيرة بالبراءة لعدم وجود أدلة، أو عدم كفاية الأدلة، وكم من القضاة حكموا بتخفيف الأحكام على المتهمين بثبوت الأدلة عليهم تقديرا لظروفهم إعمالا لنص المادتين ٥٥، ٥٦ من قانون العقوبات، وكم من القضاة أخطأوافى أحكامهم بالعفو عن المتهمين نأيا بأنفسهم عن الخطأ.. والقاعدة الذهبية أمام عيونهم شاخصة لأبصارهم جلية لبصائرهم : الخطأ فى العفو خير من الخطأ فى العقوبة.

وإذ انتهت الندوة – التى استمرت على مدى ساعتين – سألتنى المذيعة القديرة: من يرحم عايدة؟.

فأجبتها: يرحمها الله سبحانه وتعالى الذى كتب على نفسه الرحمة.. و يرحمها السيد المسيح، عيسى ابن مريم الذى قال لمن أرادوا أن يحصبوا «المرأة الخاطئة» بالحصى والحجارة فى محاولة منهم لقتلها فنهاهم نبى الله عن ذلك قائلا : من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر؟!.

ويرحمهـا رسـول الله – صلى الله عليه وسـلم – الذى قال: «ارحمـوا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء».

فالرحمة شيمة الرحماء.. والرحمة شيمة الأقوياء الكرماء.

والرحمة صفة من صفات الرحمن الرحيم.

❑❑❑

obeikandl.com

فرية صُبت فى الآذان.. ومَجْتها الأذهان ؟! ..

وهذه الفرية تَجْمل فى أن الزعيم الخالد الذكر سعد زغلول قد ارتكب خطأ فادحا فى موضوع مد امتياز شركة قناة السويس إبان عرضه على الجمعية التشريعية فى مطلع القرن المنصرم عام ١٩١٠ إذ دافع سعد بحماس شديد عن المشروع ولكن «فوجئ بهزيمة ساحقة فقد وقفت الجمعية ضد المشروع ماعدا عضوا وحدا، والوزراء .. وكانت تلك هى أخطر هزيمة لزغلول».

هذا ما خطه الدكتور رفعت السعيد فى كتابه «اللبيرالية المصرية قائلاً»: إن أحد الباحثين قد ذكر ذلك وبالرجوع إلى مراجعه» اتضح أن هذا الباحث الذى رجع إليه هو ALEXANDER, The Truth about Egypt. وهذا الباحث ليس بباحث ولو كان كذلك لتحرى الدقة التى تمليها عليه الأمانة العلمية. ثم عاد الدكتور مرة أخرى وقرر بمثل ذلك فى كتابه عن ثورة ١٩١٩، ولو كلف الدكتور السعيد نفسه ببحث هذا الأمر فى المراجع الدقيقة لما وقع فى هذا الخطأ التاريخى، فما دونه يدحضه التاريخ.. فهذه الفرية بعيدة بعد السماء عن الأرض عن الحقيقة الثابتة التى لايأتيها الباطل من بين يديها أو خلفها.

ففى كتاب «مذكرات سعد زغلول» للباحث المدقق الأستاذ مصطفى النحاس جبر جاء فى الصفحتى (٢٢٩ – ٢٣٠): «.. بات مشروع مد امتياز شركة قناة السويس يترنح أمام عوامل ثلاثة أساسية أولها المعارضة الوطنية الشديدة وثانيها المعارضة داخل الحكومة ورجلها (سعد زغلول) وكانت الحركة الجماهيرية أحد الأسباب القوية فى مساندة موقف (سعد المعارض وشدته)».

ولقد سبق لأحد كبار كتاب مصر أن تردى فى هذا الخطأ الذى وقع فيه «الدكتور السعيد»؛ ففى مجلة كان يترأس تحريرها فى النصف الثانى من القرن الماضى سود الكاتب إحدى صحائفه بعنوان مثير: (تاريخنا مع القناة يتحرك) وقال عن سعد بمثل ما قيل فيه. فما كان منا، ومن آخرين، إلا أن استفسروا – كتابة – من الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد عن صحة هذا الأمر فكتب الأستاذ العقاد فى يومياته بجريدة الأخبار بتاريخ ١٧/٩/١٩٥٦ تحت عنوان «سعد زغلول وقناة السويس» فقال:

عدت من الإسكندرية فوجدت فى بريدى رسائل كثيرة يسألنى أصحابها عن موقف سعد زغلول فى مسألة قناة السويس عن اقتراح الشركة مد أجل الامتياز بعد إنتهائه، وبعض أصحاب هذه الرسائل يسألوننى عن هذا الموقف لعلمهم أننى قد ألفت كتابا ضخما فى الترجمة لسعد، وأننى قد حضرت هذه المسألة يوم عرضها وكنت ممن رفضوا ذلك الاقتراح.

ولا أحب أن أطيل الشرح والتفصيل، ولكنى أقول موجزا: إن سعدا لو ذهبت جميع أعماله وبقى منها عمله فى هذه المسألة لكان وحده كفيلا له بالمجد الذى تعنو له الرؤوس.

لقد عرضت الشركة اقتراحها بموافقة المعتمد البريطانى والمستشار المالى الإنجليزى فقبله أكثر الوزراء وعارضه سعد ورشدى ومحمد سعيد، وعلم سعد أن المسألة ستنتهى بالموافقة على اقتراح الشركة إذا فصل فيها مجلس الوزراء، فاتفق مع أصدقائه من أعضاء الجمعية العمومية على المطالبة بعرض المشروع عليها واعتبار رأيها فيه قاطعا لأول مرة فى أمثال هذا المشروع الذى لايخولها القانون النظامى رأيا قاطعا فيه.

ولما صرح سعد بهذا الرأى فى مجلس الوزراء اشترط رئيسه بطرس غالى أن يتولى سعد عرضه على الجمعية ليشرح وجهة النظر فيه، وكان يظن أن سعدا يرفض هذا الشرط محافظة على سمعته فلم يبال سعد بالسمعة فى سبيل المصلحة القومية وقبل ما اشترطه رئيس الوزراء.

إن هذه المعلومات مما يعرفه أنصار سعد وخصومه، ولهذا لا نكتفى فيها بما نعرفه ونحيل القراء من بين الأسانيد الكثيرة إلى شرح المسألة كلها فى مذكرات أحمد شفيق باشا الذى طالما غمز سعدا وصرح بلومه فى المذكرات والحوليات.

جاء فى الصفحة الـ ١٨٦ من المجلد الثالث من المذكرات.. «وكان المستشار المالى يميل إلى الأخذ بهذه الفكرة وكذلك السير جورست وبطرس باشا إلا أن الرأى العام كان ضدها وكذلك بعض النظار كسعد باشا ورشدى باشا ومحمد سعيد باشا».

ثم قال شفيق باشا: «وردت لنا برقيات من محمود سليمان باشا وعلى شعراوى باشا وأحمد يحيى باشا يطلبون فيها طرح المشروع على الجمعية العمومية».

ولا يخفى على أحد أن هؤلاء الأعيان هم حزب سعد فى الجمعية العمومية أو الجمعية التشريعية أو الوفد المصرى عند تأليفه عقب الحرب العالمية الأولى.

ثم عاد شفيق باشا فى الصفحة الـ (٢٠٤) فقال: «وتقرر عرضها على الجمعية العمومية لأخذ الرأى فيها على شرط أن يتولى سعد زغلول باشا الدفاع عن وجهة نظر الحكومة..».

ولا يخفى أيضا معنى هذا الشرط.

فمعناه الواضح أن سعدا هو الذى يريد عرض المشروع على الجمعية وأنهم يشترطون عليه الشروط لقبول اقتراحه، ولو كان موافقا للمشروع لما كان ثمة معنى للاشتراط عليه.

إن أناسا كثيرون لا يبالون بالمصلحة فى سبيل السمعة. أما أن يتعالى الرجل عن السمعة نفسها غيرة على مصلحة قومه فتلك منزلة من الرفعة لايسمو إليها إلا من هو أهلها، وأهلها فى هذه الدنيا قليلون، بل جد قليلين.

هذا هو خلق سـعد الذى ميزه الله به على أقرانه من القادة.. وتلك هى خلة سـعد فى الشجاعة والوفاء، والتى يَمِيز بها الزعماء المخلصين الخلصاء فى الماضى، أو فى الحاضر.. أو المستقبل على السواء.

❑❑❑

فن البناء.. !

حبذا إشـاعة الفن الجميل والذوق السليم فى الجماهير. فإن إذاعتهما كفيلة بأن تربى الشعب وتعلى قدرنا فى نظر زائرينا من الشرق والغرب على السواء.

إن الفـن التشـكيلى من الفنون الراسـخة عندنا وقد خلف فنانونـا القدماء أثارا خالدة تنطـق ببراعتنـا الفائقة. وإذا كانت بلادنا قد عرفت هـذا الفن قديما وقدرته حديثا ممثلا فى المستشـار الفنان محمود سـعيد الذى منحه الرئيس جمال عبـد الناصر جائزة الدولة التقديرية. فإننا لم نسـتطع إلى الآن أن تسـتفيد مهمة من هذا الفن على النحو الذى دعت إليه هيئة اليونسـكو فـى مؤتمر للفنون والآداب عقدته منذ سـنوات وأوصت فيه بوجوب تقرير الدول جميعا لنسبة مئوية من البناء، سواء كان ذلك فى المنشآت الخاصة أو العامة. تنقشـها وزخرفتها تعميما للفائدة التى تعود على الشـعوب من بعث روح الفن فى كيانها وحب الجمال فى وجدانها وتربية النفوس وتهذيبها.

وأخـذت بعض الدول بهذا كإيطاليا وبولنـدا فتحولت مبانيها الباهتة إلى لوحات فنية رائعة زادت من بهائها صبغة الفن التشكيلى الباقية على الأيام.

وحبـذا لو عمل المسـئولون عندنا علـى العناية بذلك فى منشـآتنا المعمارية تلك التى قـال عنهـا يوما أحد علماء الفـن: إنها تفتقر إلى النظام وإلى وحدة الشـكل وإلى روح الفن التشكيلى.. وبذلك نبرز مواهبنا الفنية ونربى فى الشعب حاسة الذوق والجمال.

❑❑❑

فنادق لإنعاش الريف

سئل المؤرخ الإنجليزى «أرنولد توينبى» عندما زار بلادنا أى مكان يحب أن يقضى فيه وقته فأجاب بأنه يفضل دائما الريف حيث الهدوء والجمال وأنه لذلك يكره العواصم الكبيرة.

والذى لا ريب فيه أن ريفنا المصرى من أجمل الأرياف وإبدعها، بقية غذاء للروح. ومتعة للقلب وما من إنسان زار بلادنا إلا وأسره ريفنا بفتنته الكامنة فيه، ونعمته المنثالة منه، وهاهو ذا ابن سعيد الأندلسى الذى زار بلدنا فى القرن الثالث عشر يتغنى بجمال الريف المصرى فما راعه شىء بعد جمال الأندلس مقدار ماراعه منظر القرى المصرية ذات البساط الأخضر الذى يغذى العين بنضرته.

ماذا إذن لو بحث المسئولون فكرة إنشاء فنادق صغيرة فى الريف يدعى السياح للنزول فيها مع تنظيم رحلات دورية ثقافية لطلبة المدارس والجامعات لزيارة الريف والتعرف على قطعة عزيزة من قلب الوطن، وحسبنا ما فى ذلك من كسب أى كسب لإنعاش ريفنا، وبعث الحركة والحياة فى أوصال جسمه الساكن؟!.

❑❑❑

فى ذكرى ميلاد.. أعظم المفكرين العرب..
فى القرن العشرين ..

من المسلمات.. وأيضا من البديهيات – التى يلحظها البصر ولا تخطئها البصيرة أن السماء تبدو على البحر أعظم مما هى. كما لو كنت تنظر إليها من سماء.. لا من أرض.

ومن عجب أن السماء ذاتها. كما عبر أديب مصر مصطفى صادق الرافعى. وهى فوقنا – فى كل مكان – يرتحل الناس إليها فى الأماكن الخالية – لكى يروها – مع أشياء أخرى – فى هاتيك الأماكن فهى تبدو – للرائى حينئذ، أكثر صفاء، وأشد نقاء، وأبهى ضياء.

وقد يكون مرد ذلك – فيما نرى – أن من يرى عن قرب لا يرى بوضوح – فالإنسان بحاجة لكى يمعن نظره، وينعم فكره فى قيمة – أى شىء – أن يبتعد عنه قليلا – حتى يتسنى له أن يراه من بعد على حقيقته بفحواه ومغزاه.

وقد باعد الزمن بيننا وبين عبقرى الفكر المصرى والعربى الأستاذ عباس محمود العقاد والذى جاء مولده فى مثل هذا اليوم عام ١٩٨٩ (فملأ الدنيا وشغل الناس) كما عبر عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين فى رثائه بجريدة الجمهورية – آنذاك – إثر وفاته فى الثانى عشر من مارس عام ١٩٦٤. كان الأستاذ العقاد ولا يزال. بل وسيظل ملء الأرجاء والأجواء.. بيد أنه أضحى اليوم، بعد أن بَعُد عنا – كالسماء البادية على صفحة مياه البحر المترامى الأطراف تتسع رقعتها ويشف منظرها للرائى من بعيد فها هو ذا العقاد العظيم يصبح كالمعين الصافى يفيض ولا يغيض – تتسابق الزمرة من البلغاء والمفكرين والأدباء.. ناهيك عن العلماء، فى الكتابة عن مواهبه المتعددة وأثاره المتوهجة تُدبج عنه الكتب، بل والرسائل العلمية الجامعية التى تترى يوما بعد يوم عن فكره، وأدبه، وعن شعره ونثره فى شتى مناحيه، وفى مختلف فلسفته ومراميه.

وإذا كان (شيللى) قد اعتنق القول القائل (وطنى هو العالم). فقد آمن العقاد بأن: (وطنه هو الكتاب).

ألم يعلمنا الأستاذ أنه لا غنى للأديب أو العالم عن الألمام بغير ثقافته الخاصة ليصح الحكم على حقيقة من حقائق المعرفة العامة.

ومن هنا دبج قلمه كتابه الجميل الجليل (فى بيتى) وجعل له تقدمة يقول فيها: «وبيت الكاتب، هو العالم بما رحُب».

ألم يقرأ، ويقرأ حتى فى الكتب العلمية المتخصصة.. حتى بز أقرانه وفاق أترابه وجعل الزعيم سعد زغلول يصفه بأنه «جبار القلم».

وانظروا إليه وزعيم الأمة سعد يعتب عليه والعقاد ينعى عليه نسيانه لمسألة خاصة بالسودان الشقيق: «لو عاتبنى كل فرد فى الأمة عتابك، لما نجوت من العقاب». ويرد العقاد العظيم: «ولكن ليس كل فرد فى الأمة يا باشا، هو عباس العقاد».

والأستاذ الكبير العقاد ينطق عليه ما أرتأه المبرد فى البحترى عندما قال: «أبى الله إلا أن يكون عظيما فى جميع جوانبه».. فهو سيظل بين الناس دائما: «أبا العبقريات وعملاق الفكر العربى وشاعره المجيد الخالد وناقده الجبار والمثل غير المسبوق».

انظر إليه بعد خروجه من غياهب السجن فى ٨ يوليه سنة ١٩٣١ وهو يتوجه إلى ضريح الزعيم الراحل سعد زغلول وهو ينشد على قبره:

لبثت جنين السجن تسعة أشهر وهأنذا فى ساحة الخلد أولد
ففى كل يوم يولد المرء ذو الحجى وفى كل يوم ذو الجهالة يلحد
وما أقعدت لى ظلمة السجن عزمة فما كل ليل حين يغشاك مرقد
عداتى وصحبى لا اختلاف عليهما سيعهدنى فى كل كما كان يعهد

وصفه الزعيم سعد زغلول بأنه:

«أديب فحل له قلم جبار، ورجولة كاملة، ووطنية صادقة، واطلاع واسع، ما قرأت له بحثا أو رسالة فى جريدة أو مجلة ألا أعجبت به غاية الإعجاب، وهو لا يعالج موضوعا إلا أحاط به جملة وتفصيلا، إحاطة ليس بعدها زيادة لمستزيد: «وله أسلوب أدبى فريد..».

ومن أوجز وأشمل ما يمكن أن يوصف به العقاد أنه (أديب فى ثوب عالم.. وعالم فى ثوب أديب).. فهو على ما كتب وعلى وفرة إنتاجه الأدبى والشعرى فإن الكثيرين يجهلون أن العقاد كان ذا ثقافة علمية خاصة عالية.. وأنه أول صاحب (منهج علمى) فى الأدب العربى الحديث.

يقول العقاد: الثقافة اليوم تنقسم إلى علمية وأدبية، بين (عالم) لا يعرف شيئا عن (هوميروس) و (فرجيل)، وأديب لا يعرف شيئا عن المادة ونظام الأفلاك.

«وكلاهما نصف إنسان».. أما الإنسان الصحيح فهو الذى يعرف العلم، ولا يجهل الأدب، أو يعرف الأدب، ولا يجهل العلم .. وإن لم يبلغ منهما معا مبلغ التخصص والامتياز.. ثم يردف قائلا: لقد قيل إن المتخصص نصف إنسان فقل ولا حرج: كلا.. ولا هو نصف إنسان، وإنما هو كما قال «نيتشه»: أذن كبيرة أو لسان طويل، تمشى به قدمان؟!.

ومن هنا – جاءت عبقرية العقاد العلمية – التى فاق بها المتخصصين وبز بها المتعمقين فى مجال العلم نفسه.

فكان هو أول من صحح مقالة (داروين) التى شاعت وذاعت على ألسنة الخاصة قبل العامة والتى نسبت إليه خطأ: (البقاء للأصلح).. ليعلنها أن داروين لم يقل بهذا وإنما قال «البقاء للأنسب» وليس (للأصلح).. فإن الإنسان يموت وهو الأصلح ويحيا الميكروب وهو الأنسب..؟. وعندما يعترض العقاد على تهليل بعض العلماء الأمريكيين على اكتشافهم لنبت أخضر على سطح المريخ يثبت وجود حياة على أرض هذا الكوكب الأحمر، فينبرى له أستاذ علم الفلك فى جامعة القاهرة – يريد أن «يُدهشه» أو «يُعلمه» أن هناك عالمين أحدهما يدعى (برسيفال) والثانى يسمى (لويل) قد قالا بهذا.. فيرد العقاد على أستاذ الفلك: أن هناك عالما واحدا فقط وليس عالمين، يدعى (برسيفال لويل)..؟ ثم يزيد أن ما أكده دكتور الفلك قد نفاه الثقات من الفلكيين.. وآخرهم أكبر عالم فى علم الفلك ويدعى (شباريلى) فى كتاب بلغ من ذيوعه وانتشاره أنه كان مثار التقريظات الصحيفة والإذاعية فى أوروبا وفى أمريكا؟!. والعقاد أول من كتب عن (البحث العلمى) فى (تاريخ الأدب) وسلط (قراءاته العلمية) على كشف أسباب وفاة امرئ القيس وابن الرومى من الأقدمين، وجمال الدين الأفغانى وعبد الرحمن الكواكبى من المحدثين فحلل أسباب وفاتهم باستخدام علم الطب.. وشخص بدقة متناهية أسباب وفاتهم.. وعلى غير ما دون عنهم – بشأن هذا – فى كتب السيرة وفى كتب التاريخ. وهو نفسه العقاد الذى ألم به المرض.. فرفض أن يعالج خارج الديار. (لأنه لا علاج له) مشخصا حالته المرضية بدقة بالغة حتى أن عالما طبيا هو المرحوم الدكتور أنور المفتى قال للكاتب الكبير أنيس منصور الذى كان أول وآخر من عاده فى مرضه الأخير: إن تشخيص العقاد لمرضه لا يعرفه إلا واحد فى المائة من الأطباء المتخصصين؟!.

وعندما مات العقاد – كتب الأستاذ أنيس منصور:

«لقـد قضى العقاد الطبيـب، على العقاد الأديب».. أعظـم المفكرين العرب فى القرن العشرين.

وفـى ذكرى يوم ميلاد العقاد العظيم، كاتب الوفـد الأول، والأديب اللوزعى، والحبر العلامة، نقول له: سـوف يظل يوم ميلادك يوما خالـدا فى قلوب عارفى فضلك ومقدِّرى علمك ومحبيك.. عبر تجدد الأجيال.. فى الحال وفى المآل.

❑❑❑

opeikandl.com

من خواطر الشباب
«حياة كالموت»
«يحياها اللاجئون الفلسطينيون»

فـى القرن الميـلادى الثانى.. وفى عـام ١٢٤ على وجه التحديـد اجتاحت الجيوش الرومانية بيت المقدس وحولته إلى مسـتعمرة أطلق عليها الرومان اسـم «إيليا كابيتولينا».. وأطلقوا على البلاد التى كانت تتاخمه حينذاك.. أى تتاخم بيت المقدس.. اسم «فلسطين».. وانمحت بذلك مملكة يهوذا اليهودية من خريطة الوجود..

وانبسـط النفـوذ الرومانى على تلك البقـاع العربية التى كان يسـتوطنها بعض العرب المسـيحيين ردحا من الزمن.. لاقى فيه اليهود الذين كانوا يجاورون العرب فى السـكنى فـى بعض جهات منها الذل والطغيان من الرومانيـين الغزاة.. حتى أن الكثيرين منهم لم يجـدوا بدا من الهجرة إلى مصر والعراق وبعض الأقطار الأوروبية فرارا وهربا، من جبروت الرومانيين وقسوتهم..

ولم يبق فى فلسطين وبيت المقدس إلا أقلية من اليهود تحملوا ما تحملوا من الرومان.. الذين صادروا ممتلكاتهم، وخربوا ديارهم، وأجبروهم على اعتناق المسيحية..

وحينمـا ارتفعت راية الإسـلام.. دخلت الجيوش الإسـلامية بقيـادة عمرو بن العاص فلسـطين وبيـت المقدس وطـردت الرومان من تلـك البلاد، التى أصبحـت من ممتلكات الإمبراطورية الإسلامية..

ثم غزا الأتراك السـلجوقيين أرض فلسـطين واسـتولوا عليها.. ثم جاء الصليبيون فى أعقابهم.

وجاء صلاح الدين الأيوبى عام ١١٨٧ وطردهم من فلسطين، وخلصها من عبوديتهم.

وكان عهد صلاح الدين العهد الذهبى لليهود.. إذ سمح لهم بالهجرة إلى فلسطين فتدفق سيسل المهاجرين إليها من بلدان غرب أوروبا..

ثم بسـط الأتراك نفوذهم على فلسـطين مرة أخرى عام ١٥١٧ إلى أن طردهم منها محمد على عام ١٨٣٢.. ثم تدخلت الدول الأوروبية فى أخريات القرن التاسـع عشـر.. وأعادت فلسطين إلى الحكم التركى العثمانى.

واندلعت نيران الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ فانضمت تركيا إلى الألمان ضد الإنجليز وحلفائهم، فحارب الإنجليز الأتراك، وانتزعوا فلسطين من أيديهم على يد اللورد «اللنبى».. الذى دخلها غازيا فى ٨ ديسمبر ١٩١٧.

وكان دخول اللنبى فلسطين بداية لمؤامرة عالمية دبرها الاستعمار الإنجليزى ضد الشرق العربى لإنشاء وطن قومى لليهود المشتتين فى الآفاق، فى أرض فلسطين العربية!! لتحطيم شوكة العرب، وتمزيق وحدة بلادهم، وأصابتهم بالسرطان اليهودى فى موضع الإحساس المرهف من جسم أمتهم، ألا وهو فلسطين ،وذلك لأن الاستعمار رأى فى العرب قوة جديدة تهدده.. وتتهدد وجوده وكيانه.

ثم كان الدافع الأكبر على ذلك أيضا، وهو التعصب الغربى المسيحى ضد المسلمين والمسيحيين الشرقيين على السواء، فعندما دخل اللورد اللنبى فلسطين فى اليوم الذى ذكرناه آنفا ٨ ديسمبر ١٩١٧ رشق بسهمه قبر صلاح الدين الأيوبى، قائلا: «اليوم قد انتهت الحروب الصليبية يا صلاح الدين؟!!».

وهى عبارة تكشف عن الحقد المضطرم فى قلب القائد الإنجليزى الصليبى ضد العرب والمسلمين «فلم ير اللنبى يومئذ فى فتح فلسطين انتصارا على الألمان، ولا على العثمانيين أعداء بلاده، ولكنه رأه انتصارا على العرب والمسلمين الذين غلبت آباؤهم أجداده فى حرب باغية دارت رحاها باسم الصليب فى تلك الأرض المقدسة منذ قرون»!.

وهذا القائد الإنجليزى يمثل عقلية الغرب المستعمر من إنجلترا وفرنسا وأمريكا الذين يفهمون من كلمة الصليب البطش بالعرب مسلمين ومسيحيين لتكون الغلبة لهم دائما على أهل الشرق جميعه!.

لذلك فعندما بدأت الاضطهادات تأخذ شكلها الجدى ضد اليهود فى روسيا ورومانيا والنمسا وألمانيا، وتكونت على إثر ذلك جميعات «عشاق صهيون» التى قادها ونشر رسالتها «هرتزل» الصهيونى والتى كانت تهدف إلى زرع وطن قومى لليهود فى فلسطين أو أرض الميعاد كما كان يطلق عليها غلاة اليهود رأى الاستعمار الفرصة سانحة لكى يضرب ضربته ضد العرب، فكان وعد بلفور عام ١٩١٧، «الذى كان بداية المؤامرة».

ثم كان يوم تقرير المصير، ٢٦ نوفمبر عام ١٩٤٧، وكانت الجمعية العامة للأمم المتحدة تبحث مشروع تقسيم فلسطين بين أصحابها وبين اليهود الذين نقلتهم الحركة الاستعمارية اليهودية إليها.

ووقـف رئيس وفد الفلبين «الجنرال كارولوى روموله» فى الجمعية العامة للأمم المتحدة يجأر قائلا: «إن حق كل شـعب فى أن يقرر مسـتقبله السياسـى بنفسه، وفى أن يحتفظ بوحدة أراضى وطنه حق أساسـى لا شـك فيه، ولا يقبل النقض، لذلك فإننا لا نسـتطيع أن نصدق أن الأمم المتحدة يمكن أن توافق على حل لمشـكلة فلسـطين يخالف هذا المبدأ. أو أنهـا يمكن أن تقودنـا إلى طريق المبادئ الخطرة القائمة على التمييز العنصرى، أو نظام الحكومات الدينية المنقرضة».

هذا ما قالته الفلبين على لسان رئيس وفدها، ولكن الفلبين التى عارضت التقسيم بكل هذه القوة والحرارة، عادت وأعطت صوتها لمشروع التقسيم بعد ذلك: بيومين اثنين فقط!!.

ولم تكن الفلبين هى الدولة الوحيدة التى هاجمت مشـروع التقسـيم، ثم عادت فوافقت عليه، فقد عارضت هايتى وسـيبريا وليبريا ودول أخرى عديدة مشروع التقسيم، وهاجمته وفودها بشـدة كاشـفة الظلم الفادح، والأخطار الجسـيمة التى تهدد الإنسانية بتنفيذ هذا المشروع، أو الموافقة عليه..

وفى جلسـة الاقتراع حدثت الفضيحة! تراجعت هذه الدول جميعا وغيرها عن موقفها السابق والذى لم يتراجع منها امتنع عن التصويت، وكانت أعظم فضيحة شهدها المجتمع الدولى فى التاريخ الحديث!!..

وكان السـر وراء تراجع هاتيك الدول عن موقفها السـابق إزاء مشروع التقسيم الولايات المتحدة الأمريكية.. زعيمة العالم الحر! فقد استخدمت نفوذها الضخم فى الضغط على هذه الدول لتغير موقفها لأنها هى وحليفتيها بريطانيا وفرنسـا كانوا مصممين على إنشـاء وطن قومى لليهود، ولو على أشـلاء أصحابها الأصليين، ولو على أنقاض ميثاق الإنسـان وسائر القوانين والمواثيق الدولية، ولو على حساب شرف بعض الدول وكرامتها!!.

وكان نهاية المؤامرة!، وأصدرت الأمم المتحدة قرارها المشـئوم الذى كان سبة فى تاريخ الإنسانية! القرار الذى حكم على فلسطين العربية بالموت والعناء والعذاب والتشريد.

القرارالـذى عاد بالإنسـانية إلى عصور الهمجية، ولعب فيه الغـش والخديعة والطمع والخيانة دورا كبيرا، وصدر فى سـاعة طيش ونزق من أناس لا يمتون إلى الإنسـانية بصلة ولا ضمائر لهم، ولاهم لهم إلا التمتع على حساب الغير!.

القرار إلى فرح له الظلم وجذل.. وبكى عليه الحق وحزن..!

القرار الذى حكم على مليون لاجئ عربى بالتمزق والتشتت من أجل حفنة من اليهود كانت مشردة فى الآفاق، واليوم يعيش فى الصحراء فى العراء! فوق الأرض، وتحت الثرى! مليون لاجئ فلسطينى هم ضحية من ضحايا الإنسانية! وقربان من قرابين الحرية!.. يعيشون بدون مأوى.

فقد كان لهم وطن، فأصبحوا بلا وطن، ويعيشون فى حرية ففقدوا حريتهم!. كانت لهم كرامة، فديست كرامتهم!.

كانت لهم منازل وبيوت، فأصبحوا يبيتون فى العراء الأرض فراشهم.. والسماء غطائهم!!.

كانت السعادة ترفرف عليهم بجناحيها ناشرة المحبة والسلام والطمأنينة بين قلوبهم، فأمسى البؤس والشقاء يخيم عليهم بعد ماطردوا من ديارهم وشردوا فى الآفاق.

وهناك حيث لا تسمع إلا عواء الذئاب، وفحيح الأفاعى!. وحيث لا ترى إلا صحراء جرداء لا زرع فيها ولا ضرع!، ولا حياة فيها ولا نماء!.. حيث الصمت المطبق، والسكون العميق الذى لايقطعه إلا صرخات طفل جائع، أو زفرات أم ثكلى، أو أنات شيخ فان.. هناك وعلى مدى البصر يمكنك أن ترى اللاجئين آلافًا من الأكوام البشرية مكدسة بعضها فوق بعض..!

طفولة بريئة حلوة تفتح عيونها أو ما تفتح على الهم والحزن، وتتحمل أجسامهم وأجسامهم الغضة الهون والعذاب!.

أمومة معذبة تتحمل ما تتحمل فى سبيل تربية زهور يانعة، ومحاولة إثمارها فى أرض جدية!.

أبوة تعسة شقية وهى ترى فلذات أكبادها تنصهر فى بوتقة مؤلمة من الجحيم ولا تستطيع لها ضرا ولا نفعا!..

شباب مكدود ليس له إلا الحزن والتحسر، الحزن على غده الضائع، والتحسر على مستقبله المفقود!.

شيبة فانية كانت تنتظر الراحة والأمان، فلم تجد إلا التشريد بلا كساء أو غذاء أو دواء!.

أكواخ ومنازل من بقايا صوف أو قماش تقع تحت رحمة الطبيعة القاسية، والريح الصرصر العاتية، وهى هنا «كالريشة التى حيثما تسيرها الريح تسير!».

وقصص مؤلمة مثيرة عن حياة اللاجئين!.

فهذه أم وطفلها.. فى ليلة من ليالى الشتاء القارس البارد هما فيها المطر بشدة حتى غطى الأرض ببحر من المياه عباب.. فخافت الأم على وليدها الصغير الذى بدأ الكرى يتسلل إلى عينيه، وبدأت تبحث عن مكان تضجعه فيه، ولكن أنى لها؟، فقد غمرت المياه كل ركن من أركان الأرض؟، واهتدت الأم إلى وسيلة ظنت المسكينة أنها بها ستدفع الأذى عن ابنها، نامت هى على الأرض بظهرها فوق المياه.. وحملت طفلها على بطنها.. لتمنع عنه شر المياه الباردة القاتلة التى ينوء بها جسمه الصغير.

وطلع الصباح، وكان الاثنان الأم، والطفل جثتين هامدتين، قتلهما البرد والصقيع!.

هذا مثل بسيط من حياة اللاجئين!، حيث الفقر والجوع، والعذاب والحرمان، وحيث المفازة المهلكة التى يحيا فيها اللاجئون.

حيث الطبيعة القاسية التى قهرتهم.. وعبست فى وجوههم..

حيث الحرارة اللافحة المحرقة فى الصيف، وزمهرير المطر، وومض البرق، وزئير الرعد فى الشتاء!.

حيث لا يجد اللاجئون السدف التى يسترون بها أجسامهم!.

حيث لا يجد اللاجئون غير الماء القراح حساء لهم!.

حيث تتساقط الأرواح كما تتساقط أوراق الشجر فى الخريف!..

حيث يحفر كل لاجئ لنفسه قبرا يثويه بجانب القبرالذى يعيش فيه..!.

حيث يردد اللاجئون كل يوم قول «داود النبى»:

«إلى متى يارب تنسانى كل النسيان..

إلى متى تحجب وجهك عنى..

إلى متى اجعل هموما فى نفسى وحزنا فى قلبى كل يوم.

إلى متى يرتفع عدوّى علىّ.

إلى متى يارب؟!..».

أنين مفجع حزين، وأمل ورجاء، من خلال هذه الحياة المؤلمة التى يحياها اللاجئون.

الحياة الشبيهة بالموت.. والحياة التى تشنأها النفوس وتأباها..

مــن خلال ذلك الجرح الدامى الذى لن يندمل فى قلوب جميعا إلا بعودة اللاجئين إلى إلى أرضهم ووطنهم.

ولنتذكر جميعا قول «اللورد بيرون» اليهودى الذى كان يتغنى به:

«إن للحمامــة البيضاء عشــا صغيرا، وللثعلب وكرا، ولكل إنســان وطنه، إلا اليهود.. فلهم القبور!».

❑❑❑

obeikandl.com

من خواطر الشباب .. من وحى القرية

إنها صورة أحببتها.. وكلفت بها..!

إنهـا صـورة همت بها.. وددت من كل قلبى وجوارحى لو أنهـا معى دائما وأتأملها، وأرشـف منها قطرات الأمل والسعادة.. السعادة التى لطالما وهبتها لى تلك الصورة الحبيبة الجميلة..!

وأتمتع بما كنت دائما ومازلت أجده فيها من حب وطمأنينة.. وهدوء وسكينة!..

بعيدا عن هذا العالم الصاخب.

بعيدا عن هذا العالم المضطرب.

بعيدا عن هذا العالم المجنون.

بعيدا عن هذا العالم الحزين.

بعيدا عن هذا العالم الكئيب.

بعيدا عن هذا العالم الذى داس على مقدسـات الحياة فامتهن الكرامة.. وباع الشرف.. وعزب الحرية.. وشوه الجمال.. وعبث بالحب.. وعصف بالسلام!!..

وفـى هـذا العالم رأيتهـا ثانيـة!.. رأيت الصـورة الحبيبة!.. بعد فـراق دام خمس سنوات!.

أى والله – يا أخى – خمس سنوات.. كانت عندى وكأنها خمسة قرون!.. نعم خمسة قرون!.. فلم اعتد أبدا أن أغيب عنها أو تغيب هى عنى مثل هذه الغيبة الطويلة..

مامـن فرصة سـنحت لى إلا وهرعت إليها.. أبث لها غرامـى، وتبث لى هى الأخرى غرامها!.. كانت دائما حلوة سـاحرة.. كانت دائما مبتسـمة ضاحكة رائعة مثيرة.. مثيرة بفتنتهـا.. وطبيعتها الخلابة.. وأرضها الفيحاء الواسـعة.. وهدوئها المسـتقر، وسـكونها العميق.

مثيرة بشمسها الساطعة.. وأضوائها المشرقة الضاحكة.

مثيرة بمياهها.. بأشجارها.. برياضها وطيورها.. قضيت فيها أيام الطفولة الحلوة حيث المـرح البرىء، وحيـث التمتع بالحياة الرخية الهادئة، وحيث الابتسـامات والضحكات العالية التى كانت تخرج من القلوب معبرة عن ابتهاجنا وفرحتنا وصبورنا..

كنا نقطن آنذاك فى الإسكندرية.. وكانت أسرتى كلها تبقى فيها إلا أنا فكنت أطير إليها أقضى فيها ردما من الزمن وبعضا من الوقت.. كان هو أحلى أيام حياتى..

وغبت عنها طويلا.. ثم رأيتها هذا العام.. رأيت «قريتنا» الحبيبة.. وكان ذلك فى شهر سبتمبر.

وشهر سبتمبر من أجمل شهور السنة عندى، وهو كذلك من أجمل شهور السنة فى الريف المصرى عامة.. ففيه تتفتح عيدان القطن الأخضر عن الذهب الأبيض.. وفيه تتوهج الحقول.. وتتوهج معها الآمال.

وفيه يصحو الريف من ركود الصيف الطويل.. وأيامه الثقيلة المملة..

وفيه يبدأ الحصاد.. ويبدأ معه المال يتدفق فى جيوب الفلاحين بعد مجهود جهيد.. وكفاح وكدح دام طويلا.

وفيه السهر والسمر، والنكات التى يتندر بها الفلاحون بين الآونة والأخرى.

وتأملت القرية التى غبت عنها طويلا.. وتأملت الريف الذى حرمت منه زمنا كان كثيرا.. تأملت القرية.. وتأملت الريف والسعادة ترقص فى قلبى، والدموع تترقرق فى عينى.

هذه هى قريتنا الجميلة التى قضيت فيها أياما حلوة هنيئة.. هذا هو ريفنا الذى تمتعت به وبمناظره وسحره ودلاله!.. هذه هى الحقول التى كنت أمرح بين ربوعها.. مع لداتى وقرنائى..

من هذا الحقل كنا «نأخذ» الخيار ونأكله!..

ومن هذا الحقل كنا نقتلع أعواد القصب!..

وهذا الحقل، هو حقل الخوخ الذى طالما ملأنا جيوبنا منه مع استنكار عم إبراهيم وصيحاته، ومطاردته لنا!.. فالأرض أرضنا ولكنه لا يعلم.

وهذا الجامع.. جامع «سيدى المرشدى».. الجامع الأشهر فنشعر فيه بذاتنا وبأننا قد كبرنا وصرنا رجالا، ووجب علينا أن نؤدى فرائض الصلاة كما يؤديها الكبار!..

وهذه الترعة، هى نفسها الترعة التى طالما «قهرتها»!، بذراعى الصغيرين سابحا، مع تحذير والدى لى بعدم النزول فيه حتى لا أصاب بالأمراض..

وهذا هو السوق.. سوق القرية الصغير الذى كنا نلعب فيه دائما لعبة «استغماية» فرحيق مبتهجين.. «والدوار» العتيق بيت الباشا.. الذى طالما «والسرب الضيق» الذى مازال ضيقا، صحبنى والدى إليه وعرفنى بكبار الشخصيات.

وشـجرة الجميز.. ها هي.. يـالله!.. لقد كبرت ونمت نموا كبـيرا.. وأصبحت دوحة ضخمـة فارعة.. لقد خططت اسمي عليها منذ سـنوات.. أتـراه كما هو؟.. أترى الأيام لم تمحه؟.. لا إنه قد زال ولم يبق له أثر..!.

وذاك هو قصر «بهي الدين باشا».. القصر العتيق الذي بناه الباشا ولم يستكمله.. إنه كما هو، ولكنه حزين لقد فقد السـعادة التي كنا نعيشـها بين حجراته وردهاته بمرحنا ولهونا والبشر الذي كان يعلو وجوهنا!!.

هنـا كنا نجري ونضحـك بأصوات عالية كانت تتردد بين جنبـات القصر فتعيد إلينا الصدى قويا.. الصدى الذي كثيرا ما خفنا منه، وظنناه صوت طاغوت أوشيطان!!..

والمقهى الذي كنت أسهر فيه مع صحبتي المختارة أستمع إلى «الشيخ محمد الحرصاني» وهو يضرب لنا على الربابة، ويقص علينا قصته المشوقة.. قصة «أبو زيد الهلالي»!..

«والمنشر» الواسع الذي لعبنا فيه الكرة كثيرا لقد امتلأ بالأكواخ، والساكن.. إنها زحمة الحيـاة، وهذا جمع من الفلاحين ذاهب إلى حقله.. وجمع آخر قادم من أرضه بعد سـهر مضن طويل..

وذلك جمع آخر من الصبية والفتيات يجمعون القطن في حيوية ونشاط يتغنون بأغانيهم وأهازيجهم المحببة التي تبعث فيهم العزم، وتنسيهم تعب اليوم ومشقته.

وذلك آخر يعمل على ري الأرز وتحويل الماء إليه من الجداول..

وتغرب الشـمس.. ويشرق القمر وكأنه سر وسـحر يتسلل بين الأوراق والأغصان ويرسم على الأرض الندية ظلالا من النور والخير والجمال..

وهؤلاء هم العائدون من الرجال والنسـاء والصبية والبنات من كدح النهار، حيث أتموا عملهم وأنجزوا مشاغلهم، ولكن أنظر!.. انظر إلى وجوههم لا يبدو عليها التعب، بل إشراق وآمال، وأمان وأحلام البسـمة الحلوة، فـي وجوههم، والأغنية الرقيقة على أفواههم إنهم يرضـون بالقليل.. ويحمدون ربهم أن منحهم هذا الخير العميم الوفير.. الحمد لله.. الحمد لله إنهم يقبلون أيديهم شـكرا لله وحمدا له، ولا يطلبون منه سـوى الستر وأن يديم عليهم نعمته، ويسبغ عليهم رحمته..

ويؤبـون إلى بيوتهـم يقصد كل منهم على الآخـر ما حدث له في يومه، أو ما جد على القرية من جديد، أو ينبشون في خبر قديم يثيرونه ويتلهون به..!.

شمل مكتمل.. وقلب ممتلئ.. وسعادة تطفو على الوجوه..

وأخذت الأيام تجرى.. أيام سبتمبر الجميلة الرائعة.. حتى اقترب على الرحيل ..

ومضى سبتمبر.. مضى كأجمل ما يكون – بين طبيعة ساحرة وأخوة أحباء وأصدقاء خلصاء، وأناس ينشرون الأمن والحب والسعادة بينهم.. وذكريات فيها الأمل والحياة.

مضى سبتمبر الشهر الساحر الجميل..

مضى سبتمبر الشهر الفاتق الحبيب..

مضى سبتمبر بسره وسمره ولياليه..

مضى سبتمبر جامع الشمل، ومفرقه!..

بالقسوة الأيام!.. إنها لا تعطيك كل ما تطلب أو تتمنى..

يا لقسوة الزمن هو الآخر!.. إنه لا بتركنا نعيش فى سلام، لا يتركنا فنعم بأيامنا التى لها عبقها وأريجها.. ونستعيد ذكرياتنا الأثيرة لدينا، لابد وأن يفرق بيننا كما فرق بالأمس.. يا إلهى!.. عما قريب سأترك الطبيعة الساحرة .. سأترك الأرض الطيبة.. سأترك جنة الله فى أرضه!.. وإلى أين.. إلى المدينة بريائها ونفاقها.. إلى المدينة بمظاهرها الخداعة.. إلى المدينة حيث التشاحن والتباغض وكره الإنسان لأخيه الإنسان..

وكلما شعرت بذلك أزداد ألمى.. وأزددت تعلقا بالريف وتشبثا به..

ولكن أصبح الأمر واقعا، وجاء وقت الرحيل!.. وانتزعت قدمى من هذا الثرى العزيز وكأنى أنتزع نفسى وسارت بنا السيارة مسرعة تنهب الأرض نهبا، وكأنها تزيد أن تبعدنى عن هذه الصورة.. صورة قريتنا.. بدون أن يودع كل منا الآخر!..

ومرت أمامى مشارف القرية بأشجارها الضخمة الطويلة التى ضربت أعمارها فى الزمن البعيد، وكأنها حراس الله فى أرض وقفت لتحرس القرية من كيد الكائدين.

رويدا وريدا أخذت الصورة تختفى مسرعة من أمام ناظرى، وكأنها كانت سرابا لا تمت إلى الحقيقة بصلة.. وبعدت مرة أخرى عنها.. عن القرية الوادعة.. ذات الحقول اليانعة، والقلوب القانعة.. والنفوس الوادعة، والضمائر الحية النقية..

وتركت القرية وكأنى قد تركت قطعة من ذوب الفؤاد!.. والآن لقد تفرق الشمل.. وأصبحت فى المدينة الكبيرة.. فى القاهرة بضواحيها المتباينة، وسكانها وسياراتها وضوضائها والسابلة التى يزرعون طرقها آناء الليل وأطراف النهار..

وأحسست بالدموع تنهمر من مقلتى!.. إنها دموع الفراق.. دموع الوفاء.. دموع الوداع!..

ولكن!.. لماذا لا أحب القاهرة كما أحب الريف؟.. لماذا لا تستهوينى صورة القاهرة كما تستهوينى صورة قريتنا؟..

إن القاهرة هى عروس مصر!.. جميلة واسعة بها الملذات التى يتمناها الإنسان ولا يتمناها!..

بها الملذات المحرمة والمحللة!..

بها الملاهى ودور السينما.. بها المسارح والأندية بها العجائب والمعجبات!.

بها ما يعزى المرء ويغويه!.. بها كل ما يتمناه الشباب!..

ولكن لا!.. إن الحياة ليست فى الجمال فقط..

وليست فى المتع!.. وليست فى الملذات!..

ولكنها فى نقاء السريرة.. فى حب الناس بعضهم لبعض.. فى الإخلاص.. فى الوفاء.. فى القناعة.. فى الرضى بما قسمه الله.. فى الصبر.. فى الهدوء.. فى السكينة والسلام.

وكل هذه أشياء موجودة فى الريف.. موجودة فى قريتنا بل هى قطعة منها.. ولكنها غائبة فى القاهرة، أو هكذا يبدو لى!..

ففى القاهرة لا تجد غير الرياء.. غير النفاق، غير كره الإنسان لأخيه الإنسان.. غير الحقد.. غير الضوضاء المزعجة حيث الحياة الصاخبة!.. حيث التحضر والمدنية الزائفة التى عصفت بالناس، وأعمت قلوبهم وضلت بهم عن طريق الهداية!..

لذا فأنا أحب الريف.. أحب قريتى الصغيرة.. حيث السكنية والهدوء..

حيث الطبيعة بنقائها ورونقها الإخاء..

حيث الإنسان النقى التقى الذى لم يدنس بعد..

حيث الحب.. الحب الذى ذهب اليوم من الوجود.. أو كاد..

حيث الإخلاص فى أجل الصورة.. والوفاء فى أجمل مظاهرة..

حيث السلام هادئ آمن مستقر.. لا يخاف!..

لماذا لا تكون القاهرة كقريتنا؟!.

بل لماذا لا يكون العالم كله كقريتنا؟!.

لماذا لا يكون مسالما يرفرف فيه الحب.. ويتغنى فيه السلام؟!.

لماذا لا يكون وديعا مستقرا هادئا ينعم بالراحة والهدوء؟!.

لماذا لا يكون تجار الحروب كفلاحى قريتنا قلوبهم زكية وضمائرهم نقية؟!.

لماذا لا يكون فيه اخلاص وحب ووفاء.. بدلا من الكراهية والحقد والشر والدهاء؟!.

لماذا لا يكون مبتسما سعيدا هنيئا؟!.

بدلا من هذه القلاقل والاضطرابات..

بدلا من هذه المآسى والدموع والآهات..

بدلا من ذاك الحزن.. وذلك الألم؟؟..

كلما تذكرت صورة قريتنا، كلما لاح فى خواطرى كل هذه الاستفسارات.. بل الأمنيات..

وكلما تذكرت الحقول الخضراء الممتدة على مرمى البصر تشهد على قوة الخالق وعظمته.. وتشير إلى دلائل حكمته.

وكلما تذكرت أشجار التوت والجميز، وتلك الحمائل الخضراء التى تتشابك فروعها فى أشكال لولبية، وكأنها تتهامس وتتصافح.

وكلما تذكرت صورة الفلاحين والرضى على وجوههم.. والأمل فى عيونهم.. والسعادة تترقرق فى قلوبهم، وهم يعملون ويكدون ويكدحون.

كلما تذكرت تلك الحياة الهادئة.. والجو الصافى الذى لا يعكره ولا يقطع سكونه غير صوت المؤذن يصيح كلما آن وقت الصلاة.. الله أكبر.. الله أكبر.. يُذكر من يخشى، ويُشجع العامل، ويُنبه الغافل، ويَعظ الظالم، ويُنصف المظلوم..

كلما تذكرت الطبيعة الضاحكة المبتسمة، التى يشبع فيها المرح والسرور.. ويشرق منها الأمل الباسم والوضاء..

كلما تذكرت كل ذلك.. أيقنت أنه لن يكون هناك إلا سلام.. سلام دائم.. يزيدنى أملا فى المستقبل وحبا فى الحياة!..

لن تكون هناك حرب.. لن تراق بعد ذلك دماء.. لن تزهق أرواح أبرياء.. لن تتكرر هيروشيما ونجازاكى ثانية، لن يصطلى العالم بعد ذلك بحرب فانية!..

إن تلك الملايين من الجنيهات التى تصرف كل يوم على أدوات الحرب، ومعداته نستطيع أن تفعل المعجزات.. تستطيع أن تحول الصحراء إلى جنة فيحاء..

تستطيع أن تقضى على الأمراض الفتاكة التى تهدد الإنسان بالفناء.

نستطيع أن تحول الأكواخ إلى قصور..

تستطيع أن تبنى وأن تشيده وأن تجعل الإنسان يعيش مرفها يرفل فى حلل السعادة والحبور.. وسيجئ اليوم الذى يحدث فيه هذا، إنه قريب وليس بعيد.. سيجئ اليوم الذى أرى فيه العالم صورة جميلة رائعة كما أرى صورة قريتى!..

سيجئ اليوم الذى يهدأ فيه الأمن.. ويستقر السلام.. السلام الذى سيذهب عن البشرية القلق الذى تحيا فيه.. ويقضى لهم على شبح الحرب المخيف..

السلام الذى سيجعل من تجارة الحرب تجارة كاسدة وسيحطم أسلحة الموت والدمار.

التى أعرف أن النبوءة أكبر منى، ولازلت أذكر قصة «اللورد بيفربروك» التى ترجمها كاتب أديب.. لقد تنبأ مثلى فى عام ١٩٣٩ بأن الحرب لن تقوم ونشر فى جريدته الديلى اكسبريس مانشت ضخم يقول: «لن تقوم الحرب».

وبعد بضعة أشهر من تلك النبوءة قامت الحرب.. ومع أنه قد مضى على هذا المانشيت ثمانية عشر عاما فلا يزال الشعب الإنجليزى يذكره ويعير به صاحبه.. «يفربروك» فى كل مناسبة حتى أنه أخرجت رواية إنجليزية أخيرا عن الحرب.. حرص المخرج الإنجليزى فيها بعد أن عرض على الشاشة منظر قتل الملايين وتدمير المدن ونسف بواخر الركاب.. حرص على أن يصور بين مناظر الغرقى جريدة الديلى إكسبريس وهى تطفو على سطح البحر وكتب عليها المانشيت الذى يقول.. لن تقوم الحرب!..

ولكننى يا أخى مع ذلك أؤمن وأبشرك بأن الحرب لن تقوم..

إننى لست وحدى الذى أؤمن أو أتنبأ بذلك.. هناك غيرى كثيرون اهتدوا وآمنوا بذلك.. ومن هؤلاء كاتب أمريكى يدعى «الدوق هوج».. آمن بأن الحرب لن تقوم.. وأن السلام هو الذى سيكون على الأرض فكتب مقالا من نسج خياله، ومن بنات أفكاره أسماه «التمرد العلمى الكبير».. وجعل حوادثه تجرى بعد ١٠ سنوات.. قال فيه: «نحن الآن فى عام ١٩٦٧، والدول التى تملك سر صنع القنبلة الهيدروجينية أصبح عددها سبعا وهى: اليابان وألمانيا الغربية والسويد، والصين الشعبية بالإضافة إلى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وروسيا.. وقد نجح الروس والأمريكان فى إقامة محطات الفضاء، وأصبح فى إمكان كل منها بمجرد الضغط على زر أو أزرار.. أن تطلق فى الفضاء قذائف هيدروجينية

مـن محطتهـا المقامة فى الفضاء تدمر غريمتها على وجه الأرض تدميرا تاما.. أى أن الفناء الشـامل أصبح فـى مقدور كل منها.. وهو فناء تام لا توجد ضده أية وسـيلة من وسـائل الدفاع.

واسـتطرد الكاتب الأمريكى يقول: ولهذا السـبب وبمناسـبة الذكرى العاشرة لانعقاد مؤتمـر بوجـواش (يوليه ١٩٦٧) قرر علماء العالم أن يعقدوا مؤتمرا دوليا يعمل على وجوب «إنقاذ البشـر.. ونسل آدم وحواء». وعقد المؤتمر فعلا.. ولقد وافق المؤتمرون بالإجماع على أن ولاءهم يجب أن يكون الآن للبشرية لا لأية حكومة أو لأية دولة..

ومضى الأمريكى قائلا:

وهكـذا انطلقـت الشـرارة الأولى فـى «التمـرد العلمى الكبـير» الذى وقـع ١٩٦٧.. وعبر المحيطـات والقـارات.. وفـى كافة الدول.. أضـرب العلماء والمهندسـون عن صنع الأسلحة الذرية من أى نوع كانت ثم راحوا يدمرون ويغرقون المخزون منها فى أعماق اليم، والذى مازال فى مراحل الإعداد.

وأصبح العالم ذات يوم، وقد خلا من كافة أنواع الأسلحة.. اللهم إلا من البنادق العتيقة والمتاجر.. (ونجا العالم والبشرية من الفناء.. واستقر السلام على وجه هذه الأرض).

هـذا ما كتبه الكاتب الأمريكى.. فى مقاله، قد تسـخر منه، وقد تسـخر منى أيضا، ولكنها الحقيقة يا أخى! فلن تكون هناك حرب.. وسيسـتتب السـلام على وجه الأرض مهما كره الكارهون.

فاعمـل يـا أخى.. بجد وإخـلاص ولا تخف.. أبدا من الغد فإنه بالرغم من السـحب الداكنة السوداء التى تتجمع فى الجو.. فهو غد مشرق وضاء..

ثق فى نفسـك.. واعمل اليوم لتجنى غدا.. اعمل لبناء مستقبلك.. فقد سألوا مرة العالم الإنجليزى «شالز كاترنج».. فقالوا له: لماذا تتحدث كثيرا عن المستقبل. فرد عليهم قائلا: «لأننى سأقضى بقية حياتى فيه»؟..

شكرا لك أيتها الصورة الجميلة..

شكرا لك يا قريتنا الوديعة الحبيبة.

فمنك استمددت الأمل.. فأنرت به الطريق لنفسى.. ولعلنى أنرت به الطريق لغيرى!..

❑❑❑

منية المرشد.. القرية.. التى لها تاريخ ؟!..

ولـدت بقرية منية المرشـد مركز مطوبس «فوه سـابقاً» وترعرعت بـين جنباتها وكنت أجوس وأنا مازلت غض الإهاب بين أروقتها أتنسم فيها الهواء العليل والنسيم البليل جذلا فرحا مسـرورا، أترك مدينة الإسـكندرية حيث كان والدى يعمل قاضيا، نازحا منها إليها فى إجازاتى الدراسـية، وفى الأعياد والمناسـبات الدينية حيث مقر أسرة والدى ووالدتى عليها رحمة الله.

هذه القرية التى أنجبت لمصر بعض زعمائها وقادتها الأجلاء منهم:

١ – فتحى الله باشـا بـركات: وكان عمدة لها ولم يرتـض بالعمدية فارتقى إلى عضو الجمعية العمومية عام ١٩١٤ عن طريق الانتخاب العام، وأُنعم عليه برتبة الباشـوية عقب زيارة اللورد «كتشنر» له، بمنية المرشد عام ١٩١٧.

وتقدم صفوف الثائرين مع خاله «سـعد زغلول» عام ١٩١٩ واشـترك فى تأليف الوفد المصـرى، حتى أصبح وكيلا له، وكان أول من نادى بعدم منح الرتب والنياشـين لأعضاء الهيئة النيابية، وقد نفاه الإنجليز إلى جزيرة «سيشـل» مع سـعد زغلول وعاطف بركات ومصطفى النحاس ومكرم عبيد وسينوت حنا، وذلك بأمر السلطات البريطانية عام ١٩٢١، وأفرج عنهم عام ١٩٢٣م، تولى منصب وزير الزراعة ثلاث مرات، كما تولى وزارة الداخلية، وكان لـه الفضل الأول فى نشـر الجمعيات التعاونية الزراعية والاسـتهلاكية، وقد توفى عام ١٩٣٣.

– وقد كانت منية المرشد فى عهده مهبط زيارات العظماء من رجال السياسة.. فقد زارها مـن أعضاء الوفد المصرى «حمد الباسـل، ومصطفى النحـاس، ونجيب الغرابلى، وعثمان محرم، وحمدى سـيف النصر»، وذلك بمناسـبة العودة من «سيشل».. وأقيم بهذه المناسبة أحتفـال كبير بالسـراى أو «الدوار» كما أقام الحاج أحمد الفتيانـى صوانا كبيرا أما منزله بجوار مسجد «سيدى فتح»، ودعا إليه «الشيخ البواب» من قرية فوه لقراءة القرآن الكريم، وإنشاد الأغانى ابتهاجا بالعودة من سيشل.

٢ – محمـد عاطف بركات باشـا : ولـد بالقرية عام ١٨٧٢ وتعلم فى كتاب الشـيخ أبو العينين سـلام بالقرية، وفى سـن ١١ أرسـله والده إلى القاهرة فتعلم بمدرسة الجمالية

الابتدائية وكان معه فتحى زغلول وعبد الرحمن زغلول، وكان أصغر منهما سنا، وأقام مع خاله سعد زغلول بمنزله بعابدين ثم واصل تعليمه فى الأزهر الشريف والتحق بدار العلوم، وتخـرج فيها وعمل بالتدريس .. ثم سـافر فى بعثـة حكومية إلى إنجلترا عام ١٨٩٦ وعاد للعمل فى مصر.. ووصل فى الوظائف إلى ناظر مدرسة القضاء الشرعى حيث كان هو المؤسس له بمسـاعدة خاله سـعد زغلول .. وقد نفاه الإنجليز مع شـقيقه فتح الله بركات وخالهما سـعد زغلول إلى سيشـل، وكان لعاطف باشا بركات شـخصيته مميزة وقد ترك أثارا بالغة فى نفوس من عملوا معه، وكان على رأس من تأثر به حيث تتلمذ على يده الأستاذ «أمين الخولى»، وقد توفى عام ١٩٢٤.

٣ – الدكتور محمد بهى الدين بركات باشـا: ولد بالقرية وتعلم فى كتّابها، ثم انتقل إلى القاهرة حيث أتم تعليمه وتخرج فى مدرسة الحقوق المصرية، ثم سافر إلى فرنسا حيث نال درجة الدكتوراه فى القانون عام ١٩١٥.. وبعد عودته عمل أسـتاذا بمدرسـة الحقوق المصريـة.. ثـم انتقل إلى وظائف القضـاء وتقلد بعض المناصب الكبـيرة، وقد اختير وزيرا للمعارف فى حكومة الوفد برئاسـة مصطفى النحاس باشـا، ووزيـرا للمعارف مرة أخرى فـى وزارة محمد محمود باشـا.. وكان يفضل الاسـتقلال بعيدا عن الأحـزاب فى حياته السياسـية.. وكان بهى الدين باشـا أول من وضع مشكلة تعلم اللغة العربية موضع الدرس والبحث لكى ييسـر قواعدها لدى الناشئين عندما كان وزيرا للمعارف، وقد انتخب عضوا بمجلس النواب عن دائرة فوه، وعضوا بمجلس الشيوخ، وكانت له آراء صائبة فى مناقشات المجلس، كما عمل رئيسـا بمجلس النواب واشتهر بالنزاهة والحياد التام وحسن الإدارة، وكان قد أسـند إليه رئاسـة ديوان المحاسـبة «الجهاز المركزى للمحاسبات الآن» فى مبدأ إنشائه فأشرف على تنظيمه وإدارته، وحيث قامت الثورة على ١٩٥٢ اختير عضوا بمجلس الوصاية على العرش..

٤ – اللواء «محمد عاطف بركات باشا»: «خال المغفور له والدى المستشار محمد مرشدى بركات» أحد أعلام رجال القضاء، وكان من كبار رجال الشرطة ولعب دورا مهما فى كسر سلاسـل البرلمان المصرى ليمكن المعارضة من الولوج فيه وإبداء آرائهم المناوءة للقصر الملكى والإنجليـز، وتقلد منصب مفتش وزارة الداخلية وحكمدار مدينة القاهرة، وعقب وفاته رثاه حافظ إبراهيم بقصيدة عصماء قال فيها:

حملـــوا علـــى النعـــش الكريـــــم سلالة الحسب الكريم وصفوة الأمـجـاد
ولا تعجبـوا فمـــا كـــان سـعدا خـالـه ألقـت لـــه الأخـــلاق كـــل قـيـــاد

٥ – المستشار محمد مرشدى بركات أول قاض يعين بالقضاء بمحافظة كفر الشيخ حمل رســالة القضاء فكان نعم من حملها. وعرف عنه النزاهة والإســتقامة والجهر بكلمة الحق الذى لم يخش فيه لومة لائم وكان أول رئيس لمحكمة الجيزة الإبتدائية بدرجة مستشار عام ١٩٦٠. وله قلم شارك به فى العديد من المناسبات العامة والهامة التى مرت بها البلاد:

٦ – العمدة «محمد خواســك»: زعيم البلدة بلا منازع حيث كان يحاط من أهلها بكل توقير وحب واحترام إذ أنه نهض عليها وعمل على تقدمها وأقام بها مشــروعات صناعية كــبرى عادة علــى القرية بالخير العميم. وقــد اختاره المرحوم كمال الدين حســين عضوا بمجلس محافظة كفر الشيخ.

٧ – الدكتور محمد خليفة بركات: أستاذ علم النفس ورائده فى مصر وله تواليف كثيرة فى هذا الخصوص حصل على الدكتوراه فى أوائل القرن الماضى من المملكة المتحدة.

وكنت قد أرســلت كتاباً لأستاذنا العقاد حثه فيه أن يكتب عن هذه القرية التاريخية. وتكرم بإجابتى لطلبتى فى جريدة الأخبار حيث جاء على النحو الآتى:

«تــرددت كثــيرا فى كتابة هذا الخطاب إليكم لولا أن دفعنــى إليه نفر من أبناء بلدنى شــاركونى الرجاء فى أن يشــمل عطفكم ما به وأن يتســع صدركم للإجابة عما عنّ لهم ولى من استفسارات».

«فقــد قرأت فى رحلات ابن بطوطة ما يلى عن بلدتنا منية المرشــد. قال: سمعت أيام إقامتى بالإســكندرية بالشيخ الصالح العابد المنقطع المنفق من الكون بعبد الله المرشدى وهو من كبار الأولياء المكاشــفين.. ووصلت إلى زاويته منية المرشــد ووجدت عنده الأمير ســيف الدين بلملك وهو من (الخاصكية) لم ذكر ابن بطوطة بعد ذلك أنه قد جاءته رؤيا فى المنام وكاشفه بها الشيخ المرشدى وأنبأه بأشياء معينة وقعت له فيما بعد وجاءت كما أخبره سلفا هذا الشــيخ الصالح.. والذى أود أن أســأل عنه: ما هو الاسم الحقيقى لبلدتنا هل هو منية المرشــد كما تعرف الآن؟ أم بنى مرشــد كما ذهب ابن بطوطة؟ أم ميت المرشد كما تقرأ فى المطبوعات الرسمية والحكومية؟.. ومن هم الخاصكية هؤلاء وكيف اســتطاع سيدنا المرشدى أن يتنبــأ بأشــياء هى فى عــالم الغيب والغيب كما نعلم عند الله وحده «وأجاب أســتاذنا

العقاد: ومسألة الخوارق والكرامات التى أشار إليها الأديب «المرشدى» من المسائل المطروقة المتواتـرة فى رحلة ابن بطوطة يذكر طرفا منها عن سـحرة الهند والمشـرق وطرفا أخر عن النسـاك الصالحين فى البلاد الإسـلامية، وبعضها مما رواه عن أهل الهند قد ثبت أخيرا أنه ضرب من المهارة مع التأثير (السـحرى) الذى نسـميه الآن بالتنويم المغناطيسى للأفراد أو للجماعات. وقد ذكر ابن بطوطة أن الشيخ المرشدى كان يزود ضيوفه بالطعام من الثمرات والمأكل فى غير أوانها، وهى خارقة سمعنا نحن نمثلها عن شـيخ ناسـك فى إقليم جرجا وشـهدها أناس لا نشـك فى صدقهم وفطنتهم، ومنهم المتعلمون والمثقفون، ومنهم الأذكياء الحصفـاء وإن لم يكـن لهم حظ وافر من المعـارف العلمية، وجملة هذه الخوارق شـبيهة بما يقـدر عليه زمرة المنومين ممن يعرضون أعمالهم فى المحافل العامة ويقول عامتهم إنهم يسـتعينون على هذه الأعمال بخفة الحركة مع التأثير المغناطيسـى بالنظر والإشارة وتكرار الكلمات التى تفعل فعل التخدير فى أسماع الناظرين المستغرقين فى النظر والانتظار.

وإذا كان القائمـون بهذه الخوارق أناسـا جادين متعبديـن فالراجح عندنا أنهم جادين متعبديـن والراجح أيضا عندنا أنهم يكسـبون القدرة عليها بطـول الرياضة على التلقين والإيحاء، وقد يفسر الرياضيون الذين يتعاطون رياضة (اليوجا) قدرتهم على خوارق الطبيعة بإمكان تسـليط الإرادة على جسـد الإنسان حتى يحتمل ما لا تطيق الأجساد احتماله بغير هذه الرياضة، وقد يزعمون أن تسـليط الإرادة على نواميس الطبيعة ممكن بعد طول المرانة عليها كنا يمكن تسليطها على الجسد الإنسانى وأجساد الحيوان على العموم .. وذلك زعم لم يقم عليه البرهان العلمى ولاسند له غير أقوال أولئك الرياضيين.

على أن ابن «بطوطة» لم يذكر فى خبره عن أبى عبد الله المرشدى أنه شهد بعينه كراماته فى أحضار الثمرات والمأكل فى غير أوانها ولكنه قال إنه سمع عنها وهو نازل بالإسكندرية قبل لقائه الشـيخ فى زاويتـه، وإنما ذكر ابن بطوطة تلك الكرامـة التى «سميتموها» علما بالغيب: وخلاصتها أنه رأى فى منامة رؤيا عرفها الشيخ فى اليوم التالى قبل أن يطلعه ابن بطوطة على تفصيلاتها، وليس فى علم الشـيخ بتلك الرؤيا ما يستلزم تفسيره بعلم الغيب، لأنها قد تفسر بالإيحاء الذى ينتقل من فكر إلى فكر فى اليقظة والمنام، ولكننا – على هذا – لا نرى أن العلم يسـتطيع الجزم باسـتحالة علم الغيب بإذن علام الغيوب، ولأن الحكم باسـتحالته لا يصح لأحد قبل الحكم القاطع بحقيقة الزمن وحقيقة المستقبل وما سيحدث

فيه: هل هذا المستقبل موجود الآن؟ أو هو معدوم الآن يوجد لحظة بعد لحظة؟ وإن كان معدوما فما هو الحد الفاصل بين لحظة عدمه ولحظة وجوده.

وإذا كان العقل البشرى لا يستطيع أن يجزم بحقيقة الزمن كله وحقيقة المستقبل المغيب عن العقول فليس له أن يحكم باستحالة الغيب ولا باستحالة نقله من علم الله إلى من يتمناه من عباده، وليس لأحد ـ على كل حال ـ أن ينكر أن النفس الإنسانية المشغولة بأمر مستقبلها قد تتصور ذلك المستقبل حلما قابلا للتفسير الصحيح على أسلوب شبيه بأسلوب التنجيم الذى نرجع إليه فى تفسير أحلامنا وما تبشرنا به من آمال نترقبها ونمثلها لأخلادنا الخفية على مختلف الأشكال والتعبيرات. وما من أحد شغل نفسه بأمل من الآمال إلا تمثله فى حلمه على صورة تتقبل التحقيق كما تتقبل الخلاف والمناقضة.

أما اسم البلدة فهو فى رحلة ابن بطوطة (منية بنى مرشد) وهو فى الخطط التوفيقية (منية ابن مرشد) وهو فى الأوراق الرسمية كما ذكرت (ميت مرشد) مختزلة كما هو ظاهر من كلمة (منية) التى يقول العارفون باللغة القبطية أنها مأخوذة من كلمة (مون) أو (مين) الفرعونية بمعنى بلدة. وتتركب منها ومن الأعلام المنسوبة إليها عشرات من أسماء البلدان تكتب فى الأوراق (منية) وتنطق على الألسنة (ميت) كميت غمر وميت رهينة وميت سمنود وغيرها وغيرها.

أما (الخاصيكية) فهم مماليك كانت لهم رتبة ممتازة ودرجات عسكرية فى قصر الإمارة أو فى الجيش كالأتابكية والسلحدارية والحمدارية (حملة السلاح وحملة الجام) وقد كانوا عهد المماليك برتبة مرافق. رسلا خصوصين للسلطان أو الأمير.

ويلاحظ أن مولد الشيخ المرشدى يحتفل به فى شهر (مسرى) مما يدل على علاقة البلدة قديما بمواسم الزراعة التى كانت تؤرخ بمواقيت مصر القديمة (الهيروغليفية) فيما يتعلق بالنيل.

قرية – بلا شك – لها فى تاريخ مصر.. تاريخ..

❑❑❑

فلسطين.. «والعم سام».. غير الأمين.. ؟؟!

مثل النهر الذى يغير ماءه بين الفينة والفينة وبين الحين والحين، تغير أمريكا سياستها تجاه من تريد حتى تبيد، ولو إبادة معنوية، هكذا دأبت السياسة الأمريكية عبر حقبة طويلة من الزمن إذ هى دائما تعشق التحكم فى الشعوب، بيد أن سترها قد انكشف أمام العالم برمته على موقفها اللعوب.

فأمريكا تبحث دوما عن مصالحها أنى وجدت وحيثما كانت بغض النظر عن مغبة ما تفرزه مصالحها من ضرر بالغ على غيرها من الدول.

هكذا فعلت مع العراق الذى حولت شعبها إلى شيع وأحزاب تتصارع فيما بينها من أجل الذهب الأسود الذى ترقد عليه العراق وسارت على هذا الدرب مع أفغانستان وباكستان وفيتنام الشمالية والجنوبية وكذلك مع كوبا ومن قبلها مع الهنود الحمر.

ويحدثنا التاريخ القريب أن (كاسترو) «زعيم كوبا» إذ يمم وجهه قبالة الرئيس الأمريكى الجنرال «دوايت أيزنهاور» للحديث معه عن مستقبل كوبا أشاح الرئيس بوجهه عمن جاء يبلغه هذه الرغبة قائلا له: ليس لدى وقت لمقابلة «كاسترو»؟!.. فما كان من «كاسترو» – ولم يكن يعرف الشيوعية من قبل – إلا أن اعتنق الشيوعية كراهة فى أمريكا؟!.

وحينما أراد الرئيس المصرى «جمال عبد الناصر» أن يبنى لمصر سدها العالى سدت أمريكا وجه البنك الدولى فى تحقيق مطلب الزعيم المصرى، فما كان منه إلا أن اتجه إلى الدول الشيوعية وساعدته تلك الدول على تحقيق أمله، وآمال مصر.

واليوم – وفلسطين – تلجأ إلى هيئة الأمم المتحدة لتحقيق حلمها كدولة يعترف بها العالم ومع تسليم جُل الدول بهذا الذى تطلبه فلسطين يقف «أوباما» مهددا باستخدام حق النقض (الفيتو) حتى يجبر الشعب الفلسطينى على عدم نيل حقه المشروع فى ذلك خالعا – بهذه المثابة – «ثوبه» الذى ارتداه غداة إلقاء خطابه فى جامعة القاهرة داعيا فيه إلى الاعتراف بحق الدول فى تقرير مصيرها وكذلك ما طالب به إسرائيل منذ شهور قلائل أمام الكونجرس الأمريكى من وجوب رجوعها إلى حدودها التى كانت عليه قبل حرب يونيه ١٩٦٧.

فالتحيز الأمريكى لإسـرائيل ليـس وليد اليوم فهو ضارب فى القدم.. أليسـت أمريكا هى التى كانت من أوائل الدول التى اعترفت بإسـرائيل منذ ولادتها عام ١٩٤٩؟ بعد أن كانت فلسـطين جزءا من الدولة العثمانية، وكان سكانها من العرب يمثلون نسبة ٩٥٪ من سكانها؟.

ولقد داست أمريكا بقدمها على قرارات الأمم المتحدة التى جاءت جميعها لصالح العرب بما فيها بداهة فلسـطين وكذلك فعلت مع قرار مجلس الأمن رقم ٤٦٥ الذى دعا كل دول العالم إلى عدم تزويد إسرائيل بأية مساعدة خاصة بالإستيطان فى أراضى فلسطين المحتلة .. وبـدون حيـاء، أو حرج، زاعمة أن القرارات الدولية السـابقة أصبحت قديمة، بعد أن تجاوزها الزمن، أى زمن؟. لا نعرف. وعندما كان الرئيس الأمريكى «جيمى كارتر» يخاطب أعضاء الكنيسـت الإسرائيلى فى غضون شـهر مارس ١٩٧٩ نطق بلسانه (والرجل مخبوء تحت لسـانه حتى إذا تكلم ظهر) قولته: إن إسـرائيل والولايات المتحدة الأمريكية تكونتا بالـرواد الأوائـل؛ إن وطنى قد تألف من المهاجرين واللاجئـين الذين حطوا رحالهم على أرضها من العديد من الدول.. إننا نتقاسم إرث «الإنجيل»؟!

لقد ادعى اليهود أنهم أبناء الله، وخلفاء الله، وأحباب الله، مفسرين هذا بأنهم الأقوى والأصلح وأن لهم الأرض بما رحبت من النيل إلى الفرات، ولقد شاهد – كاتب هذه السطور – هذا الشعار على مكاتب القادة الإسرائيليين مفتوحة أمام أعينهم فى الموقع الذى استولت عليه القوات المصرية خلال حرب أكتوبر المجيدة وأضحى مزارا لمن يرغب أو يريد.

يقول «جوستاف لوبون»: إن تاريخ اليهود هو تاريخ المذابح الدموية.. وإنهم أساءوا فى وصف الله، ونسـبوا إليه صفات بشـرية متأثرين بذلك بالأديان الوثنية.. ومبدأ اليهود كما فى سـفر «يشـوع»: (أهلكوا جميع ما فى المدينة، من رجل وامرأة، وطفل وشيخ؟، حتى البقـر والغنم والحمير – بحد السـيف.. وأحرقوا المدينة، وجميع مـا فيها بالنار) أو ليس اليهود هم الذين صلبوا «السيد المسيح» عليه السلام؟! لماذا تسير أمريكا – إذن – وراءهم؟!. ولماذا هى تشجعهم دائما على البغى والعدوان، واستلاب حقوق الفلسطنين؟!.

❑❑❑

كلمات.. لها معنى.. ولها مغزى..

هناك كلمات تتحول إلى آوابد تقرع الأذان، وتستقر فى القلوب والوجدان.

فقد سئل ابن المقفع: ما البلاغة؟ فقال: الإيجاز من غير عجز، والإطناب فى غير خطل، وسئل مرة أخرى عنها فقال: هى التى إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها.

والكلمات الموجزة هى التى يطلق عليها الأوابد، والآبدة هى تلك الكلمة التى تذهب فى أسماع الزمن مذهب الخلود.

لما كان ذلك كذلك. وهو كذلك، فعسى أن ينتفع من يقرأ هاتيك الأوابد مثلما انتفعت بها، وبارك الله فيمن تعلم العلم وعلمه.

من كلام أمير المؤمنين – كرم الله وجهه – : العفو عن المصر، لا عن المقر. قطيعة الجاهل تعدل صفة العاقل. اتقوا من تبغضهم قلوبكم.

قال بعض الصلحاء: لولا أنى أكره أن أُعصى الله لتمنيت أن لا يبقى فى هذا المصر أحد إلا وقع فىَّ واغتابنى، وأى شئ أهنأ من حسنة يجدها الرجل فى صحيفته يوم القيامة لم يعملها، ولم يعلم بها. المؤمن لا يثقله كثرة المصائب وتواتر المكاره عن التسليم لربه والرضا بقدره، كالحمامة التى يؤخذ فرخها من وكرها وتعود إليه. العالم يعرف الجاهل لأنه كان جاهلا، والجاهل لا يعرف العالم لأنه لم يكن عالما. عمر الدنيا أقصر من أن تطاع فيه الأحقاد. من أنس بالله استوحش من الناس.

وقيل لأبى ذر – وقد رمدت عيناه – هلا دوايتهما. فقال: إنى عنهما لمشغول، فقيل له: هلا سألت الله أن يعافيهما؟ فقال أسأله فيما هو أهم من ذلك.

قال بعض العارفين: إن خيرات الدنيا والآخرة جمعت تحت كلمة واحدة وهى التقوى. انظر إلى ما فى القرآن الكريم من ذكرها، فكم علق عليها من خير، ووعد عليها من ثواب، وأضاف إليها من سعادة دنيوية وكرامة أخروية، ولنذكر لك من خصالها وآثارها الواردة فيها اثنتى عشرة خصلة:

– الأولى: المدحة والثناء، قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [سورة آل عمران – الآية ١٨٦].

– الثانية: الحفظ والحراسة، قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [سورة آل عمران – الآية ١٢٠].

– الثالثة: التأييد والنصر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ [سورة النحل – الآية ١٢٨]

– الرابعة: النجاة من الشدائد، والرزق الحلال، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [سورة الطلاق – الآيات ٢ – ٣].

– الخامسة: صلاح العمل، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [سورة الأحزاب الآيات ٧٠ – ٧١].

– السادسة: غفران الذنوب، قال الله تعالى: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [سورة الأحزاب الآية ٧١] .

– السابعة: محبة الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٤﴾ [سورة التوبة الآيات ٤، ٧].

– الثامنة: قبول الأعمال، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٧﴾ [سورة المائدة – الآية ٢٧]

– التاسعة: الإكرام والإعزاز، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [سورة الحجرات – الآية ١٣] .

– العاشرة: البشارة عند الموت، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [سورة يونس – الآيات ٦٣ – ٦٤].

– الحادية عشرة: النجاة من النار، قال تعالى: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ [سورة الزمر – الآية ٦١].

قال بعض الحكماء: مَن أظهر شكرك فيما لم تأته، فاحذر أن يكفر بنعتمك فيما أتيته.

العدو عدوان: عدو ظلمته فجنيت بظلمك إياه عداواته، وآخر ظلمك فجنى بظلامته إياك عداوتك، فإن نابتك نائبة تضطرك إلى أحدهما فكن بمن ظلمك أوثق منك بمن ظلمته.

من أشرف فعال الكرام غفلتهم عما يعملون.

من سعادة المرء أن يكون خصمه عاقلا.

لسان الجاهل مالك له.. لكل قوم يوم.

موت الخير راحة لنفسه، وموت الشرير راحة لغيره.
خير مالك ما وقاك، وشره ما وقيته.. خير ما جربت ما وعظك.
خير الأوطان أعونها على الزمان.. خير البلاد ما حملك.
فوت الحاجة خير من طلبها من غير أهلها.
ظلم الضعيف أفحش الظلم.
من التوفيق التوقف عند الحيرة.
خاطر بنفسه من استبد برأيه.
قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل.
صلاح نفسك معرفتك بفسادها.
ارع حق من عظمك لغير حاجة إليك.
اعرف أخاك بأخيه قبلك.
قارب الناس فى عقولهم تسلم من غوائلهم.
دع ما شاء القلب لا ماشاء الرب.
لا تنكح خاطب سرك.
لا تفتح بابا يعييك سده، ولا ترسل سهما يعجزك رده.
لا تستح من إعطاء القليل، فإن المنع أقل منه.
لا تكن كالجراد يأكل ما وجده، ويأكله ما وجده.
لا تكن رطبا فتعصر، ولا يابسا فتكسر.
لا يزيدنك لطف الحسود إلا وحشةً منه.
إذا قُبح السؤال حسن المنع.
لا تشرب السم اتكالا على ما عندك من الترياق.
لا تتهاون بالأمر الصغير إذا كان يقبل النمو.
لا تقل ما لا تعلم فتتهم بما لا تعلم.
لا تصحب الأشرار فإنهم يمنون عليك بالسلامة منهم.
إذا فاتك الأدب فالزم الصمت.
إذا اشتبه عليك أمران فاجتنب أقربهما إليك.
إذا لم يكن ما تريد فرِد ما يكون.

obeikandl.com

وقال الشاعر:

خلقان لا أرضاهمـــا لِفتـــى بطـر الغنـى ومذلـــة الفقـر
فإذا اغتنيت فـلا تكـن بطـرا وإذا افتقـرت فتِـهْ على الدهر

قال الشاعر:

إن الليالـى للأنـام مناهـــل تطوى وتنشر بينهـا الأعمـار
فقِصارهـن مـع الهموم طويلة وطوالهن مع السـرور قِصـار

وقـال العلماء: الغيبة جهد العاجـز، وإن أفضل الناس من تواضع عن رفعة، وعفا عن قدرة، وأنصف عن قوة.

وقال بعض الأعراب لابن عباس: من يحاسـب الناس يوم القيامة؟.. فقال: يحاسـبهم الله تعـالى، فقال الأعرابى: نجونـا إذن ورب الكعبة. فقيل له وكيف؟.. فقال: إن الكريم لا يدقق فى الحساب.

قيـل لراع عابد وجدت الذئاب بين أغنامه وهى لا تؤذيها: متى اصطلحت الذئاب مع غنمك؟ قال: منذ أصطلح الراعى مع الله.

وقال الشاعر:

إذا صحبت الملـوك فالبـس مـن التوقـى أعـز ملبـس
وادخل إذا مادخلت أعمـى وأخرج إذا ماخرجـت أخرس

سـأل بعض الأنبياء ربه أن يكف عنه ألسـنة الناس، فأوحى الله إليه: إن هذه خصلة لم أجعلها لنفسى، فكيف أجعلها لك؟.

قال أديب:

إذا رأيـــت أمـــورا مـنـهـا الـفـؤاد تـفـتـت
فـتـش عـلـيـهـا تـجـدهـا مـن الـنـسـاء تـأتـت

وأخيرا وليس أخرا أُعجبت أيما إعجاب بهذا البيت القديم للشاعر الأعشى الهمدانى، وهـو مـن الذين قتلتهم أشـعارهم، ومـن ضمن قصيدة عصمـاء له وهى من عيون الشـعر العربى قال:

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوت إنسان فكدت أطيـر

وقال أستاذنا «العقاد» فى الصبر:

إيه يا دهر هات ما عندك من مصائب وانظر عزمات الرجال كيف يكون
ما تعسفت فى بلائك إلا هان بالصبر منك ما لا يهون

وفى الختام.. اجعل كتابك عالما تختلف إليه.

❑❑❑

obeikandl.com

العقاد .. عبقرية علمية ..

من المسلمات.. وأيضا من البديهيات التى يلحظها البصر ولا تخطئها البصيرة أن السماء تبدو على البحر أعظم مما هى، كما لو كنت تنظر إليها من سماء.. لا من أرض؟.

ومن عجب أن السماء ذاتها – كما عبر أديب مصر مصطفى صادق الرافعى وهى فوقنا فى كل مكان – يرتحل الناس إليها فى الأماكن الخالية لى يروها مع أشياء أخرى فى هاتيك الأماكن فهى تبدو المرائى حينئذ. أكثر صفاء، وأشد نقاء وأبهى ضياء؟

وقد يكون مرد ذلك فيما نرى أن من يرى عن قرب لا يرى بوضوح فالإنسان بحاجة لكى يمعن نظره. وينعم فكره فى قيمة أى شئ أن يبتعد عنه قليلا حتى يتسنى له أن يراه من بعد على حقيقته وفحواه.

وقد باعد الزمن بيننا وبين عبقرى الفكر المصرى والعربى الأستاذ عباس محمود العقاد الذى رحل عنا فى مثل هذا اليوم منذ خمسة وثلاثين عاما بعد أن (ملآ الدنيا وشغل الناس) كما عبر عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين فى رثائه بجريدة الجمهورية آنذاك.. كان الأستاذ العقاد ولا يزال، بل وسيظل ملء الأرجاء والأجواء.. بيد أنه أصبح اليوم – بعد أن بعد عنا – كالسماء البادية على صفحة مياه البحر المترامى الأطراف تتسع وقعتها ويشف منظرها المرائى من بعيد. فهاهوذا العقاد العظيم يصبح كالمعين الصافى يفيض ولا يغيض – يتسابق الزمرة من البلغاء والمفكرين والأدباء.. ناهيك عن العلماء، فى الكتابة عن مواهبه المتعددة وأثاره المتوهجة. تؤلف عنه الكتب، بل والرسائل العلمية الجامعية التى تترى يوما يعد يوم عن فكره، وأدبه، عن شعره ونثره، فى شتى مناحيه، وفى مختلف فلسفته ومراميه.

وإذا كان (شيللى) قد اعتنق القول القائل: (وطنى هو العالم) فقد آمن العقاد بأن: (وطنه هو الكتاب).

ألم يعلمنا الأستاذ «أنه لا غنى للأديب أو العالم عن الإلمام بغير ثقافته الخاصة ـ ليصبح الحكم على حقيقة من حقائق المعرفة العامة؟».

ومن هنا دبج يراعه كتابه الجميل الجليل (فى بيتى) وجعل له مقدمة يقول فيها: «وبيت الكاتب هو العالم بما رحب»؟.

ألم يقـرأ، ويقـرأ حتى. فى الكتب العلمية المتخصصة.. حتى نـب أقرائه رفاق أترابه وجعل الزعيم سعد زغلول يصفه بأنه «جبار القلم»؟.

وانظـروا إليه وزعيم الأمة سـعد يعتب عليه والعقاد ينعى عليه نسـيانه لمسـألة حالة بالسودان الشقيق: لو عاتبنى كل فرد فى الأمة عتابك. لما نجوت من العقاب. ويرد العقاد العظيم: «ولكن لبس كل فرد فى الأمة يا باشا، هو عباس العقاد»؟.

ومـن أوجز وأشمل ما يمكن أن يوصف بـه العقاد أنه (أديب فى ثوب عالم. وعالم فى ثـوب أديب).. فهو على كثرة ما كتب وعلى وفرة إنتاجه الأدبى والشـعرى فإن الكثيرين يجهلون أن العقاد كان ذا ثقافة علمية خاصة عالية.. وأنه أول صاحب (منهج علمى) فى الأدب العربى الحديث؟

فهو أول من أثبت تأثير العلم على الأدب.. كما سوف نرى.

يقول العقاد : الثقافة اليوم تنقسـم إلى علمية وأدبية. بنى (عالم) لا يعرف شـيئا عن (هوميروس) و (فرجيل). وأديب لا يعرف شيئا عن المادة ونظان الأفلاك.

وكلاهما نصف إنسان أما الإنسان الصحيح فهو الذى يعرف العلم، ولا يجهل الأدب، أو يعـرف الأدب، ولا يجهـل العلم. وإن لم يبلغ منهما معا مبلغ التخصص والامتياز.. ثم يـردف قائلا: لقد قيل إن المتخصص نصف إنسـان. فقـل ولا حرج: كلا.. ولا هو نصف إنسان وإنما هو كما قال «نيتشه»: أذن كبيرة أو لسان طويل. تمشى به قدمان؟!.

ومـن هنا جاءت عبقرية العقاد العلمية التـى فاق بها المتخصصين وبز بها المتعمقين ـ فى مجال العلم نفسه.

فـكان أول مـن صحح مقالة (داروين) التى شـاعت وذاعت على ألسـنة الخاصة قبل العامـة والتى نسـبت إليه خطأ: (البقاء للأصلح).. ليعلنهـا أن داروين لم يقل بهذا وإنما قال «البقاء للأنسـب» وليس «للأصلح».. فإن الإنسـان يموت وهو الأصلح ويحيا الميكروب وهو الأنسب..؟. وعندما يعترض العقاد على تهليل بعض العلماء الأمريكيين على اكتشافهم نبت أخضر على سطح المريخ يثبت وجود حياة على أرض هذا الكوكب. فينبرى له أستاذ علم الفلك فى جامعة القاهرة – يريد أن «يدهشه» أو «يعلمه» أن هناك عالمين أحدهما يدعى (برسـيفال) والثانى يسـمى (لويل) قد قالا بهذا.. يرد العقاد على أستاذ الفلك: أن هناك عالما واحدا فقط وليس عالمين.

يدعى (برسيفال لويل)..؟؟ ثم يزيد أن ما أكده دكتور الفلك منفيا فى كتاب الثقات من الفلكيين.. وآخرهم أكبر عالم فى علم الفلك ويدعى (شباريلى) فى كتاب بلغ من ذيوعه وانتشاره أنه كان مثار التقريظات الصحفية والإذاعية فى أوربا وفى أمريكا.. والعقاد أول من كتب عن (البحث العلمى) فى (تاريخ الأدب) وسلط (قراءاته العلمية) على كشف أسباب وفاة أمرئ القيس وابن الرومى من الأقدمين وجمال الدين الأفغانى، وعبد الرحمن الكواكبى من المحدثين، فحلل أسباب وفاتهم باستخدام علم الطب. وعلى غير مادون عنها فى كتب السيرة وفى كتب التاريخ .. وهو نفسه العقاد الذى ألم به المرض. فرفض أن يعالج خارج الديار. (لأنه لا علاج له). وشخص حالته المرضية بدقة حتى أن عالما طبيا كبيرا هو المرحوم الدكتور أنور المفتى قال للكاتب الكبير أنيس منصور الذى كان أول وأخر من عاده: إن تشخيص العقاد لمرضه لا يعرفه واحد فى المائة من الأطباء المتخصصين.

وعندما مات العقاد ـ كتب الأستاذ أنيس منصور يقول:

«لقد قضى العقاد الطبيب، على العقاد الأديب؟!».

رحم الله العقاد – العالم الأديب – فى ذكرى رحيله.

❑❑❑

إبراهيم باشا .. قائد ثورة ١٩١٩ ؟!..

إنجلترا هى عاصمة بريطانيا.. والأميرة «ديانا» هى زوج ريتشارد قلب الأسد، وتركيا دولة عربية، والنيل ينبع من رشيد!.

هذا بالنسبة لمعلوماتهم العامة الثقافية. أما اللغة العربية فحدث ولا حرج؟ فمن جر للمرفوع، ونصب للخبر، إلى التقعر فى التعبير والخطأ فى الإملاء. ويكفى للدلالة على ما تردوا فيه أن أحدهم – فيما نشرته إحدى المجلات، طلب قردا من «القرود».. بينما كان يقصد قرضا من القروض!!.. ويبدو أنه كان يعلم سلفا أن اللغة العربية هى لغة «الضاد» فاستبدل «الضاد» «بالدال» ومن ثم يثاب على هذا اللغو فى اللغة، كما يثاب المرء بالنيات!!.

ذكرنى هذا المستوى المتدنى لهذه «العينات» من إجابات بعض خريجى «الجامعات» فى اختبارات القبول بالإذاعة المصرية، ووزارة الخارجية.. «ولم ينجح منهم أحد؟!»..

أقول ذكرنى هذا «بعينات» مماثلة من إجابات زملاء لهم من خريجى الجامعات فى اختبارات القبول «بكلية الإعلام» إبان فتح أبوابها لقبول أول دفعة بها منذ أكثر من ربع قرن مضى!.

وقد كنت أحد الذين تقدموا للانتظام بالدراسة فيها إذ أن باب القبول قد فتح بها لجميع الخريجين من التخصصات المختلفة من الجامعات المصرية لمقابلة الأستاذ الدكتور «جمال العطيفى» فى مكتبه بالدور الحادى عشر بجريدة الأهرام إذ أنه كان مشرفا على هذه الكلية. لنسأله عن نتيجة الاختبار. وإذا به ونحن جلوس إليه يزف إلى بشرى تفوقى فى هاتيك الاختبارات. وأننى حزت قصب السبق فيها وأن ثمة منحة دراسية بباريس، تنتظرنى بعد قليل.

ثم إذا بوجه الرجل يربد، ويكفهر، وهو يقول: إن مستوى إجابات المتقدمين للقبول بهذا المعهد العلمى وهم جميعا من حاملى الليسانس والبكالوريوس.. بل والماجستير كان هابطا. الأمر الذى ترك لديه أثرا غائرا ومحبطا.

فوجئت فى اليوم التالى لهذه المقابلة بمقال دبجه يراعه فى جريدة الأهرام معنونا بعنوان «أمية المتعلمين» من خلال امتحانات كلية الإعلام؟ عدد فيه االدكتور العطيفى،

الأخطاء التى وصمت هؤلاء المتقدمين بالجهل المميت، ووسمتهم بالتخلف المقيت. والأزورار عن تربية العقل الذى فضل الله به الإنسان على سائر المخلوقات. فمن قائل عن: «سيزا نبراوى» إنها أشهر راقصة فى مصر؟ ومن أجاب عن استفسار عن محمد عبده «الإمام محمد عبده» على أنه المطرب السعودى المعروف «محمد عبده»؟! ومن تطوع فوسد الزعيم أحمد عرابى كرسى الإدارة رئيسا لإحدى الشركات، ومن جهر دون خجل أن من يمتطى صهوة جواده فى ميدان الأوبرا المصرية هو قائد ثورة ١٩١٩؟!.

أما جوجول وتشيكوف وموليير وفولتير، فقد اختلط بشأنهم الحابل بالنابل!.

من المسئول عن هذا الداء، وأين يكمن الدواء؟.

اختلف البعض وتباين: فمن أرجع هذا إلى «انشغال» الأستاذ الجامعى عن الطالب قلبا وقالبا «بمسائل شخصية» ومن عزا ذلك إلى تقعر نظم التعليم سواء أكان فى المدرسة أم الجامعة ناهيك عن البيت وأن المسئولية «تضامنية» ومن أرتأى أن ما حدث إنما يقع أولا وأخيرا على عاتق الطالب نفسه وعلى كاهله.. لأنه «لايقرأ»؟ حتى بلغته القومية، وكان هذا هو رأى الدكتور عصام سالم رئيس جامعة الإسكندرية.

وما أرتأه ورآه رئيس الجامعة هو الصحيح!.

فالقراءة كما عبر فيلسوف الصين «كونفوشيوس» هى مفتاح الشخصية وسر قوتها، وتفوقها.

وفى نصيحة حكيم فرعونى لابنه: قد بلغنى أنك أهملت دراسة الكتب وأنك تتسكع من طريق إلى طريق.. ومن ثم أبعدت الناس عنك وسقت روحك إلى الهلاك، وأصبحت مثل المجداف المحطم فى السفينة لا يتجه إلى أية ناحية.. وطن نفسك على أن تكون «قارئاً» حتى تستطيع أن تدير العالم كله.

ومن وصية «جيتى» لابنه «بيبى» ليتنى أستطيع أن أجعلك تحب الكتب أكثر من أمك وليتنى أتمكن من أن أريك جمالها.. إنها أعظم من أى شئ أخر.

وها هوذا الدكتور أحمد زويل – عالم مصر الشاب الذى حصل على أكبر جائزة عالمية فى العلم من الولايات المتحدة الأمريكية يعود إلى مصر زائرا وفى يده جائزة المجد والفخار، وعلى رأسه إكليل الغار – يقول «أعطونى كتابا أقرؤه واتركونى بعد ذلك بمفردى على المريخ»؟!.

وتعالـوا معـى لننعم فكرنا، ونمعن نظرنـا.. فى هذه الصورة التـى رسمها أديب فنان لعملاق الأدب العربى الأستاذ عباس محمود العقاد. الذى مرت بنا ذكرى مولده ولم يحتف أو يحتفـل بهـا أحد.. بصور هذا الأديب الأسـتاذ العقاد بعد وفاتـه ـ وقد أنعم الله عليه بإدخاله الجنة.. فطفق الأسـتاذ العقاد يبحـث فى أرجاء الجنة عن كتاب يقرأه حتى إذا لم يعثـر علـى ضالته خرج من الجنة مغضبا وهو يقول : مـا فائدة الجنة إذا لم يكن فيها كتاب يقرأ؟!.

ذلـك لأن العقـاد العظيم كان ينفق جل وقته.. ويمضى سـاعات عمره بين الكتب ومع الكتـب يغـترف من معينهـا وينهل من منهلها، حتـى أصبح العقـاد العبقرى، صاحب العبقريـات.. أليس هـو القائل إننى أقيس أى إنسـان «بعدد» الكتب التـى قرأها.. ومن المأثـور عنه قوله الجميل الجليل: إننى أقرأ لا زهـدا فى الحياة، ولكننى أقرأ لأن «حياة واحدة لا تكفينى».. ومات العقاد.. وقد أضحى على حد تعبير الأستاذ أنيس منصور.. وهو الحاصل على الشهادة الابتدائية.. أعظم المفكرين – العرب – فى القرن العشرين.

ويا أيها الراسبون اقرأوا واقرأوا لأنكم لو كنتم قد قرأتم لما كنتم قد رسبتم؟!.

ألم يرد فى الكتاب المقدس «فى البدء كانت الكلمة»؟.

وألم تكن أول كلمة أنزل الله بها سبحانه وتعالى كتابه المبين كلمة «إقرأ»..؟!.

❑❑❑

يوم.. أن مات سعد زغلول (٢/٢)

وإن كان لنا أن نذكر لتبيان حب الشعب المصرى الجارف لسعد وإنصياعه إلى قيادته فإننا نذكر هذا الحدييث الذى سجله التاريخ.. فبينما كان سعد زغلول يعانى ظلمة المنفى جاءت إلى مصر لجنة «ملنر» فأصدر الوفد قرارا بمقاطعة هذه اللجنة على أساس أن المفاوضة يجب أن تكون مع سعد زغلول وحده.

«ملنر» لم يصدق أن المصريين جميعا قاطعوه.. وفى أحد الحقول النائية توقف ركب ملنر، ونزل الرجل ليحاصر بأسئلته فلاحا بسيطا، وهاك هو الحوار الذى دار بين ملنر وبين أحد فلاحى مصر:

س : اسمك؟

جـ : (صمت)!

س : هل أنت متزوج؟

جـ : (صمت)!

س : هل عندك أولاد؟

جـ : اسأل سعد باشا؟!

س : الساعة كم الآن؟

جـ : اسأل سعد باشا؟!

وأضطر الإنجليز إلى الافراج عنه وعاد إلى مصر واستقبل من شعب مصر استقبالا لم يعرف التاريخ له مثيلا حتى أن كاتبا كبيرا كتب عنه يقول « لو قدر للاسكندر الأكبر، أو نابليون بونابرت أن يشهد ما شهده سعد زغلول من استقبال الجماهير الهادرة له.. فماذا كان يتمنى لنفسه أكثر من ذلك؟!. ونشرت جريدة البلاغ آنذاك مانشيتا عريضاً معنونا منية المرشد – معقل الزعيمين فتح الله بركات وعاطف بركات – تحتفل بعودة أبنائها زعماء مصر من المنفى وتناقلت صحف العالم هذا المانشيت.

وعاد الثائر العظيم يكافح من أجل الدستور حتى صدر دستور ١٩٢٣ الذى جعل فيه حكم مصر لإرادة الشعب رغما عن ملكها أحمد فؤاد.. ثم ترأس مجلس النواب فشرف به

المجلس «وكان رئيسا له ولا كل رئيس» كما عبر المفكر الكبير عباس محمود العقاد فى مقال له عن سعد بعنوان « عظيم كل حياته عصامية».

وعندما حانت منيته فى اليوم الثالث والعشرين من أغسطس عام ١٩٢٧ انفجرت مصر عن بكرة أبيها صيحة واحدة بالتشنج والبكاء المر، فلم يكن أرهب من ذلك السكون إلا هذا البكاء الذى اتصل مداه فى لحظات معدودات بكل مكان فى القاهرة وكل مكان فى أرجاء البلاد حيث كان كل نبأ منظورا فى تلك المرحلة من مراحل السياسة المصرية إلا موت «سعد زغلول»، فالدستور قائم لا يُعلم مصيره والمفاوضات على القضية المصرية ماضية لا يُعلم مصيرها والمساعى كثيرة والعروض أكثر وسعد وحده هو ميزان الأمور بعد ذلك البحر اللجى من المساعى والفروض على أن الناس بغتوا بالروعة فى غير تفكير ولا انتباه لحقيقة ما يروع، يستوى منهم من يكترث بالسياسة ومن لا يكترث لها أقل اكتراث، بالنبأ المخيف وهذا مصرى ساقته قدماه مسرح من مسارح الغناء لا يقصده الرواد إلا للهو والمجون، وتوسط الجميع ثم وقف وصاح وهو لا يدرى لِمَ يحمل النعى إلى ذلك المكان وهو يقول: أيها الإخوان: البقية فى حياتكم (الباشا مات) فمَا لفظ بها حتى صرخت المغنية – التى كانت تتلوى بالغناء – وألقت بالعود من يديها وولت هاربة ووجم الحاضرون هنيهة ثم تسللوا مجتمعين ومتفرقين خارج دار الغناء.

وكانت القاهرة كلها محشورة بين بيت سعد زغلول والمقبرة – من دار سعد إلى قبر سعد. آفاق الناس وهم يتسألون: سعد يبرح داره؟!. سعد مفارقهم إلى غير لقاء؟! ياللهول القاسم وياللفزع الأكبر وجاءت لهم الحقيقة جائحة فادحة فى صورة ذلك النعش الأخضر ينحدرمن بيت الأمة فى تؤدة وسكون نعش سعد وفيه سعد؟!.

وكانت لحظة كاش فيها ودفن فيها حلم الحليم وصبر الصبور، وكانت القاهرة – بغير سعد – القاهرة اليتيمة وكانت أشبه بوحشة القبر، وهذا ما سجله «العقاد» فى كتابه «سعد زغلول سيرة وتحية».

مات سعد زغلول فبكته مصر كلها بدماء قلبها، وعصارة فكرها ويعبر أدباؤها وشعراؤها عن الحدث الجلل فينشد «شاعر النيل»:

إيه ياليل هل شهدت المصابا كيف ينصب فى النفوس انصبابا
بلغ المشرقين قبل انبلاج الصبح أن الرئيس قد ولى وغابا

وانــع للنـيرات ســعدا فسعـــدٌ كان أمضى فى الأرض منها شهابا
قل لها غاب كوكـب الأرض فـى الأرض فغيبى عن السماء احتجابا

وينشــد: «أمير الشــعراء» الذى كان غائبا عن الوطن – آنذاك – معبرا عن حزنه لموت سعد وتلقيه نبأ وفاته وهو بعيد عن الوطن:

شيعـوا الشمـس ومالـوا بضحاها وأنحنى الشـرق عليهـا فبكاهـا
ليتنـى فـى الركـب لـما أفلـــت يشـوع، همـت فنـادى فـثنـاهـا

وتدبيج يراع العقاد فى ذكرى الأربعين له:

حملـــوا علـى المدفـع مدفعـــا الأساطيـل اتقتـــه والحصـــون
فتـــرة التيـــه تغشـــت أمـــة غاب موساها على طـور سـنين

وتكتب التايمز الإنجليزية عنه مقالا معنوانا: مات الأسد المصرى..
فسلام على سعد فى الخالدين.

❑❑❑

يوم .. أن تعانق الهلال مع الصليب .. ؟!

الأيـام كالأنـام.. تولد وتحيا وتموت.. شـأنها شـأن جميع الكائنـات الحية يدركها الموت،ويرد عليها البلى والفناء!.

بيـد أن ثمـة أياما، وكذلك أشـخاصا. تولد، لكى تحيا وتظل هكـذا حية فى ضمير الزمن.. وفى ذاكرة التاريخ.. حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ومـن الأيـام الخوالد – وما أكثرها فى تاريخ مصـر! – التى عنت لها الجباه، وكتبت لها الحياة، ما خطه الدكتور «محمد حسين هيكل» باشا فى الجزء الأول من «مذكرات فى السياسة المصرية» يقول عنه:

كان ذلـك ليلـة اليوم الثامن شـهر مارس سـنة ١٩١٩، وكنت ذلك اليوم مسـافرا إلى القاهـرة لألقى محاضرات بالجامعة المصرية صبيحة ٩ من مارس، وكان النبأ بالقبض على الباشـوات الأربعة واعتقالهم، قد سـرى فى أنحاء العاصمة، وانتقل منها بسرعة البرق إلى أنحاء الأقاليم، وكان الجميع، إنجليزا ومصريون وأجانب، ينتظرون ما عسى أن يكون رد الفعل لهذا القرار الذى اتخذته إنجلترا إزاء من ينادون باستقلال مصر.

فلما أصبحت يوم ٩ مارس ذهبت فى السـاعة التاسعة إلى الجامعة، وكان مقرها يومئذ بميـدان الأزهار «الفلكى الآن» فـإذا هى خلاء ليس فيها طالب واحد، وصعدت إلى الطابق الأول فألفيت محمد بك وجيه سـكرتير الجامعة بغرفته المطلة على الميدان وكانت سـراى البسـتان، حيث يقيم السلطان فؤاد، تجاور الجامعة وتطل عليها نوافذ مكتب وجيه بك، فلما دخلت عليه حيانى وعلى وجهه ابتسامة وقال إن طلبة الجامعة وطلبة جميع المدارس العليا والثانوية مضربون احتجاجا على اعتقال رئيس الوفد وأعضائه.

جلسـت إليه أتحدث معه، وأشـرب القهوة عنده، وإننا لنتحـدث إذ رأينا من نافذة الغرفـة منظـرا يأخذ الأبصار فقد امتلأ ميدان الأزهار كلـه بالمتظاهرين من جميع الطبقات طلابا وعمالا وأفندية، وفى أيدى كثيرين منهم فروع أشـجار ضخمة اقتلعوها من الشـوارع التـى مروا بها. وإذ هم يميلون على عربات الـترام التى تمر بالميدان يحطمونها ويقلبونها هنالك قلت: لقد أطلق الحيوان الناطق من جميع قيوده، ولم تمض لحظات بعد ذلك حتى

رأينـا قوة من الجنود الإنجليز تحاصر قصر البسـتان مخافـة أن يدخل المتظاهرون بميدان الأزهـار – ثم اندفعوا إلى ناحية شـارع القصر العينى، ولم تغـرب شمس ذلك اليوم حتى جاءت الأنباء أن الاضطراب سـاد البلاد المصرية كلها من الإسكندرية إلى أسوان وأن منوره عجباً! انتشـرت فى كل مكان، وأن خطوط السـكك الحديدية أتلفـت وكثيرا من خطوط التلغراف قطعت، وأن الانتقال من العاصمة أو إليها أصبح مستحيلا.

فى هذا الوقت العصيب كانت الأنباء ترد فيه بين سـاعة وأخرى بوقوع الاشـتباك بين الجنـود الإنجليز والمتظاهرين المصريين بالقاهرة اشـتباكا تجسـم الأنباء نتائجه من القتلى والجرحـى وقـد تمردت بعض قرى الجيـزة القريبة من القاهرة فعاقبهـا الجنود الإنجليز باسـتباحتها واحراقها وانتشـر الخبر بذلك وترتب على انتشاره أن أحاط الأهالى المصريون بجماعـة من الجنـود البريطانيين وقف بهم القطار بمحطة فقتلوهم وشـربوا من دمائهم، وأعلنـت بعـض الجهات النائية بعض الشـئ عن القاهرة اسـتقلالها، واحتل شـبان من المحامـين دواوين الحكومة، وتولوا بأنفسـهم أمور الحكـم والمحافظة على الأمن والنظام وأضربنا نحن المحامين فى أنحاء القطر جميعا احتجاجا على تصرفات السلطة البريطانية، وكنا نذهب كل صباح إلى منزل سـعد زغلول باشـا حيث يجتمع أعضاء الوفد، نتلقى من هناك أنباء ما حدث بالأمس، ونرتب عليه نتائجه فى تصرفاتنا.

أندلع لهيب الثورة وامتد فى كل مكان ولم يقتصر على المتعلمين ولا على الشباب، بل اهتزت به جميع القلوب وتحرقت استجابة له الجوانح والافئدة، حتى السيدات، اللواتى كن يومئذ محجبات مقصورات فى خدورهن، أبى عليهن شـعورهن الوطنى أن يبقين غير مشـتركات فى هذه الثورة القومية القوة، فخرجن مؤتزرات متظاهرات سيرا على أقدامهن إلى منزل سعد باشا، الذى أصبح حقا وفى هذا الظرف بيت الأمة، وكذلك تحطمت الفوارق فى التفكير والشعور بين الطبقات .. والحرص الخالص على التخلص من حكم الإنجليز.

كذلـك أصبحت مصر فى اليوم التاسـع مـن مارس عام ١٩١٩ بعد أن ظلت حبيسـة الإحتـلال الـذى ناء عليها بكلكله، هى فى كفاح ومراس حتى جاءت القارعة من شـعب برمته كان يتلظى فجاء اعتقال سـعد الذى لم يكن عقلا فحسـب ولكنه كان عقلا وروحا، وصوتا وجسـما وحركة وسـكونا تسرى فى الآلاف بل عشـرات الآلاف، كما عبر الدكتور محمد بهى الدين بركات باشـا فـى مقال له عنه، فالتف الشـعب حوله وأحاطه إحاطة

السوار بالمعصم، فجاء اعتقاله هو وصحبه بمثابة الشرارة التى أوقدت فيه نار الثورة.. هذه الثورة التى أظهرت شعب مصر بمظهر الوحدة السياسية المتكاملة وكان الإخاء بين الهلال والصليب، وكان الاتحاد المطلق فى الجهاد والتضحية والفهم بين المسلمين والأقباط كما دون الأستاذ محمد زكى عبد القادر فى كتابه «محنة الدستور» وكان امتزاج السعى بالاستقلال التام أو الموت الزؤام فى سبيله بين عنصرى الأمة دون تفريق أمام إنجلترا التى جابهها سعد بهذا التحدى وهى الدولة الأولى فى العالم المنتصرة فى الحرب التى يركع العالم عند قدميها وهى توزع الأسلاب، وجنودها ليسوا بعيدين، بل هنا فى قلب القاهرة. كما عبر الأستاذ أحمد بهاء الدين فى كتابه القيم «أيام لها تاريخ» ولم تكن الثورة تقتصر على منطقة واحدة ولكن الجامع الأزهر كان المركز الرئيسى لها منه تنطلق القذائف الثورية فى شكل موجات من البشر فقد كان يؤم أفراد الشعب من جميع الطبقات ورجال الدين على اختلاف نحلهم ومللهم حتى النساء كن يعقدن فيه المؤتمرات الوطنية ويلقين فيه الخطب الحماسية وقد اشتهر من خطباء الأزهر فى تلك الأيام العاصفة مصطفى القاياتى والقمص مرقص سرجيوس والقمص بولس غبريال، والطلاب إبراهيم عبد الهادى وشكرى كرشاه وزكى مبارك، وغيرهم من الشباب المثقف وتكونت لجان الثورة لتلعب دورها وتؤدى رسالتها.

روى راغب إسكندر فى ذكرياته عن الثورة فقال: إن لجان الثورة ظلت تعمل بانتظام دون أن يصيبها الكلل أو الملل ودون أن يعرف زميل زميله فى الخلية الأخرى حتى إنى لم أكن أعرف أن أخى نجيب إسكندر كان يعمل فى إحدى الخلايا الأخرى.

وكان كلانا لا يعرف أين وكيف يعمل الأخر، وكانت خليتى مؤلفة من أحمد ماهر والنقراشى والشيخ مصطفى القاياتى وأنا، وكان أعضاء هذه الجمعيات يوزعون المنشورات فى المدن والقاهرة وهم متنكرون بعضهم، يرتدى القبعة ليُحسب من الأجانب فلا تتجه إليه الشبهات.. وكان منهم الطالب توفيق صليب.

وكان من أعظم السمات التى اتسعت بها ثورة ١٩١٩ أن الفلاحين اشتركوا فيها، فكانت ثورة عامة تجمع بين الباشوات والموظفين الكبار والصغار والفلاحين وسكان المدن، وكان من أعظم هذه السمات – أيضا – اشتراك الأقباط والمسلمين فيها، واتحادهم جبهة واحدة للمطالبة بالجلاء. وكان خطباء المسلمين يخطبون فى الكنائس وخطباء الأقباط يخطبون فى المساجد، يدعون إلى ذلك الهدف الأسمى المشترك، كما ذكر الأستاذ سلامة موسى فى كتابه «الثورات».. وما أكثر ما كان الطلاب والعمال المصريون يتساقطون أثناء

مظاهراتهم فى شوارع القاهرة والإسكندرية تحت رصاص الجنود الإنجليز، فلا ينثنون عن هدفهم، ولا يرتدون عن غاياتهم والراية المصرية مرفوعة بينهم تنتقل من يد إلى يد، كلما صُرع حاملها سارع رفيقه لرفعها مكانه رمزا للعزة القومية والكرامة الوطنية والإباء العظيم.

ولم يقتصر ضحايا الثورة على ألوف القتلى والجرحى الذين استشهدوا فى ميادين الكفاح، إذ كانت المحاكم البريطانية تدفع بين حين وأخر بعشرات الضحايا إلى ساحات الإعدام، فأعدموا ١٤٦ من أفراد الشعب و زجوا ١٢١٣ مصرى إلى ظلام السجون.

ملمح من ملامح ثورة ١٩١٩ التى يواكب ذكراها اليوم التاسع من مارس فى كل عام.. هذه الثورة قوضت أركان إمبراطورية كانت تتسع ولا تتقلص ـ على نحو ما ذكر (قلعجى) – وكانت جنودهم من شتى الأجناس ومن كل فئات الناس بعتاد الحرب الثقيل يمشون مختالين فخورين يلقى الخلق فى ظلهم الكئيب، وقلبهم العليل، الموت والأهوال، لا يعرف أحد من فى أبناء مصر معهم حرية ولا استقلالا، ليس لهم من شأن سوى سفك الدماء، وقتل الأحرار الأبرياء، يتنمرون لشعب أبى «لا يطيق دفاعاً» وإذا به يخرج من قمقمه ماردا عملاقاً يعيى العدو «شجاعة ومصاعاً» ويهد منه معاقلا وقلاعا يضحى بثورته وعزته للشرق كله حتى إن الزعيم العظيم المهاتما غاندى قد قال:

«لقد تعلمت الكفاح من سعد» ثم يقول: «إننى تتبعت سيرة هذا الرجل القدير منذ ثورة ١٩١٩ وحتى الأن، وإننى أراه قدوة وأعده بمثابة أستاذ. وعن سعد أخذت توحيد العنصرين ولكنى لم أنجح كما نجح هو فيه. إن سعدا ليس لكم وحدكم ولكنه لنا أجمعين».

هذه هى ثورة ١٩١٩ التى تعانق فيها الهلال مع الصليب، تثبت للعالم كله أن مصر نسيج واحد لا فرق فيها بين مسلم ومسيحى، فالدين لله والوطن للجميع.

ولله در الشيخ محمد عبد المطلب فيما قال:

بنينا على آداب عيسى وأحمد ... منازل عز دونها يقع النسر
فنحن على الإنجيل والذكر أمة ... يؤيدها الإنجيل بالحق والذكر
لنا كل ما فى مصر والحق قائم ... تؤيده الأيات والحجج الغر
فلن يستطيع الدهر تفريق بيننا ... وإن جر قوم بالسعاية ما جروا
كلانا على دين به هو مؤمن ... ولكن خذلان البلاد هو الكفر
فلا يحسبن الناس أنا تزلزلت ... بنا قدم أو مس وحدتنا الضر

يوم .. أن غرقت إيلات .. !!

كما يولد الخير من الشـر. ويشـرق النور من دياجير الظلام، ويهمى الماء. من السحب الداكنـة السـوداء، وكما يهل القمر بسـناه فى الليلة المدلهمة الظلمـاء.. جاء يوم الحادى والعشرين من أكتوبر عام ١٩٦٧.

ولله در الشاعر الأستاذ محمد البحيرى حينما قال فى قصيدته

وقد يجرى الله الخير بيد من كـان يضمر لك الشرا

وسجل الجنديان المصريان البطلان النقيب أحمد القارح رحمه الله، والرائد « اللواء «لطفى جاد الله» اسميهما وقبلهما اسم مصر فى سجل الخلود بهذا العمل البطولى الفدائى الخارق. فقـد تمكن كل منهما بصـاروخ أطلقاه من «لنش» يركبانه على هـذه «المدمرة إيلات» فخر البحرية الإسرائيلية، والتى كانت عائدة. أنذاك. لتوها من إنجلترا، مزودة بأحدث، وأغلى تكنولوجيا متطورة فى العالم وفى تسليح البحر.. فما لبثت «المدمرة» غير قليل حتى وارتها الأمواج، وابتلعها اليم الذى أطبق عليها – بعد انفجارها – من كل حدب وصوب!!.

ولم يكـن بحسـبان إسـرائيل – قبل إغراق المدمرة «إيـلات» – أو يدور بخلدها أن تفيـق مصـر من النازلة التى نزلت بها – غيلة وغدرا – فى يونيو ١٩٦٧ ناهيك عن أن وزير دفاعها المتعجرف «موشـى ديان» كان قد صرح فى الكنيسـت الإسرائيلى بقوله: «إننى لن أسمح لأى صرصار مصرى أن يدخل إيلات».. ودخلت «صراصير» إسـرائيل من بعدها شقوقها!!.

وأصيبت إسـرائيل فى مِقتل، واهتز كيانها والتـاث عقلها وفقدت توازنها. فقد أجج غرق إيلات فى أحشـائها لاعج النار، وتكسـر العود الذى كانت تعزف عليه والأوتار. وأحسـت بـأن الجيش المصرى ممثلاً فى بحريته، قد هب مـن رقدته وصحا من غفوته، فقد فقدت بفقدها إيلات نصف البحرية الإسـرائيلية كما حدد الخبراء، وفقدت إسرائيل معها نصف عقلها.

ولقد أثبتت مصر بهذا العمل المجيد الذى تناقلته الصحف والإذاعات العالمية مقدرتها القتاليـة وقدرتها الحربية، وإنها قادرة على التحدى والتصدى لكل من تسـول له نفسـه

التعدى على حرمة ترابها أو أن يجوس فى أرضها.. حتى حررته وطهرته فى حرب أكتوبر المجيدة عام ١٩٧٣؟!.. وفقدت إسرائيل فى هذه الحرب النصف الثانى من عقلها.

تحيــة إكبار وإجلال للبحريــة المصرية فى هذا اليوم الأغر. الـذى هو يوم «خالد» فى تاريخها. فى عيد نصرها ومجدها، وما النصر إلا من عند الله.

obeikandl.com

وداعا .. فارس الكلمة الحر ة ..

وداعا مصطفى أمين صاحب المدرسة الصحفية التى أصبحت نبراسا لصحافة الشرق، وإذا كان القدماء قد تواتروا على إطلاق اسم المدرسة على كل من له منهج ومنهاج، فأنت المؤسس لصحافة حرة تركت بصماتها على جبين مصر.

التقيت الكاتب الكبير مرتين : الأولى عندما كنا مدعوين، والدى وجدى واللواء «عاطف بركات» – رحمهم الله –، لحضور حفل قران ابنة المرحوم عبد الله «بك» بركات ابن المغفور له «فتح الله باشا بركات» أحد أبطال ثورة ١٩١٩، والذى نُفى مع خاله الزعيم خالد الذكر «سعد زغلول» إلى جزيرة سيشل عقب اندلاع الثورة المصرية الكبرى ١٩١٩.

جمعتنا مائدة واحدة، وكان بصحبته شقيقه الصحفى الكبير «على أمين» وتتقدمهما السيدة «أم كلثوم».

وكان حديثه معنا حديثا جزلا جمع بين الصحافة والأدب.

والثانية كان بمناسبة عقد قران كريمة الأستاذ «عادل أغا» الذى ذكره الإمام الشيخ «الشعراوى» فى حديث له معى وبإنه باستثماراته وأمواله التى رصدها للخير كان سببا فى فتح أربعين ألف بيت فى نيجيريا.

هش وبش عند رؤيته لى واستقبلنى بترحاب مازال صداه يتردد فى نفسى حتى الآن.

وبالأمس ودع «مصطفى أمين» الحياة بعد أن ملأ الدنيا وشغل الناس، وكان أستاذا لأجيال عديدة من الصحفيين الموهوبين فى مصر بل وفى العالم العربى، وقد كان إماما. وكذلك كان قيمة ومكانة بالثقافة المتباينة، والشجاعة الفائقة والرأى الحر.

زج به فى غيابة الجب إثر مؤامرة مكشوفة، ووضع فى زنزانة باردة مظلمة، بين القتام والرغام والبلاء، بعد أن كان يعيش بين الملوك والرؤساء والكبراء، وخرج من محبسه عملاقا قويا راسيا كالرواسى من الجبال، ومن يقرأ الرسالة الوثيقة كما أطلق عليها الأستاذ «محمد حسنين هيكل» والتى بعث بها إلى الرئيس الراحل «جمال عبد الناصر» يشرح فيها له أسباب براءته من التهمة الجائرة التى أراد زبانية الشر أن يصموا بها شخصه وتاريخه يتيقن إنه برئ براءة الذئب من دم ابن يعقوب منها. وكان لسان حاله فى هذه الرسالة لا يقول مثلما

قال «روبرت أوبنهايمر» أبو القنبلة الذرية، للرئيس «هارى ترومان» عقب إلقاء القنبلة الذرية على هيروشيما ونجازاكى: «سيدى الرئيس إن يداى ملطخة بالدماء»! فلم يلوث مصطفى أمين يداه بهذه التهمة الشنعاء، فقد كان وطنيا أبيا ينهض على مصلحة وطنه وبلاده.

ومن قرأ عن (الرحلة الغامضة)، كما أسماها هو، يجوب بها البقاع والأصقاع فى طائرة عسكرية مرسلا من قبل الرئيس الراحل «جمال عبد الناصر» إلى بعض البلدان ليدافع عن مصالح مصر مع تعرضه للخطر المحيق يعرف كيف كانت وطنية مصطفى أمين.

وقد أمر الرئيس «محمد أنور السادات» بإطلاق سراحه بعد تأكده من برائته وقد مسحت أعلى محكمة فى مصر عن جبينه هذه التهمة النكراء، بعد خروجه من محبسه طوال تسع سنوات لاقى فيها العذاب والهوان.

مصطفى أمين هو القامة المشرئبة فى عالم الصحافة وعالم الوطنية والتى طالما نافح وكافح من أجلها، لكى تنعم مصر بها.

مات مصطفى أمين وهو فى أوج تألقه، وبموته فقدت مصر ابنا بارا من أبنائها المخلصين قلما يجود الزمن بمثله.

وداعا فارس الكلمة الحرة..

❑❑❑

وداعا محمد وجدى عبد الصمد

قطوف يانعة من سيرته العطرة التى حوت ووعت.. أسرد هاتيك النتف المتفرقة منها.

فهــو صاحب الكتاب المتفرد (الاعتذار بالجهل بالقانــون) الذى أضحى مرجعا للعلماء الثقــات فيما لو أرادوا أن ينهلوا من منهله.. المبــدأ الضارب فى القدم منذ عهد الرومان.. فالســؤال الذى يثــور.. هل يعتد بهذا الجهــل بالقانون إعمالا لاعتبــارات العدالة أم يتم التجاوز عنه؟.

والجهل ببســاطة هو نقيض العلم والجهل بالقانون يعنى عدم العلم بحكم القانون على وجهه الصحيح فبينما يرى البعض أن ثمة تفرقة بين الجهل والغلط ليست سوى تفرقة فى الدرجة فقط دون الطبيعة بحسبان أن الجهل هو غلط كلى والغلط هو جهل جزئى وكلاهما كما عبر الأستاذ الدكتور عوض غازى، يعنى انتفاء المعرفة الصحيحة وإن كان الجهل يمثل غيابا تاما لهذه المعرفة والغلط يمثل عدم كمالها.

فالقاضى الذى يطبق القانون قد يكون جاهلا لبعض قواعده أو تعديلاته المتلاحقة بدون ضابط، آية ذلك الكثير من الأحكام القضائية التى ثبت عوارها أمام المحكمة الأعلى.. بل إن المشرع نفسه قد يقع فى هذا العوار بعدم قدرته على مايطرأ من التشريعات التى أصدرها سواء بالتعديل أم بالإلغاء.

ويرى القاضى الفقيه وجدى عبد الصمد أنه فى فقه الشــريعة الإســلامية يشترط لصحة التكليــف أن يكــون المكلف به معلوما للمكلف علما تاما – أى يقينيا – ليتســنى له القيام به.. وهذا ما ارتآه شــيخ شيوخ مجلس الدولة العلامة الدكتور عبد الرازق السنهورى حيث ذهب إلى أن الجهل بالقانون يصلح عذرا إذا لم يصحب الجهل تقصير.

هذا الســفر الرائع للمغفور له محمد وجدى عبد الصمد يفصح عن عقلية القاضى العالم الــذى زاوج بــين الفقه والقانــون.. فالقاضى الذى يعتمد على ضميره وعقله لا يشــعر بأية غضاضــة فى تطبيق ذلك المبدأ القويم المســتقيم.. فالبحث عن الحقيقــة أمتع من الاهتداء إليها.. وإن كان من المحرم على القاضى أن يتناول النص القانونى بالطعن أو التجريح كما ذهب الفقيه (رانسون).

وهو صاحب الجرأة المحمودة وهو يجأر أمام الرئيس الشهيد أنور السادات قائلا له فى حفـل أقيم بنادى قضاة مصر، وبصوت جهورى يغلفه دماثة الخلق: فإذا غضبت فاغضب من نفسـك أنت، وكان القاضى الفقيه يطالب الرئيس السادات أن يمحو عن جبين القضاء القوانين التى وصفت آنذاك.. بالقوانين سيئة السمعة.

وهو صاحب الأريحية التى تذكر فتشكر وصاحب الوفاء الذى يندر وجوده بين البشر.. فالوفاء خلة الأقوياء.

منذ نيف وثلاثين عاما التقيته فى نادى القضاة عندما رآنى رحمه الله هش وبش بوجهه الكريـم مبتدرا إياى قائلا: أهلا بابن أسـتاذنا صاحب مقـال (اليمين).. ثم أردف قائلا: لقـد عبر والدك عما جاش فى صدور القضاة برمتهم بمقاله القيم ذاك.. وكانت الدولة التى خاصمـت القضاة وعسـفت بهم قد أبدلت القانون الذى يقضـى بأن يحلف رئيس محكمة النقض اليمين أمام رئيس الجمهورية حال تسـلمه لمنصبه الرفيع إلى أن يحلف اليمين أمام وزيـر العـدل.. فتصدى المرحوم الوالد لهذا العبث بمقال نشـرته جريدة الأخبار الغراء فى يوميات المرحوم الأسـتاذ أحمد الصاوى محمد تحت عنوان (شـئون قضائية).. ورد فيه أن هذا التعديل الذى حدث فيه خروج على القانون ومألوف العرف وفن التشريع.. وإلا فكيف يحلف وزير أمام وزير، ويزيد من وقع ذلك على النفس أن كان هذا الوزير رئيسـا لإحدى سلطات الدولة الثلاث التى لها خطرها وجلالها وقدسيتها؟.

إنها خلة الوفاء التى لا تتوافر إلا فى الصفوة المختارة من البشر.

رحم الله والدى ورحم الله أسـتاذنا جميعا وشـيخ شيوخ القضاة المستشار محمد وجدى عبد الصمد.. وعوض القضاء خيرا عن فقدانه..

❑❑❑

وداعا .. شيخ الدعاة .. ؟!

مات الشـيخ الشـعراوى!. مات إمام الدعاة. مات الذى أكرمه الله ورفع ذكره واسمه فى أرضه وفى سمائه؛ مات الذى كرم الله مثواه.. مات مجدد الفكر الدينى فى مصر وفى العالم العربى والإسـلامى فهو المجدد الخلاق.. والمبدع الألاق بعد الإمام محمد عبده طيب الله ثراه.. وثراه!

زرته فى بيته بميدان سـيدنا الحسـين – رضى الله عنه وأرضاه – بدعوى كريمة منه حملهـا إلى قريبـه، وصديقه، الدكتور محمد عبد البر، وما كان لى إلا أن ألبى دعواه، وأن أحبو حبوا إلى لقياه!.

احتفى بى رحمة الله عليه احتفاء كبيرا، أنا ومن كان فى معيتى، وجلست إليه وجلس إلى كريمـا وتحادثنا، وتحاورنا. أصغى إليـه، حيث يجلس قبالتى.. بأذنى وعقلى.. وهو يسـمع منى ويستمع إلى بقلبه وعقله، وثاقب فكره، وعرجنا فى الحديث على تفسير كان الأسـتاذ الكبير عبـاس محمود العقاد قد كتبه بخصوص آية كريمـة وردت فى كتاب الله ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ [سـورة آل عمران – الآية ٢٠]، وقد فسر الأستاذ العقاد هـذه الآية تفسـيرها الصحيح قائلا فى مقال له تحت عنـوان «خطأ يتحدى الصواب» إن المفسـرين درجوا على تفسـير هذه الآية بأنها تعنى: قل يا محمد لمن نزل عليه الله القرآن الكريم.. وقل للجهلاء إلى آخر ما ورد بمقاله القيم وارتأى أن التفسير الصحيح لهذه الآية أن الله يأمر رسوله الكريم بأن يقول لمن نزل عليه القرآن وجميع الناس وليس الأميين الجهلاء كما ذهب المفسرون أو بعضهم.

وبعـد أن انتقل الأسـتاذ العقـاد إلى الرفيق الأعلى، نقلت عنه هذا التفسـير فى مقال لى بجريـدة الأخبار بتعقيب منى على مقال كتبه أحد أسـاتذة الأزهر الأجلاء وهو المرحوم الأستاذ الدكتور «الطويل»، فقامت الدنيا ولم تقعد حتى إن بعض شيوخنا الإجلاء هاجمونى من فوق المنابر فى المسـاجد، وكنت آنذاك ـ قاضيا بمحكمة الأقصر، وما أن فرغنا من هذا الحديث حتى ألغيته وهو يؤيد – بشـدة – ما ذهب إليه أسـتاذنا العقاد، ويقول: لقد كان الأسـتاذ العقاد أديبا كبيرا ومفكرا فذا، وقد تتلمذت على يديه، وقد أدى خدمات جليلة

للإسلام والمسلمين.. وهكذا يقدر الرجال الرجال، ويعرف الأقيال، الأقيال؟!.

وذهبت إليه فى بيت صديقه الأستاذ «لاشين» وكان ذلك فى شهر رمضان، و قد أصابنى آنذاك – ابتلاء شـديدا فأمسـك رحمة الله عليه بيدى بكلتا يديه وهو يدعو لى دعاء طيبا ويحثنى على الصبر. فإن (النصر مع الصبر).

وشددت الرحال إليه فى استراحته قبالة ضريح السيدة نفيسة – رضى الله عنها – وأنا الـذى ذهبـت إليه لكى أعوده فإذا به يكرر لى ذات الدعاء متوجها بكلتا يديه إلى السـماء بدعاء لى ولابنى الصغير، الذى كبر الآن، وأصبح قاضيا فى مجلس الدولة، وابن شـقيقتى خالد بركات الذى أضحى رئيسا لإحدى المحاكم ذهبنا لكى ندعو له.. بيد أنه بدعائه لنا صحـح الدعـاء لأنه هو إمام الدعاة.. من الله به علينا فى الدنيا والآخرة، وله الأجر الكبير بكريم الرجاء.

كان رضى الله عنه جليلا، مهيبا، عالما، أديبا.. سمحا فسر القرآن الكريم تفسيرا عبقريا. دقيقا، جميلاً. بزَّ به المفسرين وتفوق به على الأولين وملأ به الدنيا وشغل الناس.

مات الشـيخ الشـعراوى بعد أن خُلد بما قاله وكتبه فى الخالدين وبعد أن أفاد بعلمه الإسلام والمسلمين فى شتى البقاع والأصقاع، وأصبح علامة بارزة فى مصر، وفى العالم كله من علامات القرن العشرين وغيره من القرون.

❑❑❑

هكذا كانت مصر ..

قرأت الأبيات الشعرية التالية للمرحوم الشاعر محمد الأسمر فرأيت فيها تصويرا دقيقا لمصر قبل الثورة.

فانظر معى وتأمل كيف كان الحال فى مصر؟ وكيف كانت الأمور تسير وتصير؟.

تـروح وزارة وتجـى أخـــرى ... ومصر تقلب النظـرات حـيـرى

فيـا وزراء مصــر بكـل عهـد ... لقـد مـل الروايـة شعب مصـر

أجمجـم بالمقـال، وإن أشـفـى ... لنفسـى أن أقـول القول جـهـراً

أرونـى شـاعرا حـرا يـغـنـى ... بـمـا أهوى، فلست اليوم حـرا

تعشــقنا مصالحــنا وهـمـنـا ... بها، ومصالح الأوطـان أحـرى

فواحزنا لمصر جرت رحيقـــا ... لمعتصـــر يجرعهـــا الأمـــرا

عـجبـت بها تفيض بكل خير ... ولا تلقى عـلـى الأيـام خـــيرا

كانت الوزارات تؤلف فى مصر وتجىء. ثم تغيب دون نظر إلى مصلحة الشعب فتكتفى من الذهاب إلى دســت الحكم بالخروج منه، فلا يرضى الملك وحاشــيته إلا ذاك، فتضيع مصلحة الشــعب ويختل نظام الحكم فى مصر المحروســة اختلالا غير مسبوق وبرعونة لم يعرفها العالم من قبل؟!

❑❑❑

نقطة الماء.. تقدر بنقطة الدماء .. ؟!

الذى لا مراء فيه – أن نقطة الماء أصبحت توازى نقطة الدماء كما ذهب «كليمنصو» رئيس وزراء فرنسا، منذ سنين طويلة خلت.

وقد أفصحت الإحصائيات عن أن ما يقرب من مليار نسمة أو يزيد من سكان الأرض يعيشون على سطح كوكب الأرض وليس بمكنتهم الوصول إلى المياه النقية.. وفى بعض البلدان مثل – الهند – فإن نقص المياه الجوفية سيؤدى إلى انهيار الزراعة فيها.. وفى الصومال – فى المناطق الريفية – فلابد من السير ثلاث ساعات يوميا من أجل الوصول إلى ماء شرب نظيف؟!.

طفق العلماء يبحثون وينقبون عن الأسباب فألْفوا علتها فى السرف فى استعمال المياه فقد شح الماء فى شتى البقاع والأصقاع نتيجة ذلك، وأمست قلته مع الزيادة المطردة فى السكان تمثل خطرا داهما على الجنس البشرى هى أخطر عليه من أثار القنبلة الذرية كما عبر المؤرخ الكبير «أرنولد توينبى».

سعت دول كثيرة ما وسعها السعى لتلافى أثار هذه المشكلة الداهية الدهياء للخروج من هذا النفق المظلم.. دون جدوى؟!.

ولما تزل الولايات المتحدة الأمريكية تبذل قصارى جهدها مُسخرة تنوع إمكاناتها للهيمنة على السرف فى استخدام المياه وعلى مدى عقود طويلة بغرض وضع الشروط الأساسية لإجمالى الكمية اليومية القصوى لاستخدام المياه.

وقد تطلب هذا من الحكومة الفيدرالية تحديد مصادر تلوث المياه ووضع حدود مقبولة لكل مادة ملوثة.

وها هى ذى الدول التى نضب الماء فيها – أو كاد – تستورد نحو ٢٠٪ من مائها من خلال الغذاء، ومن خلاله أيضا.. ابتاعت الدول الغنية أكثر من ٦٨٪ من مائها؟!.

لما كان ذلك، فقمين بنا أن نحافظ على هذه الثروة التى وهبنا الله إياها، وأن نعض عليها بالنواجذ، فالماء وإن كان يفيض.. فهو – أيضا – يغيض.. وصدق الله تعالى ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة الملك – الآية ٣٠].

نقادة .. ذلك المجهول ؟!

ودعت والدى.. بعد أن تكرما علىَّ بالدعاء الكريم الذى كان وسيظل سندا لى فى هذه الحياة إثر صدور القرار الجمهورى الخاص بتعيننا فى سلك النيابة العامة.

وكان المكان الذى سوف أباشر عملى فيه ـ كما اختاره الله سبحانه وتعالى لنا – هو مدينة قوص، وكانت تتبعها آنذاك قرية نقادة التى انفصلت منذ سنوات عن الأولى وأصبحت نيابة مستقلة بذاتها كلاهما يتبع نيابة قنا.

كان أهل قوص فى هذه الفترة الزمنية البعيدة ولمدة تنيف عن الأربعين عاما شغلهم الشاغل هو صناعة الخمور من تقطير العنب، كنت أرى أن اقترافهم لهذا الفعلة النكراء لا يتسق أو يتفق مع مكانة (قوص أو نقادة) التاريخية.

وفى التاريخ الفرعونى القديم ما استنتج منه علماء النبات أن الكروم وردت إلى مصر من آسيا، وكلمة «أرب» باللغة الفرعونية القديمة «تدل على النبيذ»، وكان من الممكن كما جاء فى الشعر الأغريقى على لسان «هيبوناكس Hipponax» و «سافو Sappho» رؤية عروش الكروم فى جميع أنحاء مصر منذ عصر الملك «مينا» إلى عصور القياصرة، فى كل بساتين المعابد، وحدائق النبلاء، حيث كانت عناقيد العنب الأسود أو المائل إلى الحمرة كبيرة غزيرة كعينى الإله «حورس» اللتين تقول الأسطورة: إن العنب جاء منهما، وقد استخدمها المصريون القدماء فى صنع نبيذهم، وقد احتسوا منها إلى درجة النشوة.

وقد سميت مقبرة «وخميرع» بطيبة «مقبرة الكروم»، ومن حقل الكروم العظيم كان يأتى طعام مصر، كما جاء فى «معجم الحضارات المصرية القديمة».

وقد كانت أول قضية أقوم بتحقيقها لها صلة بصناعة الكروم، فى تلك القرية النائية من جنوب الوادى فقد تجرع المتهم فيها – ما شاء له – أن يتجرع من قارورات النبيذ المخمر، حتى الثمالة، ثم يمم وجهه إلى الحقل الذى كان المجنى عليه يدأب على الذهاب إليه فى باكورة الصباح، وقبل أن يتنفس الفجر، لينهض على الاعتناء بزراعة حقله، أطلق عليه ثلاث طلقات من غدارة، كان يحرزها بدون ترخيص، كما أثبتت التحقيقات فيما بعد، فأردى المجنى عليه مضرجا فى دمائه، وحمل جثته، وألقى بها فى مجرى للمياه،

وذلك بسبب عداوة بينهما قديمة، كان الشاهد الوحيد فى هذه القضية هى زوجة المجنى عليه، فى حوالى العقد الثالث من عمرها، تبدو عليها مخايل الذكاء مع مسحة من الجمال الظاهر، وقعت هذه الجريمة قبل انبلاج الفجر بقليل.

حيث كان الليل ما زال يلف ساحة الجريمة بظلامه، بيد أن نور القمر كان يبدد شيئا من هذا الظلام.

وأثناء مباشرتنا للتحقيق دفع دفاع المتهم بعد أن قبضت عليه الشرطة وتيقنت أنه المقترف بأن موكله – لم يكن هو مرتكب الحادث، وما شهدت به الشاهدة هو إلا أضغاث أحلام، حيث إن حالة الرؤية لحظة ارتكاب الجريمة، لم تكن تسمح للشاهدة أن ترى الفاعل، ومن ثم طلب إخلاء سبيله من سراى النيابة.

بيد أن الشاهدة أصرت على أنها رأته رأى العين حال إطلاق الرصاص من غدارة كان يحملها وولى الأدبار.

بعد انتقالنا لمكان الجريمة الذى يقبع فى مكان بعيد عن العمران، وكانت القرية ساعتئذن تغط فى سباتها وكان البادى للعيان أن صولة الدهر قد أتت على مبانيها القديمة فتناثر على بيوتها لجج من التراب ويلفها ظلام دامس، حيث إنه من المعروف أن أشد ساعات الظلام هى أشد أوقات الحلكة هى تلك التى تسبق الفجر الصادق بلحظات، كانت القرية لا حركة فيها، ولا صوت، إلا من عواء ذئب، أو نباح كلب، أو صياح ديك، مع شعاع باهت ينبعث من نور القمر الذى كان يتوسط كبد السماء.

قمنا بمعاينة ساحة الجريمة، وبصحبة الشرطة التى كانت فى معيتنا، وناظرنا الجثة التى عثر عليها طافية على صفحة المياه، وأمرنا بتشريحها لتبيان سبب الوفاة، وأخذًا بحق الدفاع قررنا أن نجرى معاينة ضوئية فى مثل اليوم والساعة اللتين ارتكبت فيهما الجريمة بعد شهر من وقوعها، وأرسلنا خطابا إلى مصلحة الأرصاد الفلكية لتحديد ذلك، وإذ ورد خطابها محددا اليوم والساعة الذى يواكب وقت ارتكاب الجريمة.

وانتقلنا مرة أخرى إلى أرض الجريمة استكمالا للتحقيق بعد أن أحضرت الشرطة مجموعة من الرجال متماثلين فى الطول والحجم مع هيئة المتهم، أوقفتهم صفا ونودى على الشاهدة بعد أن مرت عليهم فردا فردا لتكشف لنا عن المتهم الذى قتل المجنى عليه، فأشارت على المتهم عينه، الذى أثبتت تحريات الشرطة إنه هو الذى قام بتنفيذ فعلته،

وكررنا العرض عليها مع اختلاف الملابس والهيئات، فأشارت عليه مرة أخرى، بل ومرة ثالثة.

وعند سؤالى لها: هل هذا هو الذى شاهدتِه – بعد أن أشارت إلى أحد الواقفين فى طابور العرض – وهو يطلق الرصاص على المجنى عليه؟. جذبتنى من «سترتى» بشدة، وقالت لى وبحدة – وبلهجة صعيدية: حاتُجلى «هودا إللى قتل زوجى».

تصرفنا فى القضية على الوجه الذى اتفقنا عليه أنا وزميلى الأستاذ «محمود عبد الحميد» الذى هو الآن المستشار رئيس محكمة الاستئناف، والذى كان يتميز، بالأدب الجم، وسعة الأفق. حيث إن له تواليف فى الفكر والأدب.

تداعت الذكريات إلى عقلى فسألت نفسى: ترى ما الذى يأتى به الزمان للبشر بل وللحجر، «فنقادة» هذه قد سُميت فى بعض عصور مصر القديمة باسمها، فكان هناك عصر «نقادة الأولى» (٤٠٠٠ ق م – ٣٥٠٠ ق م) كما أن ثمة حضارة « نقادة الثانية»، ناهيك عن حضارة «نقادة الثالثة» (٣٣٠٠ ق م – ٣١٠٠ ق م)، وهى الفترة التى اكتشف فيها المصريون القدامى النحت البارز الذى احتل مكانا مهما فى العصور اللاحقة؟!.

وما أعجب ما يأتى به الزمان فى كل عصر وأوان؟!.

❑❑❑

من تعاليم قدماء المصريين ..

خلَّف قدماء المصريين لنا ثروة زاخرة بشتى المعارف والفنون فى عالم التربية والتعليم مما يدل دلالة أكيدة على أن مصر صاحبة أقدم مدنية فى التاريخ كانت دائما مشعل النور للبشرية قاطبة: والمعلم الأول لها.. وهاك مقتطفات من تعاليمهم ونصائحهم:

يقول «بتاح حتب»:

كن مسالما لجميع الناس، إياك والكبر والغرور، وسوء الخُلق والحدة فهذه تنفر الناس منك، الخلد لك زوجة وابتعد عن حبائل النساء – قريبات كن أم غريبات. تجنب الخصام ولا تجعل البِشر يفارق مُحياك دائما. عش سعيدا متى استطعت وبقدر ما تستطيع تجهد نفسك فى العمل أكثر من حاجتك.

وإذا تكلم من يفضلك علما وحكمة فأنصت له فى خضوع ولا تغضب منه إذا خالفك فى الرأى «تجنب كلام السوء معه ولا تعارضه إذا تكلم» وإذا كان محدثك زميلك ويناظرك فلا تسكت إذا قال لك وهو يحاورك شيئا، وإذا كان محاورك دونك منزلة فلا تحتقره لأنه وضيع القدر، ولا تصب عليه غضبك فمن العار أن تربك ضعاف العقول. وحاذر أن تخلق لك بالكلام من الناس أعداء، ولا توقع بين الناس بقلب الحقائق ولا تفشى ما يسر به الناس إليك، وإذا كنت قويا فاكسب احترام الناس بعلمك وظرفك، تكلم بقوة ولا تسكت وأضبط نفسك، ولا تظلم من اكتنفته الأحزان والشجون، وإذا تنكب أحدهم الصراط السوى – رغم نصحك له – ثم غفرت له زلته فلا تذكر له بعد ذلك أنه قد أصم أذنيه عن النصح.. فهوى.

يقول المؤرخ «جميس هنرى برستيد» فى كتابه القيم «فجر الضمير»: وإنه لمن الممتع حقا أن نعرف الوقت الذى بدأت تظهر فيه نفس كلمة «أخلاق» أو «خُلق» لأول مرة فى كلام أبناء البشر. لقد بدأ ذلك فى عصر الأهرام، وسرعان ما صارت متداولة فى موضوعات التعليق والتأمل. ففى حكم بتاح حتب نرى ذلك الوزير الحكيم المسن يذكر ابنه بأن الفضيلة فى الابن لها قيمة عظيمة عند الوالد، وأن «الأخلاق» الحسنة شىء جدير بالذكر. وبذلك ينسب أقدم استعمال لتلك الكلمة إلى القرن السابع والعشرين قبل الميلاد وبعد انقضاء نحو خمسة قرون على انقضاء ذلك العهد، نلفاها أى كلمة «أخلاق» فى تلك النصائح التى وجهها أحد الفراعنة إلى ابنه مريكارع حيث يقول: «إن الله عز وجل الذى يعرف الأخلاق».

وقـد تتطورت كلمة «الأخلاق» كما يقول «برسـتيد» إلى نظام جديـد يتمثل فى حكماء أخـلاق المصريين. فأضحى يعبر عندهم بكلمة (ماعت) التى تعنى (الحق) و(الاسـتقامة) و(العدل) و(الصدق).. مما يعنى أن المصريين هم الكاشـفون للأخلاق، وانتقلت منهم بعد ذلك إلى الكنعانيين أهل فلسـطين. ومنها انتقلت بعد ذلك إلى العبرانيين، وقد كان أعظم كشف جاوز حد المألوف فى هذه الناحية هو أننا عرفنا أن حكمة أمينموبى، التى حفظت لنا فى ورقة مصرية بالمتحف البريطانى، قد ترجمت إلى العبرية فى الأزمان الغابرة، وأنه بذيوعها فى فلسطين، صارت مصدرا استقى منه جزء بأكمله من كتاب الأمثال فى التوارة.. لقـد أضاف هذا الكشـف أهمية بعيدة المدى إلى الحقيقة القائلـة بأن التقدم الحضارى فى الممالك التى تحيط بفلسطين كان أقدم بعدة ألاف من السنين عن التقدم العبرى، ولقد أصبح من الواضح الجلى أن التقدم الاجتماعى والخلقى الذى أحرزه البشـر فى وادى النيل الذى يعد أقدم من التقدم العبرى بثلاثة ألاف سـنة، قد سـاهم مساهمة فعلية فى تكوين الأدب العبرى الذى نسميه نحن (التوارة).

وقـد كان قدماء المصريـين يتحلون (بالعـدل) وكانو يصرون على تحققـه دائما، ففى خطاب الوزارة الذى كان يلقيه الفرعون بمناسبة تعيين الوزير – أى رئيس الوزراء حاليا، كان فرعـون مصـر يعظ الوزيـر ويأمره بمراعاة العـدل بين الناس وعدم إذلال الشـعب أو مداهنة الأمراء والمستشـارين والكبراء، أى أن فرعون مصر لم يكن غافلا عما قد يحدث من تجاوزات، يقول الفرعون لهذا الموظف الكبير «واعلم أن الوزارة ليست حلوة المذاق، واعلم أنها (يعنى الوزارة) لا تعنى إظهار احترام أشـخاص الأمراء والمستشـارين، وليس الغرض منها أن يتخذ بها الوزير لنفسـه عبيدا من الشـعب. واعلم أنه عندما يأتى إليك شاك من الوجـه القبلـى أو البحرى، أو من أى بقعة فى البلاد، فعليك أن تطمئن إلى أن كل شـىء يجرى وفق القانون، وأن كل شئ قد تم حسب العرف الجارى. فتعطى كل ذى حق حقه، واعلـم أن الأمـير يمثل مكانة بارزة. وأن الماء والهواء يخبران بكل ما يفعله. واعلم أن كل ما يفعله لا يبقى مجهولا أبداً».

ثـم يحـذر الوزير من الطغيان والتحيز قائلا «فلا تنس أن تحكم بالعدل لأن التحيز يعد طغيانا على الإله. وهذا هو التعليم (الذى أعلمك إياه) فاعمل وفقا له وعامل من لا تعرفه، والمقـرب مـن الملك كالبعيد عنـه. واعلم أن الأمير الذى يعمل بذلك سيسـتمر هنا فى هذا المكان» ولا تغضبن على رجل لم تتحر الصواب فى أمره.

من تعاليم أمينموبى لالتزام كبار الموظفين للعدل:

لا تفسدن رجلا فى قاعة المحكمة (أى تجعله يشهد زوراً).
ولا تزعجن الرجل المحق (كى يعدل عن شهادته).
ولا توجهن كل التفاتك إلى فرد قد لبس ملابس بيضاء.
بل اقبله فى خرقه الباليه.
ولا تقبلن هدية رجل قوى.
ولا تظلمن الضعيف من أجله.
لأن العدل هبة عظيمة من الله.
وسيعطيها من يشاء.

ومـن قيمهم أيضـا – مما يدخل فى باب العدالة – تقديـس الحق. يقول الحكيم بتاح حتب «إذا كنت حاكما تصدر الأوامر للشعب فابحث لنفسك عن كل سابقة حسنة، حتى تستمر أوامرك ثابتة لا غبار عليها. إن الحق جميل وقيمته خالدة، ولم يتزحزح من مكانه منـذ خلق لأن العقاب يحل بمن يعبث بقوانينه، وقد تذهب المصائب بالثروة، ولكن الحق لا يذهب، بل يمكث ويبقى».

❑❑❑

من قاض مصرى إلى حاكم العراق..

لا أخفى عليك أيها السيد الرئيس أننى كنت معجبا بك ذات يوم قريب يوم نقلت إلينا الصحف أنك ألقيت القبض على ابنك عدى وزججت به فى غياهب السجن لقاء ما اقترفت يداه من قتله حارسه الخاص وعندما توسط إليك وتوسل لك سادة العراق لكى تخلى سبيله رفضت رفضا قاطعا الانصياع لما يطلبون وقلت بالحرف الواحد، لن أعفو عن هذا الرجل.

قلت فى نفسى آنذاك: هذا رجل عظيم وفكرت فى أن أحرر لك خطابا أنهى لك فيه إعجابى بك واحترامى إياك، فإن لم يكن فى موقفك هذا إلا أنك سقت ابنك إلى السجن ردعا وزجرا له لكفى ذلك، لكى يعرف الجميع أنه لا فرق بين حاكم ومحكوم.

وتذكرت على الفور قصة عمر بن الخطاب، مع حاكم مصر عمرو بن العاص عندما ضرب ابنه أى ابن عمرو أحد أترابه صافعا إياه على وجهه. فلما تضرر المضروب قال له الضارب. إلا تعرف من أنا؟ إننى ابن الأكرمين.

فرفع المضروب مظلمته إلى عمر بن الخطاب فأمر عمر رضى الله عنه عمرا ابنه مع بعد الدار ومشقة المزار أن يمثُلا بين يديه، فلما مثُلا قال عمر للشاكى: اضرب ابن الأكرمين كما ضربك. وعلا بدرته صلعة عمرو وقال له قولته التى ذهبت فى أسماع الزمن مذهب الخلود: متى استعبدتم الناس يا عمرو وقد ولدتهم أماتهم أحرارا.

هل تفتح قلبك يا سيادة الرئيس لقاض مصرى لكى يقول لك كلمة الحق التى تشربها منذ نعومة أظفاره إذا علمه أبوه رحمة الله عليه، وكان قاضيا فاضلا كبيرا أن الحق أبلج والباطل لجلج، وقد علمنا القضاء إنه لا جناح على المرء أن يعود إلى محجة الصواب. وأن يرجع إلى كلمة الحق إذا ما تبين له أنه سدر فى طريق الباطل.

السيد الرئيس: لقد أخطأت خطأ جسيما يوم أن جست بجيشك خلال الديار الكويتية.. ويوم أن تهددت بجحافلك أرض الله.. أرض المملكة العربية السعودية.. هذا البلد الأمن الذى كرمه الله فى كتابه الكريم على لسان نبى الله إبراهيم عندما دعا له: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾. [سورة إبراهيم – الآية ٣٥] ويوم أن استقدمت بفعلك – وعملك وما أتته يداك – الجيوش الأجنبية تطأ بأقدام جنودها أرضنا المقدسة وتجثم على صدورنا.. وتنوء على كاهلنا بكلكلها.

السيد الرئيس .. أرجوك أن ترهف أذنيك لكلمة الحق وأن تفتح قلبك لنداء العقل الذى ناداك فلم ترد عليه ونصحك فلم تلق بالا إليه..

اسحب جيشك وعد إلى بلدك .. وارض ربك أرضاك الله. حقنا للدماء.

فهل تلبى هذا النداء وذاك الرجاء؟.

إن فعلت وأضرع إلى الله أن تفعل .. فسوف تدخل التاريخ من أوسع أبوابه مثلا للرجولة ومثالا للرجوع إلى الحق.

وصدق عمر بن الخطاب: ارجع إلى الحق.. فإن الحق قديم.

والسلام على من اتبع الهدى..

❑❑❑

opeikandl.com

ملحمة أكتوبر السادات .. وصائد الدبابات

والملحمة هى وكما جاء فى «لسان العرب»: الوقعة العظيمة القتل. كما قيل إنها موضع القتال.. يقولون: اليوم «يوم الملحمة» كما كان فى فتح مكة. وألحمت القوم أى قتل الخصوم أعداءهم حتى صاروا لحما.

وهكذا كانت ملحمة اليوم السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ ففى تمام الساعة الثانية ظهرا وأربع دقائق أنطلق نسور الجو يحطمون قواعد إسرائيل الجوية حتى سويت بالأرض، وفى تمام الساعة الثانية ظهرا وأربع دقائق وقفت «أخت يوشع» فى كبد السماء كما فعلت من قبل مع «يوشع النبى» وهو يحارب أعداءه.. تشاهد خير أجناد الأرض يمخرون بقواربهم عباب القناة إلى حيث الهدف المعلوم بعد أن سلطوا «خراطيم» المياه الجبارة على الساتر الترابى الذى يخفى رؤوس الأعداء عن عيونهم كاشفة لهم عنها، وعن مرابضهم التى تحولت فى دقائق إلى بقايا أشلاء تناثرت فى الهواء بما فيها وما تحويها فأمست أشلاء تذروها الرياح. حتى أن «موشى ديان» صرخ وبحدة فى وجه «أياهوزعيرا»: لو لم أكن متأكدا أنه لم يبق خبير سوفيتى واحد فى مصر لقلت إننا نحارب روسيا نفسها. وتساقطت نقاط بارليف الحصينة التى كان الطريق لها وعرا والمرتقى إليها صعبا بل من ضروب المستحيل، كما تتساقط أوراق الشجر فى الخريف، وتوغل الجيش المصرى إلى قلب سيناء فى يوم الأثنين الثامن من أكتوبر حتى إنهم أطلقوا عليه «الإثنين الأسود فى إسرائيل».

وتدفقت الموجات تلو الموجات من جنود مصر الأبرار وهم يصيحون صيحة النصر التى كانت قد غابت عنهم كثيرا وهم يرددون «الله أكبر.. الله أكبر» ينقضون على المخابئ التى يختبئ فيها عدوهم اللدود حتى دب الرعب فى قلبه وأصابه الفزع الأكبر واستبد به الشعور بأنه قد أمسى – لا محالة – فى عداد الأموات فما كان من كبيرتهم «جولدامائير» إلا أن هُرعت إلى الهاتف، والدمع تذرفه فى الخد عيناها – تستصرخ رئيس الولايات المتحدة «نيكسون» قائلة له «Saif Israel» ويلبى «نيكسون» – بعد حين – نداءها ويأمر بفتح ترسانات السلاح الأمريكى لها مقلة إياها إلى – ربيبتها – إسرائيل عبر الأجواء والبحار والأنهار.

وأضحى جيش مصر حديث العالم من أدناه، إلى أقصاه فما أن طرق سمعه الأخبار، أخبار العبور الجسور – حتى تساءل: هل كذبته أذناه؟!.

فقد كان الجيش الإسرائيلى قد أشاع وأذاع عقب حرب ١٩٦٧ أنه صاحب الأذرع الطويلة، وأنه الجيش الذى لا يقهر. ففى ستة أيام دانت لهم أرض مصر سيناء بما رحبت فقد اغتصبوها على – حين غرة – وداسوا بدباباتهم ومدرعاتهم على جنود مصر، وهم أحياء بل ودفنوا منهم البعض وقد كانوا ومازالوا أحياء فى باطن أرض سيناء بعد أن ضربوا مصر فى مقتل وهيئ لهم أنها قد ماتت وأنى لها أن تعود إلى حياتها من جديد؟!.

كان السادات محرر الأرض والعرض من قبلها – قد تيقن أن القوتين العظيمتين روسيا وأمريكا يحرصان على وجود إسرائيل، وبالإيمان بالله والخضوع للواحد القهار سدد الله خطى السادات وبث الثقة فى قلبه وأن النصر آت لا ريب فيه وذلك بعد أن سخرت منه الشعوب العربية وهزأت منه الدول الغربية وأغرقته فى النكات والتشنيعات هازئة من قولته «أنه سيحارب»؟!.

واتخذ السادات القرار واستطاع جيش مصر بجنوده وقواده البواسل وفى (ست ساعات) وليس (ستة أيام) عبور المانع المائى العظيم الذى لا يضاهيه إلا «قناة بنما» وحطم خط بارليف وهو أقوى خط دفاعى فى التاريخ يبدأ من قناة السويس بعمق أثنى عشر كيلو مترا فى عمق شبه جزيرة سيناء بتجهيزات حربية مُشَكِلا ستة عشر موقعا حصينا تقع جنوب القناة عند التقاء البحيرة المرة الصغرى بقناة السويس وكان أمنع من خط « ماجينو» الذى أقامته فرنسا على حدود المانيا لمنع تقدم القوات الألمانية، وأشد من خط «بارت الدفاعى» الذى شيدته فرنسا – كذلك – على حدود تونس لسد أى هجوم محتمل عليها. انهار خط بارليف الذى كان رمز القوة والمناعة لإسرائيل ورمز الإهانة لمصر، وتلاشت تحصيناتهُ وفتح الطريق لجيش مصر الذى إستولى على القنطرة شرق ورفعت أعلام مصر خفاقة على أرضها.

وسجل تاريخ الحروب فى أنصع صفحاته بطولات جنود مصر على أرض سيناء بدماء الشهداء البررة الأوفياء. فهاهوذا القائد الذى تحول من الدفاع إلى الهجوم محققا معجزة عسكرية من النادر تحقيقها بعد أن بتر ساقه برصاص العدو، دون أن يشعر وهو «اللواء عادل يسرى» وذاك هو «عبد الوهاب الحريرى» الذى قلده السادات نجمة سيناء لبطولاته وذاك هو الفريق فؤاد غالى الذى قاد فيلقه بنجاح إلى عبور القناة وهؤلاء هم «سعيد خطاب وفؤاد بسيونى والشهيد أحمد شكرى، ومحمد العباسى «الذى كان أو من رفع العلم المصرى فوق سيناء، وغيرهم المئات والمئات من أبطال جيش مصر الغر الميامين.

ثم يجئ محمد عبد العاطى صائد الدبابات.. المقاتل الأسطورة الذى دمر بمفرده ماينيف على العشـــرين دبابة خلال نصف الساعة وبث الوجل فى قلب الإسرائيليين، كذلك العقيد يســرى عمارة الذى «أســر عســاف ياجورى» قائد اللواء ١٩٠ المدرع الإسرائيلى الذى وقع جنوده بين يديه وسيقوا إلى مخفرهم فى شكل ذليل مهين.

يقول إســحاق بن هارون: «إن الكذبة الإســرائيلية التى وقرت فى أذهاننا أن إسرائيل لا تقهر.. «قد قُهرت» ببسالة جنود مصر الذى اندفعوا كالسهم إلى قلب إسرائيل يمضون إلى رميتهم فى عزيمة ومضاء إلى الهدف – لا يحيدون عنه ولا يميدون، وذاقت إسرائيل وبال أمرها بعد أن لجت فى غرورها ولُقنت من جيش مصر درسا بليغا اليما لن تنساه، عبر كر السنين وتعاقب الأيام.

❑❑❑

مصطفى أمين .. فى ذكرى الأربعين ..

فى ذكرى الأربعين للكاتب الكبير «مصطفى أمين».. هل لنا أن نقول ما قاله عبقرى الفكر «عباس محمود العقاد» فى رثائه فى ذكرى الأربعين لزعيم مصر الخالد «سعد زغلول».

أحقا قد مضى بعد الرئيس الأربعون عجبا فكيف أذن تمضى السنون؟

حمله الآلاف ومشوا به فى موكب مهيب ومشهد عن العيون لا يغيب، لم يكن وداعه وداع صحفى أديب، أو كاتب ألمعى أديب .بل وداع زعيم لبيب ترك أثرا. وخلف آثارا، وزرع أشجارا من الود وجعلت له فى كل بيت من بيوتات مصر حبيب.

فهاتيك الدموع التى انسابت من المأقى. ثم انثالت بعد ذلك من الأقلام، وتلك الشجون التى شاهدتها فى عيون الأنام، وهى تودع بسويداء قلبها، الفارس الذى عاش مع كر السنين وتعاقب الأيام، يحارب الظلم ممتشقا قلمه وكأنه الحسام، وهو فى ذات الوقت يدعو ملحفا إلى نبذ الخصام وإحلال الوئام، وينشر جاهداً (فكرة) الحب والخير ودعوة الوفاء والسلام.. وهى تؤمل لو أنه عاد مرة أخرى إلى الحياة ؟؟ فما كانت ترجو له إلا الحياة، ولكن هيهات هيهات فذلك حلم لا يرام..؟!.

فهاهوذا يغادر بجسده «الدار» الفانية.. إلى الدار الذى طاب له فيها المقام، والجميع يسأل ويتساءل:

أحقا مات مصطفى أحقا خمد القلم وانطفأ؟؟
أحقا مات فارس الكُتَّاب أحقا ولى مصطفى وغاب؟؟

وها هى ذى الألسنة التى كانت تهاجمه تحييه، وهاهى ذى القلوب التى تعلقت به حبا تناجيه، فهذا شاب فى مقتبل عمره مع كوكبة من زملائه ومريديه. وهذه امرأة (أثقل الإملاق ممشاها) تولول عليه وتبكيه وهذا شيخ فان يلهث وراء نعشه (الكريم) ويرى حياته فيه، وهذا طفل صغير ينادى عليه بملء فيه، وهذا شعب مصر عن بكرة أبيه. والحزن؟ كيف يخفيه؟، يودعه ويرثيه، والذى لا مشاحة ولا مرية فيه. أن أحدا من العظماء أو الكبراء، لم يفز بالألقاب التى أغدقت على مصطفى أمين بعد مماته، وهى صفات – حقا – متأصلة فيه، فهو فى (رأى الشعب) فارس الكلمة الحرة ومقارع الطغاة المستبدين والمتكبر على المتكبرين.. (والكبر على المتكبر فضيلة).

وآخــر العمالقة من الصحفيين وأســتاذ مادة الصبر، وصاحب الأيــادى البيضاء، ونصير الفقراء، ومحامى البوساء، والشجاع صاحب القلم الشامخ ورائد الصحافة الإنسانية، ورئيس تحرير الصحف المصرية، وفقيد الأمة العربية (والحارس القضائى) على الحرية والديمقراطية إلى أخر ما أتت به القرائح فى وصف مصطفى أمين.

وسلام عليك مصطفى أمين.. وعظيم أنت (شعب مصر) الوفى الأمين.

ووداعا صاحب الكلمة الحرة ..

❑❑❑

obeikandl.com

مجلس الدولة .. حامى حمى الحريات فى مصر ..

يقول أرسطو فى كتابه: «علم الأخلاق».. السلطان.. محك الإنسان.

ذلك أن شر الناس هو ذلك الذى يضر نفسه والناس، وأن الرجل الأكمل ليس هو الذى يستخدم فضيلته لنفسه بل هو ذاك الذى يفيض بها على غيره، لأن هذا أمر شاق دائما، حينئذ لايمكن أن يعتبر العدل مجرد جزء من الفضيلة بل هو الفضيلة ذاتها، وإن الظلم الذى هو ضده ليس جزءاً من الرذيلة.. بل هو الرذيلة بتمامها.

فى غضون عام ١٩٤٦ ارتفعت هامة العدل فى مصر.. هامة رفيعة عالية القدر وضاحة الجبين فقد إنشئ مجلس الدولة المصرى. هذا الصرح الشامخ للعدل فى مصر وأصبحت رسالته – كما نرى – هى فى عبارة وجيزة: «أن ينزع مسلاخ الظلم من الإدارة وأن يسبغ عليها إهاب الفضيلة».

وذلك بعد أن وأد الجهلاء والمستبدون محاولة إنشائه فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر بمقتضى الأمر الصادر من الباب العالى فى ٢٣ أبريل ١٨٧٩.

أصبح مجلس الدولة حقيقة واقعة، بل حقيقة رائعة على حد تعبيرِ العلامة الدكتور «عبد الرزاق السنهورى» ثانى رئيس للمجلس الموقر.

وبهذه المثابة فقد أعلنت الدولة المصرية – فى حقبة من الزمن – أنها تقف بجانب الحق والقانون، وإنها لا تظلم ولا تتعثر و اشرأبت قامة المجلس وزكا عوده، واستوى بشرا سويا.. روعته فى رسالته.. ورسالته فى أن الأفراد والجماعات رأوا فيه غوثا للملهوف ولياذا للعائذين، ومعقلا للحريات..

يعمل فى صمت وسكون، يعاون الإدارة ويفتح لها الأبواب الموصدة، وينير أمامها الطريق القويم المستقيم، «فهو الصديق الناصح»، فلا أحب إلى نفسه من أن يجنب صديقه مزالق الخطأ، ومهما لقى فى عمله من نَصَب ومهما أصابه من عنت فهو لا يحفل بما يعترضه من الصعاب.

وإذا كان القضاء فى كل أمة هو قدس الأقداس، إذ أن العدل هو أساس الملك، فالويل كل الويل لأمة لا توقر قضائها، أو تعتدى على حرمة قضاتها.

ومجلس الدولة – منذ إنشائه – يقوم على رسالة بالغة الخطر، فهو إلى جوار كونه ساعد الدولة فى الفتيا والتشريع ومستشارها الناصح الأمين فى المسائل الدولية والدستورية

والقانونية يقوم بمهمة القضاء الإدارى لإنصاف الشعب من حكامه، إن تحيفوه أو انحرفوا عن محجة الصواب واندفعوا فى بحر الظلمات فشدتهم الشهوات إلى قاع اليَّم فغرقوا فى ظلماته.

ومجلس الدولة منذ إنشائه قد أدى واجبه كما ينبغى، فتعرض فى عهد الطغيان السابق لما تعرض له من كيد الكائدين فاعتدوا عليه اعتداء جسيما، واقترفت أيديهم أمرا إدا، أليما جسيما، أمسى وصمة فى تاريخ من فعلوه واقترفوه بعدوانهم المشين على هذا الرجل العظيم الدكتور عبد الرزاق السنهورى باشا – فى ٢٩ مارس ١٩٥٤ – ولولا أن ارتمى سكرتير العلامة السنهورى عليه ليحميه من الاعتداء لفاضت روحه الطاهرة – آنذاك – إلى بارئها.. وثنت الإدارة – بعد ذلك – بعزل الدكتور «السنهورى» من منصبه كرئيس لمجلس الدولة فى ١٥ أبريل ١٩٥٤؟!.

ثم كان القانون الذى أنزل القارعة بمجلس الدولة ورجالاته، بعزل عدد من فقهائه وعلمائه وإحالتهم إلى مناصب غير قضائية فاكتملت فصول هذه المذبحة باستباحة حرمة القضاء وقدسيته، وشرف رسالته باغتيال مجلس الدولة «قاضى المشروعية» وكافل الحريات الفردية بعد أن أضحى ركنها الركين وموئلها الحصين وقبلة المستضعفين وملاذ المظلومين ولهذا جميعه تربصوا به الدوائر وقد سبق أن عنَّ لهم من قبل فكرة إلغائه ومحوه من الوجود.

ومضى المجلس فى رسالته الجليلة فلم تلن قناته، أو تفل شباته ولم يستبدل المجلس – ذات يوم – خشونة المضاجع بلين المخادع ويمم وجهه نحو إحقاق الحق وخذلان الباطل بل وسحقه ومحقه، بفطنة غالبة وفراسة صادقة وفهم دقيق لكل ما يعرض عليه من ظلم للناس من خلال مايحيق بهم من محن أو إحن.

جاء فى كتاب «تاريخ القضاء فى الإسلام» لإياس بن معاوية: «أنه لما ولى القضاء بالبصرة طارصيته وذاع صوته.. حتى جاءه الناس يطلبون منه أن يعلمهم القضاء، فكان يقول لهم: إن القضاء لا يعلم (إنما القضاء فهم) ولكن قولوا علمنا العلم، وهل الفن إلا فهم؟!.

كما جاء فى كتاب «بدائع الصنائع»: «نَصَب القاضى فرض، لأنه ينصب لأمر مفروض وهو القضاء».

كما أن «أرسطو» فى كتابه «ديموندو de mundo» «يريد أن يشرب القاضى الشاب منذ حداثة عهده حب العدل وأن يسلك سبيله. ولا يكفى لذلك أن يقتصر على ما تعلمه فى المدارس بل لابد له من تطبيقات يلتمسها فى دور القضاء».

وبنصب وبفهم حقيقى للأمور بذل مجلس الدولة قصاراه بالضرب على أيدى الطغاة والفاسدين ممن أرادوا أن يفتئتوا على كرامة المواطنين وحرياتهم بأن وضعوا معوقات تتمثل فى تقييد حق التقاضى بوسيلة أو بأخرى بما يؤدى إلى مصادرته كليا، أو جزئيا، بصدور بعض القوانين أو التشريعات المتضمنة النص على حظر الطعن على القرارات أو الأوامر، أو أن يأتى هذا التقييد أو الحظر نتيجة لما يسمى «بنظرية أعمال السيادة» أو نظرية «الظروف الاستثنائية» والتى بمقتضى كل منهما يتم حظر اللجوء إلى القضاء بصدور – هاتيك – القرارات والأوامر الصادرة من جهة الدولة استنادا إلى أى من هاتين النظريتين أو كلاهما.

ومن هنا جاءت أحكام مجلس الدولة تترى فى التأكيد على أن لكل مواطن الحق فى التقاضى.. هذا المبدأ الضارب فى القدم قدم التاريخ نفسه – إذ عرفه الفراعنة القدماء واتخذوا له إلها أسموه (إله الحق).

جاءت أحكام مجلس الدولة الرفيعة الجليلة لتؤكد الآتى:

أولا: «مبدأ المساواة أمام القانون إذ طبقت محكمة القضاء الإدارى مبدأ المساواة أمام القانون فى العديد من أحكامها ومنها الدعوى رقم ٢ لسنة ٤ ق جلسة ١٩٥١/٢/٦ وتجمل وقائعها فى أن: أحد المواطنين طعن أمامها على قيام المجلس البلدى بنقل المصباح المقام أمام منزله ناعيا.. على هذا القرار مخالفته للقانون على سند من القول بأن منزله يقع داخل كردون المدينة وفى مدخلها وهو يدفع على هذا المصباح عوائدا، كما أن نقله قد أدى بالمنطقة الواقع بها منزله إلى أن يكتنفها الظلام الشديد. قضت المحكمة بإلغاء القرار المطعون فيه بنقل المصباح وقالت فى أسباب حكمها: إن الأسباب التى تذرع بها المجلس البلدى فى نقل المصباح لاتؤدى إلى النتيجة التى ذهب إليها وأن المجالس البلدية يجب أن تراعى المساواة فى توزيع الخدمات أمام الناس».

كما تبنت محكمة القضاء الإدارى مؤيدة من المحكمة الإدارية العليا بذات الاتجاه الذى كفل مبدأ المساواة أمام القانون فذهبت إلى أن تقرير أى استثناء أو تمييز لأحد دون أحد يتعارض مع مبدأ المساواة وتكافؤ الفرص الذى أوجبه الدستور.

كما أكدت كذلك حق المواطنين جميعا فى عدم التمييز بين المواطنين فى الحصول على التعليم العالى لما أن هذا التمييز فضلا عن إخلاله بمبدأ المساواة فإنه يهدر مبدأ تكافؤ الفرص بين الشباب.

ثانيا: أكد مجلس الدولة على حق المساواة أمام الوظائف والتكليف والتعبئة العامة.

ثالثا: حماية مجلس الدولة لحق الحرية الشخصية التى هى مِلاك الحياة الإنسانية كلها لا تخلقها الشرائع بل تنظمها ولا توجدها القوانين بل توفق بين شتى مناحيها.

وتتمثل حماية مجلس الدولة فى ذلك فى الأحكام والفتاوى الصادرة عنه بشأن الحرية المدنية للفرد وحرية الإقامة فى المكان الذى يحدده الشخص، وعدم جواز إبعاده عنه، وكذا حرية الشخص فى التنقل وحريته فى السفر والترحال، وحقه فى الأمن والأمان. وأسبغ مجلس الدولة الحماية على الحرية الشخصية التى توصدها – الدولة بالأغلال والمتمثلة فى قرارات الإعتقال ووضع الموانع أمام حق التقاضى.

رابعا: كفل مجلس الدولة – منذ ولادته – حق الحرية البدنية وحرية الملبس للمواطنين وطالما لا يتعارض ذلك مع العرف والتقاليد والآداب العامة.

خامسا: صان مجلس الدولة حرية الإقامة باعتبارها أحد صور الحرية الشخصية التى كفلها الدستور لكل مصرى فى الجهة التى يبتغيها.

سادسا: قرر مجلس الدولة لكل المواطنين حرية السفر من مكان إلى آخر باعتبار أن هذا الحق المقرر هو فرع من الحرية الشخصية للفرد لا يجوز الحد منه أو انتقاصه إلا لمصلحة عامة فى حدود القانون واللوائح.

سابعا: تصدى مجلس الدولة لقرارات الاعتقال مراقبا إياها، مفندا جدواها مع بيان مدى مشروعيتها وتعويض المعتقلين عنها سواء من الناحية المادية أو الأدبية.

ثامنا: كما قنن مجلس الدولة الحق فى الجنسية والنسب – للمصريين – بحسبانها رابطة سياسية وقانونية بين المواطن والدولة.

تاسعا: دافع مجلس الدولة عن حرية العقيدة وحرية الرأى بأحكام مقننة من المحكمة الإدارية العليا، ناهيك عن حق حرية الصحافة والنشر وحرية التعبير الفنى.. حتى غدا – بأحكامه التى صارت نبراسا – هو (حامى حمى الحريات فى مصر).

❑❑❑

متحف محمد عبده ..

فى مستهل هذا القرن والناس فى حيرة من أمرها. وظلام المستعمر الإنجليزى يكاد يلف المصريين جميعا بظلاله الداكنة – ظهر رجل استطاع – على قول الدكتور عثمان أمين – بما أذاع من تعاليم خصبة قوية أن يدعم مبدأ الاجتهاد العينى، وأن يحمل لواء الحرية الفكرية، وأن يرفع مرتبة القيم الروحية ،وأن يؤدى للعقل ما ينبغى له من احترام، واستطاع أن يؤيد أمام بطش القوة حقوق الضمير، ومطالب الأخلاق، واستطاع بعنايته الدائمة بألا يفصل الفكر عن العمل ولا العلم عن الدين، وأن يعود بالفلسفة الإسلامية إلى أحسن تقاليدها وأن يفتح لها فى الشرق والغرب آفاقا بعيدة..

ذلك هو المرحوم الأستاذ الإمام محمد عبده الذى مرت بنا ذكراه فى ١١ يوليو الجارى دون أن تنال حقها من التكريم.. ولن نستطيع أن نرد له بعض أفضاله علينا إلا بإقامة تمثال له فى أحد ميادين القاهرة وتحويل بيته إلى متحف دائم..

وها هو ذا أستاذنا «العقاد» يؤلف فيه كتابا الإمام محمد عبده، عبقرى الإصلاح والتعليم، جدير بإمعان النظر فيه، حتى يعلم من يقرأه من هو الأستاذ الإمام وكيف كانت عبقريته فى الإصلاح التعليمى، والتجديد الدينى حتى استقر جل المفكرين على اعتباره أحد فلاسفة التنوير فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

❑❑❑

مبدأ المساواة أمام القانون وأمام القضاء

جاء الإسلام ليضع حدودا ويرسم حقوقا، فلا تكمل الحكمة من تشريع الأحكام إلا إذا وجـدت قوة لإقامة الحدود وتنفيذ حكم القاضى بالحق، وصون نظام الجماعة، وتلك القوة لا يجـوز أن تكون فوضى.. فلابـد أن تكون فى واحد وهو السـلطان أو الخليفة. كما عبر أحـد الفقهاء يقول الله تعـالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾ [سورة ص – الآية ٢٦].

إذن فالخليفـة هو القاضى.. والقاضى هو ظل الله فى الأرض، ولا يجوز بصحيح النظر أن يخلط الخليفة عند المسـلمين بما يسميه «الإفرنج»: الثيوقراطى «أى» السلطان الإلهى، فهو عندهم يتلقى الشـريعة من الله.. وله من الأثرة بالتشـريع.. وله فى رقاب الناس حق الطاعة.. وبهذه المثابة فرضت الكنيسـة فى العصور الوسـطى، حق السـيطرة على جميع مناحى الحياة، قبضتها على البلاد والعباد!.

أما الإسلام فلم يعرف سوى سلطة الموعظة الحسنة والدعوة إلى الخير والتنفير من الشر وهى سلطة خولها الله سبحانه وتعالى لأدنى المسلمين يقرع بها أنفس أقواهم.

فالإسـلام لا يعرف تفريقا فى العدل فالعدالة يجب أن تسـود الجميع فقيرهم وغنيهم وأعلاهم وأدناهم.

والتاريـخ يشـهد على ما صنع الخلفاء الأمويون والعباسـيون والأندلسـيون من صنائع المعروف مع العلم والعلماء.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [سورة الحجرات – الآية ١٣].

وبهذه المثابة سوى القانون الإلهى فى كتاب المسلمين – كتاب الله الكريم – يبين عباد الله جميعـا.. وإن أكرمهم عند الله ليس بفقره أو غنـاه وإنما بتقواه ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [سورة المائدة – الآية ٤٤] .

وهكـذا جعلت الآية الكريمة الناس جميعا سواسـية أمام القانـون وبالتالى أمام القضاء مسـتمدة ذلك من تعاليم الدين الحنيف، ومن مبادئ الإسلام وقيمه وتعاليمه السمحة، وقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يصوب المصيب ويخطئ المخطئ.

وقد التزم عليه الصلاة والسلام بمبدأ المساواة ببن الناس جميعا أمام القانون السماوى، ومن ثم أمام القضاء «فالعدل أساس الملك».

ومبـدأ المسـاواة أمام القانون وأمام القضاء هو فى فحـواه ومغزاه وجهان «لعملة واحدة» فلا قانون بغير قضاء «ولا قضاء بغير قانون».

فقد سـنت القوانين لتنظيم حيـاة الناس زرافات ووحدانـا، ولتعريف كل منهم بحقه وواجبه، فحق الإنسان ينتهى عندما يبدأ حق الآخرين.

فمنذ عهد عهيد فى مصر العتيقة كما أسمى هذه الفترة «فوستيل دى كولانج» – ولعدة قرون خلت كانت الدولة المصرية التى قسـمها المـؤرخ المصرى القديم «ماتينون» إلى ثلاثين أسـرة مصرية ملكية قسـمت إلى عصور ثلاثة: عصر الدولة القديمة وعصر الدولة الوسـطى وعصر الدولة الحديثة.

كان الحاكم المصرى خلال هاتيك الفترات يضع نصب عينيه عن طريق مسـاعديه مبدأ «المساواة» بين المواطنين أمام القانون وأمام القضاء، وتعد قصة.. الفلاح الفصيح التى دونت على أوراق البردى تشهد على أن حق التقاضى فى مصر الفرعونية كان معمولا به قبيل أن تعرف الحضارة الحديثة مبدأ حق القاضى.

فقد يمم هذا الفلاح الفصيح وجهه صوب فرعون مصر يشـكو له اسـتلاب أحد عسسـه على ممتلكاته طالبا إعادتها إليه.

وجاءت حقبة من حقب التاريخ سعى فيها «الأشراف» لسلب حقوق مواطنيهم «فاختل ميـزان حق التقاضى» واندلعت الفتن وشـب أوار الثورات التـى اجتاحت البلاد وضيعت حقوق العباد.. وفى هذا سجل أحد المؤرخين ما قاله أحد الحكماء:

غلـت مراجـل، الثورة فـى كل البلاد بحيث سـطا اللصوص على الأغنياء وسـلبوهم أموالهم. وهامت النساء فى الطرقات، وترك القوم الزراعة برغم فيضان النيل لفقدان الأمن والطمأنينة.. وسفك الأخ دم أخيه، وقطعت الطرق، وأخذ اللصوص يترصدون للزراع، فضاع حق التقاضى فى أتون تلك الأحداث.

ولكن ما لبث أن عادت الأمور إلى نصابها، وبدأت ملامح النظام القانونى تتطور وأصبح القانون هو السـائد وأصبح الالتزام به واجبا، حتى إننا نجد أن أحد ملوك الأسـره الثانية عشرة يخاطب وزيره قائلا: «إذا جاءت الخصوم فاعمل على أن يتم كل شىء وفقا للقانون، بحيث يحصل كل شخص على حقه».

وبهذه المثابة تساوى الجميع أمام القانون وأمام القضاء مرة أخرى.

وعندما اندلعت الثورة الفرنسية بمبادئها الثلاثة، كانت «المساواة» أمام القانون «وأمام القضاء» إحدى روافدها، وفى ١٤ يوليو ١٧٨٩ عندما قاد الشاب السائر «كاميل ديمولين» الشعب الثائر، لهدم الباستيل، كان على أساس وجوب أن يرضخ الجميع لمبدأ «المساواة» أمام القانون.

وفى ٢٧ أغسطس عام ١٧٨٩ أعلن المركيز «لافاييت» بيان إعلان حقوق الإنسان الذى ينبغى أن يكون قاعدة الدستور كله وتقول مادته الأولى:

ولد الإنسان حرا.. ويبقى حرا.. «متساوى» الحقوق مع غيره..

وقد حرص الإعلان العالمى لحقوق الإنسان الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٤٨ على تقرير حق الإنسان فى قضاء مستقل محايد بما نص فى المادة العاشرة منه على أن:

لكل إنسان – على قدم «المساواة» التامة مع الآخرين – الحق فى أن تنظر قضيته «محكمة مستقلة» «ومحايدة» نظرا منصفا، «وعلنيا» وأن تفصل فى حقوقه، وأن تقضى فى أية تهمة جزائية توجه إليه بالحق والقانون.

❑❑❑

ما هو الكتاب ؟! ..

فـــى امتحان عقدته مؤسســـة صناعية كبرى، فوجئ الطلبـــة المتحنون، وجميعهم من خريجى كليات العلوم، بالســـيد المتحن يســـأل واحدا منهم، قائلها ما هو الكتاب وما هو المعنى الذى يميزه عن المجلة!؟.

وعجـــز الطالب عن الإجابة، كما عجز جميـــع الطلبة، عن الوصول إلى الإجابة الثابتة فـــى ذهن الأســـتاذ المتحن، وعندما طلبوا منـــه أن يدلهم على الإجابـــة الصحيحة، قال الأستاذ: إن الكتاب هو ما شمل موضوعا واحدا.

ومن العجيب حقا أن يكون هذا التعريف للكتاب، هو الخطأ نفسه!

فقد تصدر المجلة شاملة لموضوع واحد، وقد يصدر الكتاب متحدثا فى مواضيع متباينة، ويسمى مع ذلك «كتاباً».

وأود أن أهمس فى أذن هذا الســـيد المتحن، أن ســـؤاله لـــاذا لم يصل العالم بعد، إلى تعريف محدد له.

فلقـــد تباينت الدول واختلفت فى تعريف الكتـــاب، فعرفته إنجلترا بأنه المطبوع الذى لا يقل ثمنه عن ٦ بنســـات ! وتعرفه إيطاليا وأيرلندا بأنه الذى يجب أن لا تقل صفحاته عـــن ١٠٠ صفحـــة، وترى أيســـلندا أن الكتاب هو المطبوع الذى يحتـــوى على ١٧ صفحة فأكثر.. وهكذا دواليك.

ولقـــد اقترحت هيئة اليونســـكو أخيرا أن يكون تعريف الكتاب هـــو ذلك المطبوع الذى يحتوى على ٤٩ صفحة فأكثر.

أنى لا تساءل.. ألم يكن هناك من سؤال، غير هذا الذى عجز العالم كله، عن أن يجد له إجابة كافية موحدة!؟ إنها ولاشك «حذلقة» من السيد المتحن، وأصعب ما فى الأمر أن الامتحانات التى تعقدها بعض المؤسسات، لطالبى العمل فيها، تتصف بالجمود، وتهدف دائما إلى التعجيز!.

□□□

ما قل ودل

الأقصر المدينة الأثرية العظمى الجديرة بمكانتنا التاريخية، وحملت إلينا ملايين السياح وملايين الجنيهات، ومازالت على استعداد للمزيد..

ومن حق الحكومة أن نهنئها بتجديد الأقصر، وتخطيط المدينة على أرقى المخططات العصرية، وبذلك تمحو العار الذى يلحقنا من الذين يزورون أثارها ويصعقون لانحطاط مدارها هكذا قدم الأستاذ الكبير «أحمد الصاوى محمد» لكتابى إليه قائلا فى بابه الأغر «ما قل ودل».

«وأمامى رسالة من الأستاذ محمد مرشدى بركات، وكيل نيابة الأقصر الذى يصور البلد القديم الذى آن الأوان لمحوه إطلاقاً».

لقد روعت ودهشت حينما وطئت قدماى أرض الأقصر مشاهدا إياها لأول مرة فى حياتى منذ أسابيع قلائل، وتساءلت فيما بينى وبين نفسى: هل هذه هى مستودع الأسرار ؟ أهنا يرقد الملوك والحكماء من فراعنة مصر وأجدادنا القدماء؟.

أقول لقد أخذنى العجب العجاب إذ أننى رأيت أمامى «مدينة بلا شخصية» ليس فيها مسحة من فن أو لمسة من جمال «والمدن التى بلا شخصية – كما عبر صاحب كتاب المدينة على مر العصور مقضى عليها بالزوال! نيلها الخالد يشق قلبها حزينا مهموما يشكو ما ألم به من إهمال ينظر إلى ماضيه فى حسرة وإعوال! برها الغربى مدينة الموتى – وهو فى حقيقة أمره مثوى الأحياء ينعزل عن برها الشرقى فى خيلاء وكبرياء وليس هناك من رابط يربط ما بين البرين، ولكى يصل المرء إليه لابد وأن يلاقى الأمرين.

إطارها الحديث لا يتناسب مع جلالها القديم.. مبانيها باهتة خالية مما يميزها فلا هى شرقية ولا غربية بل هى مزيج عجيب من الألوان والأشكال والأحجام التى قد ترجع إلى عهد الهكسوس؟! زوارها وضيوفها والوافدون عليها والقاطنون بها يصعب إيصال الخدمات الضرورية إليهم وفى مقدمتها الماء الذى ينساب إليهم مختلطا بالتراب فى لون لم نسمع عن مثيله فى أرض ولا فى سماء ؟!.

❑❑❑

لـو .. عـاد إدوارد لـين .. ؟! إلى الأسكندرية

إنها إحدى مدن (مصر العتيقة) كما وصفها «فوستيل دى كولانج» وعلى غرار تلك القديمة التـى ذكرها «لويس ممفورد» فى مؤلفه القيم « المدينـة على مر العصور «City in History» فهـى مدينة لها تاريخ وذات تاريـخ والتاريخ كما جاء فى قواميس اللغة، هو جملة الأحوال والأحـداث التـى يمر بهـا كائن ما، ويصدق علـى الفرد والمجتمع، وكذلـك على الظواهر الطبيعيـة والإنسـانية. أما التاريخ، فهو تسـجيل لهاتيك الأحـوال، والأحداث، والظواهر التاريخية المصاحبة لها.

وقد تواترت جملة أخبارها وسجلت جميعها فى تواليف، ومدونات المؤرخين، والرحالة العرب، والأجانب على السواء.

كتب «ابن زولاق» يقول عنها فى كتابه «فضائل مصر وأخبارها وخواصها»:

ومنهـا «اسـكندرية» وعجائبها، ومنارتها طولها مائتا وثمانـون ذراعا، وفيها المرآة التى يرى فيها كل من يمر بالقسـطنطينية .وكان بها عيد يعمل كل سـنة يترامون بالأكره، فمن وقعت فى كُمه ترشح للملك، وكُتب اسمه، ومن هذا كان سبب ولاية عمرو بن العاص، لأنه حضـر هـذا العيد فى الجاهلية، وكان عمرو فى النظـارة، فوقعت الأكرة فى كمه، فعجبت الروم والقبط من ذلك، وقالوا: وأنى لهذا العربى أن يتملك مصر! فلُم ذلك فى نفسـه إلى أن كان من أمره ما كان!.

ويذكـر «تقى الدين المقريزى» فى كتابه «تاريخ الأقبـاط»: أنه بعد الفتح العربى لها علم الأب «بنيامين» بدعوة عمرو بن العاص له ليؤوب إلى الإسـكندرية بعد غيبة له عنها دامت ثلاثة عشر عاما أمضى منها عشر سنين أثناء حكم «هرقل» والثلاث الباقية أثناء الفتح العربى إلى أن أبلغـه «سـانتيوس» بدعوة عمرو له للعودة إليهـا، وإذ حضر أكرمه «عمرو» وبالغ فى الحفاوة به ووسـده رئاسـة الكنائس ليرعى أحوال الأقباط بالإسكندرية وكان من نتائج عودة «بنيامين» إلى كرسى البطركية أن رجع كثير من الأقباط إلى المذهب الأرثوذكسى بعد أن كانوا قد نبذوه نتيجة لاضطهاد «هرقل» لهم والذى كان قد هدم الكثير من الكنائس والأديرة ومنها كنيسـة «مارى مرقص» الشـهيرة الموجودة بها والتى بنيت فيها بين عامى ٣٩هـ، و٥٦ هـ

زمن البطريرك «أغاتو» البطريرك التاسع والثلاثون فى خلافة معاوية ابن أبى سفيان.. وبعد أن أصبح الإسلام دين الغالبية العظمى فى مصر.

ويسجل ابن عبد الحكم ـ أول مؤرخ لمصر الإسلامية (١٨٧ – ٢٥٧هـ: ٨٠٣ :٨٧١) فى مؤلفه «فتوح مصر والمغرب» عندما نزلت الروم إلى الإسكندرية وكان «عثمان بن عفان» قد عزل عمرو بن العاص، وولى عبد الله بن سعد، فسأل أهل مصر عثمان أن يقر عمرا حتى يفرغ من قتال الروم فإن له معرفة بالحرب وهيبة فى العدو ففعل.. وأمعن عمرو فى قتلهم .. ثم رفع السيف عنهم وبنى فى ذلك الموضع الذى رفع فيه السيف مسجداً وهو المسجد الذى يقال له «مسجد الرحمة».. وإنما سمى ذلك لرفع «عمرو السيف» هناك.

كما جاء فى كتاب « مروج الذهب ومعادن الجوهر «للمسعودى»: «وكان الإسكندر بن الفيلقوس المقدونى قد بنى الإسكندرية على خليج من النيل، فوصل أسوان بها. وحكى عنها «ابن جبير» فى رحلاته، مشيدا بهوائها العليل، ونسميها البليل، وكذلك كان الأمر معها فى روايات المؤرخين العرب العظام أمثال «الطبرى»، و«البلاذرى» فى سفره «فتوح البلدان» ناهيك عن «ابن البطريق»، و«أبى الصلت» وكذلك «السيوطى»، قطب الموسوعات العربية والإسلامية الذى أشاد بها متعجبا من فنارها، و «السلفى» الذى وفد إليها فى سنة (٥١١ هـ – ١٤٤٥م) واستقر بها زهاء ثلثى قرن إلى أن توفى عام ١٥٠٥م أما «الواقدى» فقد كتب كتابا عن «فتح مصر والإسكندرية» هذا بالإضافة إلى ما جمعه عنها «ساويرس ابن المقفع» «أسقف الأشمونين».

وفى يوم الاثنين الثامن عشر من يوليو ١٨٢٥ أبحر المستشرق إدوارد وليم لين. من بلده انجلترا ميمما وجهه شطر الأسكندرية، قاصدا إياها بطريق البحر على مركبه الشراعى «Findlay» منطلقا به يخوض عباب اليم. وبعد رحلة شاقة دامت حوالى شهرين لاحت له الإسكندرية على بعد سبعة فراسخ تقريبا، تظهر له معالمها واحدا إثر واحد، وقد انتابته مشاعر يختلط فيها الاهتمام بالقلق العميق يحد من بهجة هاتيك المشاعر التى تموج فى داخله، فكان يشعر فى خلجات نفسه وطيات قلبه بما شعر به «العريس الشرقى الذى يوشك أن يرفع النقاب عن وجه عروسه التى لم يرها بعد»، وشاهد عن كثب – وهو لما يزل يمتطى ظهر الماء – برج «أبو صير»، ذلك البرج الرومانى القديم الذى يقع غرب الإسكندرية، حقيرا متهدما.

ثـم دفع بنظره إلى الأمـام فإذا بقلع ضخم يمثل عمودا عظيما يطلـق عليه الرحالة عمود «بمبى» وهو المعروف عند المصريين بـ «عمود السوارى».

ورمى ببصره إلى اليمين فلم يلبث أن رأى قمة تلال شـامخة من «النفاية» يعلو كلٌ منها حصنـا، وإذ نزل إلى اليابسـة، وحط بقدميه فى المدينة يجـوس خلال أرضها، ألفى مظهرا غريبا لحارات ضيقة، وقد انتظمت الدكاكين على جانبيها ورأى أهل البلاد، وشاهد العباد، الذيـن يختلـط بهم الحابل بالنابل من الأتراك، والمغاربـة، ناهيك – بداهة – عن المصريين وقد أطلقوا لحاهم فهذا بدوى مسـفوح، فى وجهه قتامة، وفى نظراته جسـارة، وذاك يتدثر «بحِرام» من الصوف كما بدا له التناقض البين الصارخ بين ملبس الطبقة الدنيا، كذلك المرأة الملتفة فى خمارها القاتم، والجتدى المتسـكع وقد تمنطق بطبنجته، وسيفه، والطفل العارى الذى أثقل الإملاق ممشاه. وبين هذا وذاك، الحشد الحاشد من السابلة، بين راجل، وراكب فوق حمار، أو جواد، وثمة جمع يقبع فوق البغال، وتلك قافلة تحمل قرب الماء على ظهور الجمال، تمشـى بخطى وئيـدة حذره.. يصيح من عليها تارة بعد تـارة ،وحينا بعد حين، محـذرا ومنبهـا بالعربية، والتركية، والإيطالية.. تلك اللغات التى كانت سـائدة فى البلاد حين ذاك.

ودأب «لين» على الجول والصول فى أرجاء الإسـكندرية، وشـوارعها على نحو ما ذكر الأستاذ القدير طاهر نور فى ترجمته لحياة وآثار «لين»، وسرعان ما أدرك أنها ليست بالمدينة التى خالها، فأحس بخيبة الأمل، بعد أن رآها حينا من على متن البحر، ثم شـاهدها مرة أخرى على ظهر البر، فشـد الرحال إلى القاهرة «المحروسة» عن طريق ترعة المحمودية مارا بمدينة «فوة» التى ذكرها ووصفها، فما كان الآثار القديمة المتناثرة بالإسـكندرية لتغريه على البقاء فيها. كما عبر «لين» فى كتابه «وصف مصر» «Description of Egypt» وهو يختلف – بداهـة – عـن الكتاب الآخر ،وصف مصر «Description De l'Egypt» الذى ألفه علماء الحملة الفرنسية برئاسة «جومارا» عن مصر.

ولكم تمنينا أن يكون «إدوارد لين» لما يزل على قيد الحياة، أو يبعث من رمسـه، ليرى بنفسه، نواحى الجمال، ومناحى الجلال، الذى أشرق به وجه الأسكندرية، فأصبحت كما كانت فى الماضى غير البعيد – عروس البحر الأبيض المتوسط – بادية الحسن، رائعة البهاء، فى كل صبح ومسـاء، فقد أقبلت الدنيا عليها بعد أن ذاقت وبال حكامها، وكانت عاقبة

أمرها خسـرا، فأزرى بها البلى، وغاض الرونق وأمسى ذكرى. وشربت كأس التخلف حتى الثُمالـة.. إلى أن جاء إليها «موسـاها» بعصاه – فتبدل حالهـا ومآلها، وأقبلت الدنيا عليها دون أن «تعيرها محاسـن غيرها». وأشرق سناها فأعاد سيرتها الماجدة، فمن رغب فيها أتى إليهـا، وأقبل عليهـا الوفود زمرا، من كل فج عميق، فأضحـت تضحك، بعد أن كانت " رهينة محبسين" من أعتلال وإهمال، تبكى حتى تمسى لما أصابها من محن وإحن، وازدانت بجمال ثيابها، وأظهرت لين إهابها، وانطلق لسانها – يقول بعد أن فاح عبق عطرها وزهرها وأمسى الناس يرجون شمسها وظلها: علام نام الناس عن «تمداحى»؟!.

فها هى ذى الإسـكندرية التى أسست بأمر من «الإسكندر الأكبر المقدونى» ابن آمون كما وصفه كهنة مصر، فى غضون القرن الثالث قبل الميلاد، بعد أن غزاها منهيا بغزوه لها حكم الفرس عام ٣٣٢ قبل ميلاد «السـيد المسيح»، متخذا منها عاصمة للحكم اليونانى مخلدا بها اسمـه. وقيـل – كما دون «المقريزى» – أنه قد وجد فـى تخومها تابوتاً من النحاس بداخله تابـوت من الفضة، وطيه تابوت من الذهب، ففتـح، فوجد فيه مكحلة من ياقوت أخضر، مرودهـا عـرق زبرجد، فدعا القائم عليها، فكحل إحـدى عينيه، كما قيل عنها أنها بنيت بالرخام الأبلق يعجن كالشمع.. وأنها بعد ذلك أمست فى خراب ثلاثمائة سنة.. ها هى ذى تبنى وتشيد كأعظم ما يكون البناء، وأفخم ما يكون البناء، وأروع ما يكون التشييد مستعيدة سـابق مجدها حيث كانـت جامعتها ذات يوم أكـبر جامعة عرفها العـالم القديم يتواكب عليهـا المفكرون والعلماء، والفلاسـفة والأدباء من شـتى أنحاء الدنيـا، وازدهرت بها علوم الفلك والجغرافيا والنبات والحيوان والطب والتشـريح والجراحة والرياضيات، وكان لعلمائها الفضـل فى التوصل إلى الحقائق العلمية والمبادئ الفلكية مثل دوران الأرض حول الشـمس، وتقدير محيط الكرة الأرضية، وكان من أشهر علمائها «إقليدس» عالم الهندسة، و «بطليموس» الجغرافى، والمؤرخ المصرى الشهير «مانتيون».

وها هى ذى الأسكندرية التى كانت – بعد أن وصل (البطالة) إلى سدة الحكم، ومن بعدهم الألبانى محمد على – أهم مدينة تجارية فى العالم، تعود إلى سـابق عهدها، فتصبح موئلا للتجارة وواجهة للحضارة، كما كانت ذات يوم بعيد مركزا (للحضارة الهيلينستية).

وهاهى ذى (مكتبتها) ذات التاريخ العريق والمجد العتيق والتى كانت أول مكتبة حكومية عرفها العالم حيث أنشأها بطليموس الأول لتكون مصدر إشعاع ثقافى وعلمى تشع بنورها على

أرجاء البسيطة، والتى كانت تحوى بين جنباتها، مجلداتها، وكتبها، وأسفارها التى لا تعد ولا تحصى تفتح أبواب علمها ومنافذ حكمتها من جديد لكل من يرغب فى أن ينهل من معينها الذى فاض على العالم كله ذات يوم بعلمائها وفلاسفتها ومنهم أنطوليوس، وأراطس، وماريا، وثيودوسيس، وأوسلا، وبندقليس، و بطليموس وجالينوس ،الذى بها تعلم ومن كتبها أخذ، وغيرهم من الفلاسفة والعلماء، تنبئ عن المجد التليد، وتؤكد الحاضر السعيد، مرهصة بتباشير المستقبل العلمى المجيد، فقد ولدت عملاقة كما كانت بما تحويه من جماع ما أنتجه العلم وأفاء به العقل البشرى سواء أكان تقليديا أم إليكترونيا من شتى الحضارات القديمة والحديثة، وبجميع لغات الأرض.

وها هوذا «فنارها» الذى كان إحدى عجائب الدنيا السبع والذى كان معروفا باسم «فاروس»، والذى قاوم شراسة البحر وضراوته حتى القرن الرابع عشر، يوشك أن يعود إلى سابق عهده، ويستعيد سابق مجده، فيحول غلس الليل لمن يركب البحر فى ظلمته، إلى نهار!.

ها هى ذى الإسكندرية التى شهدت قصة الحب الخالدة بين «كليوباترا السابعة» آخر ملوك الأباطرة ء و«أنطونيو» القائد الرومانى الأشهر، وانتحرا كلاهما بعد هزيمتهما فى معركة «أكتيوم» وقيل إن كليوباترا قد أقدمت على ذلك حتى لا تسير وهى الملكة المصرية المتوجة، أسيرة فى شوارع روما مع غيرها من الأسرى، والتى خلد «شكسبير» قصتهما مع الإسكندرية فى رائعته «يوليوس قيصر» وناجاها أمير الشعراء أحمد شوقى وهو فى منفاه بالأندلس فى «سينيته»، مخاطبا إياها:

نفسى مرجل وقلبى شراع بهما فى الدموع سيرى
واجعلى وجهك (الفنار) ومجراك وأرسى يد (التغر) بين رمل ومكس

ها هى ذى الإسكندرية، «مدينة المدائن» تدعو التاريخ – وهى المدينة الخالدة الثاوية فى بطنه – إلى أن يسطر عنها مجددا فهى تصحو والناس نيام، وتستقبل الأنام.. زرافات ووحدانا بالبشر والترحاب. من يفارقها يعاودها ويحن إليها، والدموع وهام!.

❑❑❑

لمن تُدق الأجراس ؟!

خفق قلب مصر! وعندما يخفق قلب مصر يخفق معه قلب العالم العربى والإسلامى، وعندما يخفق قلب مصر فإن ذلك يعنى أن مصر قد فقدت ابنا بارا من أبنائها العظام.

رحل عنا الإمام الشعراوى.. وغاب! وذهب بعيدا دون إياب بعد أن دانت له الإمامة فى أفاق الدنيا وفى أفاق الدين، بصبر السنين وتغضين الجبين، وذاع صيته وشاع فى الأقطار والأمصار، بعد أن بلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، وكان عطاؤه فى خدمة دين الله، على قدر عظمته عطاء جامعا مانعا.

جلست إليه بصحبة تلميذه المستشار محمد عبد المنعم الفقى قبيل وفاته بأسابيع قلائل حاورته وحاورنى، وسألته فأجابنى وما وجدت منه إلا أدبا، وعلما وتواضعا، وحلما وذكاءا وقادا وعقلا وهاجا، والناس تتقاطر عليه، منهم من أُشكل عليه أمر فهُرع إليه ومنهم من ألم به ألم جاء ليلقى به عليه ،وما أكثر ذوى الحاجة الذين وقفوا بها بين يديه وهو يجيبهم جميعا إلى طلبتهم، يفرج بها كربتهم، فهو عبد من عباد الله أتاه الله بسطة فى العلم وفضلا من لدنه فيعطى لمن يطلب مما وهبه الله، فهو أولا وأخيرا من عند الله.

علم الناس معنى الفقه، ومعنى الحديث وجدد الله سبحانه وتعالى دينه على يديه ،وفاز بمحبة الناس جميعا بأصغريه «قلبه ولسانه» وأسس للقرآن الكريم جامعة عالمية، علم فيها الملايين ممن كانوا يرهفون أسماعهم ويشخصون بأبصارهم إلى يوم لقائه معهم من شتى بقاع الأرض يحدثهم ويعلمهم بأسلوبه المتفرد الفرد، آداب الإسلام وتعاليمه، وأسرار كتاب الله وما استغلق عليهم من مفهم وإفهام، فكان رجلا فى أمة وأمة فى رجل.

ثم جاء يوم الرحيل ورأيت عن كثب.

كما شاهد الملايين عبر التلفاز كيف زحفت الجموع الهادرة ونزحت دانيها وقاضيها من شتى ربوع مصر لتوديع ابن مصر البار الذى نُقل إلى الله، ولم يرجوا أحداً سواه.

وفى خضم هذا البحر اللجى تَبين صورة لا تفارق العين وتظهر بجلالها للناظرين إخوتنا المسيحيين إخوة الدين والوطن الذين قالوا إنا نصارى وأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون وتفيض أعينهم من الدمع، لتوديع شيخ الإسلام، وأجراس الكنائس تدق دقا رتيبا حزينا وكأنها جاءت هى الأخرى لتوديع الإمام.

هذه هى مصر بعنصريها حزب واحد وهو حزب الله ترسل عبر الأثير رسالة للعالم أجمع رسالة، لا لبس فيها ولا غموض لكل من سولت أو تسول له نفسه، أن يقول إن فى مصر أقلية وأغلبية، وإن فيها مسيحيين ومسلمين.

ومنذ متى لم تكن مصر كذلك؟ ألم يخطب (سرجيوس) فى الجامع الأزهر الشريف إبان ثورة ١٩ ضد الإنجليز (المسيحيين) المستعمرين؟.

ألم يقل سعد العظيم لملك مصر فؤاد عندما اعترض على تعيين وزيرين مسيحيين فى وزارته، ومع اعتراضه وامتعاضه قال له سعد زغلول: إن رصاص الإنجليز حينما انطلق إلى قلوب المصريين لم يفرق بين دم مسلم ودم مسيحى؟.

وأنظروا معى واقرأوا هذه الشذرات المتفرقات التى رثى بها الإخوة المسيحيون الأمام الراحل.

قال القمص مرتضى عبد المسيح راعى كنيسة السيدة العذراء.

كنت أطالع ما كتبه عن تفسير سورة «الكهف» كنموذج من كتاباته ونحن نشاطر العالم الإسلامى حزنه ونذكر نشاطه الدؤوب فى الدعوى إلى الدين الحنيف.

وقال ممثل مجلس كنيسة العذراء مريم، الأستاذ جميل زكى حنا إن هذا (الحادث)، ولاحظوا معى كلمة (الحادث) المؤلم خسارة للإنسانية.

ثم هاهوذا قداسة «البابا شنودة» – فيما نشرته الأخبار – يخرج من سرادق العزاء وعيونه تكشف عن دموعه والحزن يرتسم على محياه، قائلا: لقد تأثرت كثيرا أمس واليوم وغدا بوفاة صاحب الفضيلة العالم الجليل والإمام الورع، لقد كان رجلا محبوبا من الله ومن الشعب وعاش فقيها مخلصا وصالحا.

ويا من تجرأتم واجترأتم على مصر ذات يوم قريب، وأردتم أن تثيروا فيها فتنة.. لن كانت تدق الأجراس، إنها تدق لكى تنعاكم؟!

ومعذرة للكاتب العالمى أرنست هيمنجواى.

❑❑❑

كفافيس.. عاشق الإسكندرية ..

كانت الإسـكندرية تموج بدءا من نهاية القرن التاسع عشر وحتى بداية النصف الثانى من القرن العشرين بنهضة صحفية وإشراقات أدبية وتألقات مسرحية تمثلت فى هذا الزخم الذى انسـاب إليها زرافات ووحدانا متمثلا فى من هاجر إليها من بلاد الشام أو الأجانب أواليونانيين أو اليهود أو غيرهم ممن اتخذوا الإسكندرية لهم مقرا ومكانا.

كنا نقيم فى الإسكندرية فى بداية النصف الأول من القرن العشرين إقامة دائمة منتقلين من حى إلى حى فمن الرصافة إلى محرم بك حتى استقر بنا المطاف إلى حى الإبراهيمية هذا الحى الراقى الجميل الذى كان يمتلئ بالصفوة من أهل الإسكندرية.

كنـا نقطن عمارة «عريضة» التـى تطل على البحر فى الطابق الـذى يعلونا «إسماعيل يس» الذى كثيرا ما كان يداعبنا ونحن صغارا، كنا نمرح ونرتع على شاطئ البحر الملاصق لنا حيث كانت الشـمس تخرج من خدرها صباحا وتتوارى بقرصها الأحمر الذهبى مساء، ونحن إما نغوص فى مياه بحرها أو نتملى بالنظر إلى جمال غروب شمسها، ولا نؤوب إلى بيتنا الذى كان بيننا وبينه خطوات جد يسيره إلا بعد تأكدنا أن قرص الشمس قد سقط فى قـاع البحر، ولم تكن الحرب العالمية الثانية قد وضعت أوزارها وكان أزيز الطائرات يقرع أذاننـا فى غلـس الليل حيث الطائرات المغيرة على مدينة الإسـكندرية، وحيث صافرات الإنـذار تنذرنا بين الحين والحين بوجوب إطفاء الأنوار، والهرولة إلى المخابئ التى كانت تنتشر بين أرجاء الإسكندرية مخافة أن يحدث ما لا يحمد عقباه.

مع ذلك لم يكن مسرح «إسماعيل يس» يتوقف، وكذلك مسرح «يوسف بك وهبى» الذى أذكر أن جدى عليه رحمة الله – قد اصطحبنى إلى مشاهدة مسرحيته «كرسى الإعتراف» يتجاذب فيها يوسف وهبى أطراف الحديث مع زملائه من الممثلين باللغة العربية المتعمقة بالفصحى وهو يرتدى مسوح الرهبان السوداء.. ولم أفهم منها إلا أقل القليل؟!.

وكانـت الصحـف تصدر آنذاك بكثرة متتالية بعضها وراء بعـض، وأذكر أن كان منها البصـير والزمان والبلاغ والنـداء، ناهيك عن بعض الصحف الأجنبية التى كنت أراها بين يدى والدى، غفر الله له.

فى هذه المدينة الساحرة توطدت أسرته فى الإسكندرية، وتوطدت علاقة عائلته بأهلها و ناسها، فقد كانت هى «الفردوس المفقود» الذى مازال يبحث عن داريل، وفورستر، وكفافيس، على حد تعبير الأديب الأستاذ «علاء خالد» فى كتابه الجميل» وجوه سَكندرية.

أكب «كفافيس» على قراءة الأدب الغالى، ونهل من مناهل الشعر الأوربى، وكذلك الشعر اليونانى، وعلى الأخص «سفر تونسيوس سولوموس» الذى أصبح فيما بعد الشاعر القومى لليونان، وعمل بصحيفة تلجراف السكندرية، وأصبح جل اهتمامه موجها لكتابة القصائد الشعرية والكتابات النثرية، كما عمل فى مصلحة الرى المصرية، وأحيل إلى التقاعد عام ١٩٢٢.

وقد نشرت مجلة «Crammat» التى تأسست عام ١٩١١ الكثير من قصائد وترجمت إلى الفرنسية والإيطالية والألمانية والإنجليزية.

وإذ حضر م. فورستر إلى الإسكندرية مراسلا لصحيفته لينقل إليها أخبار الحرب العالمية الأولى وما أن تكون الإسكندرية قد تأثرت به من جرائها، فقد عرف قلبه صداقته لها، أصبح «كفافيس» فيما بعد إحدى الشخصيات الأدبية القليلة التى يحرص زائروا الإسكندرية من جميع أرجاء الدنيا فى الالتقاء به، حيث كان يملك قدرة فائقة على الحديث عن الشخصيات التاريخية التى تنتمى إلى الماضى السحيق.

ومن المعروف إنه قرض الشعر وهو لما يزل بعد غض الإهاب لم يتجاوز سنه العشرين عاما.

ضاق منزله بالكتب التى كان يقتنيها حتى ضاق المكان بها وبه، وكتب عن نفسه يقول: «الكثيرمن الشعراء شعراء أما أنا فشاعر مؤرخ أنا لا أستطيع كتابة رواية أو مسرحية، ولكننى أشعر بداخلى بما يربو على المائة شخص يخبروننى أننى بارز على كتاب التاريخ.. ولكن لم يعد هناك المزيد من الوقت»، هذا بعد أن ترك للبشرية ثورة ضخمة من شعره ونثره الذى قام بترجمته الأستاذ «رفعت سلام» تحت عنوان «الأعمال الشعرية الكاملة قسطنطين كفافيس»، ومثل هو وزميلاه فورستر، و «داريل» – صاحب الرباعية المشهورة.. رباعية الإسكندرية – هؤلاء الثلاثة الأشهر فى حب الإسكندرية، وفى التغرد بها.

وفى غضون شهر نوفمبر ١٩٣٢ ظهرت عليه علامات المرض فرحل إلى اليونان لاستشارة أطبائها فيما اعتوره من مرض ثم آب إلى الإسكندرية حتى قضى نحبه فى ٢٩ أبريل ١٩٣٣ الكائن بالشارع الذى يحمل اسمه الآن.

ويوجد له الآن متحف بالإسكندرية حيث ابتاعت القنصلية اليونانية بيته وحولته إلى مزار يرتاده الجميع من كافة أرجاء الدنيا حوى بين جدرانه مقتنيات وآثار هذا الشاعر الفذ.

❑❑❑

obeikandl.com

حدث .. ذات ليلة .. ؟!

الليـــل ليل داج ليل قر. والريح ريح صر. المطر يهمى من سماء الإســكندرية فى تتابع مستمر. تتساقط ندف الثلج فوق رؤوس الأحاد والجماعات من المارة فى تلك المنطقة الثانية من مدينة الثغر. على أحد الأفاريز راح شــاب فى مقتبل العمر يزرع الطريق جيئه وذهابا. جســمه النحيــل لايقوى على تحمل لذعــة البرد القارص ضاعت منه معــالم الطريق. أين كان؟..من أين جاء؟.. وإلى أى مقصد كان يتجه؟.. لايدرى؟. وأنى له أن يخْبر ذلك، فلقد توقف عقله تماما عن التدبير وشل عن التفكير. تفصد العرق غزيرا من جبينه. كيف؟ ومع زمهرير البرد.. لا يعرف؟ فقد انقض عليه دوار لم يعهده من قبل. زلزله زلزالا شديدا.

دار أمجد حول نفســه فانزلقت قدماه وســقط أرضا فى هذا البحر اللجى من المياه التى تجمعــت من جراء المطر الحاد العنيــف المنهمر الذى دأب على ذلك فى مثل هاتيك الأيام من شهر يناير من كل عام، منذ سنين عددا.. أيام طوال. والحال على هذا المنوال. لم يفُق إلا بعد أن ألقى نفســه محوطا بعدد من الرجــال ذوى الثياب البيضاء. ثم عاودته الغيبوبة مرة أخرى فراح فى سبات عميق من النوم وغاب عن الوجود.

عبثا حاول الأطباء أن يكتشــفوا من هو؟ أو أن يعرفوا اسمه أو أن يســتدلوا على عنوان بيته الذى يقطن فيه. ذهبت جميع محاولاتهم أدراج الرياح. كانت جيوب سترته قد خلت مما ثبت هويته أو شخصيته فقد فقدت منه بطاقته منذ شهور خلت إثر نوبة من النوبات التــى كانت تنتابه عقب تناوله لهذا المخدر الذى اعتاد عليه مع قرناء الســوء الذين كانوا يلازمونه كظله مســتغلين صغر ســنه وبســطه العيش التى كان يعيش فيها وبين ظهرانيها وإنعدام ثقافته.

بينمــا كان يرقد على أحد أَسِــرة المستشــفى التى نقل إليها كان والــده وكذلك والدته قــد هدهما الهم، ونال منهما الغم، واعتورهما إحباط شــديد اعتصر قلبيهما اعتصارا فمنذ أن غاب وحيدهما أمجد ولم يعد، وفشــلت جميع المحــاولات للعثور عليه وهما على هذا الحال، فقد رزقا بابنهما هذا بعد ســنوات طويله من زواجهما وأحاطاه بكل عناية وشملاه بشــتى أنواع الرعايــة كان كلاهما يؤمل أن يراه فى مركز عــال مرموق.ولكن – هاهى ذى – المخــدرات القاتلــة تحيط به من كل جانب بعد أن عجز الأب وكلت الأم عن إثنائه عن تعاطــى التبغ الذى دأب على أن يتعاطاه والذى قاده فيما بعد لإدمان تلك المخدرات. بذلا

كل جهد، وسعيا ما وسعهما السعى ولجئا إلى الترغيب والترهيب دون أن يصلا به إلى بر الإمـان وهـا هى ذى النتيجة الطبيعية، غياب الابن دون أن يعرف أى إنسـان أين ذهب وما الذى دفعه لهذه الغيبة التى طالت واستطالت.. دون إياب!.

كان الإدمان قد استبد بأمجد وأوصله إلى حالة شاذة غير طبيعية فلم يكن يمر عليه يوم أو يومـان إلا ويقع صريع الحاجة إلى المخدر الذى أضحى يجرى مجرى الدم فى جسـمه مما كان يدفعه دائما إلى طلب المزيد من المال من أبيه، لكى يسـتطيع الحصول عليه، فإذا امتنـع الأب، يمم وجهه شـطر الأم، وإن تقاعسـت الأم عن إجابتـه لطِلبته، مد يده إلى الأصدقاء يستدين منهم لكى يواصل السير فى الطريق الذى رسمه المخدر له.. طريق المرض والفشل وغياب الذهن وتشتت الذاكرة حتى أمسى ،وقد كان شابا يافعا سليم الجسم صحيح البدن متألق الذهن فإذا به يمسـى هزيلا مريضا مضطربا لاعقل له ولا كيان أو هو كما عبر أحد الفلاسفة «ريشة تذروها الرياح»!.

تحجـرت الدموع فى عين المهندس أحمد وأخذت الذكريات تقوده إلى اليوم الذى رزقه الله فيـه بابنه الوحيد وكيف كان سـعيدا بمولده وكيف كانـت الفرحة ترقص فى عينيه وعينى والدته التى تكالب عليها الناس الأقارب والأصدقاء يزجون لها التهنئات مباركات على مولودهما الذى جاء إليهما بعد طول انتظار.

توقفـت الذكريـات عند اليوم الذى فجع فيه بما علمه من والدته أن ابنها الذى لما يزل فـى ربيع عمره يدخن وأن لفافه التبغ أصبحت تلازمـه كظله.. يومها اصطحبه والده إلى شـيخ الجامع لكى يسـدى إليه نصائحه لإبعاده عن هذا الوافـد الجديد عليه لفافة التبغ وتداعت الذكريات فى عقل الأب فتذكر كيف ظل إمام الجامع الشـيخ أسعد يعظه وينبهه إلى خطر هذا الأمر على صحته.. على قلبه وعقله مؤيدا مواعظه بآراء الأطباء الذين أجمعوا – من شـتى البقاع والأصقاع على أن السـيجارة تؤدى إلى مزيد من الأمراض لمن يتعاطاها آخـذا فى تكـرار ما يقوله: يا بنى إن هذه العادة عادة سـيئة قمين بك وبأمثالك أن تكفوا عنها.. وإلا فالالتهاب الرئوى، والعقم، والسـرطان بأنواعه فـى انتظار من يدأب عليها، ويمضى فى الطريق إليها.

وواصل الشـيخ حديثه إليه.. كما وأن الدين يحرمها، ويجرمها لأنها تضر بالإنسـان ضررا بالغا، إن لفافة التبغ فيها السـم الزعاف فهى تسـمم جسـم الإنسان وتسلبه محجة الصواب لأنه يبدد أمواله عليها والدين يقول: (لاضرر ولا ضرار). ناهيك عن أن لفافة التبغ هذه كما تضر صاحبها فإنها توقع الضرر على الآخرين الذين نجاهم الله منها فهم يتنفسون

ما ينفثـه المدمن من دخـان هذه اللفافة اللعينة فيصبحون هم الآخرون وكأنهم يدخنون لأن المدمـن لايؤذى نفســه فقط بهـا بل يوقع الأذى بغيره الذين لاذنب لهـم إلا أنهم خالطوه وجالســوه وذكرَّ الشـيخ، أمجد بالفتوى التى صدرت من فضيلة مفتى الديار المصرية والتى توصم المدمن بوصمة الكفر، فإن الله سـبحانه وتعالى قد وهب الانسان العقل لكى يقوده إلى الخير لا إلى الشـر، وإلى أن ينفع نفســه لا أن يضرها. يومها خرج الأب من صحن الجامع متأبطا زراع ابنه أمجد الذى ظهرت على قسـمات وجهه البرئ اقتناعه بما قاله الشـيخ.. ولكن - ها هى ذى أمه تخبره بعد قليل من هذه الزيارة. والأسى يستبد بها أنها عثرت على علبة تبغ فى جيب ستره ابنها.

أخذ شـريط الذكريات يتداعى فى ذهن الأب المكلوم دون توقف، أما الأم فقد انسـابت الدمـوع من مآقيها منذ غياب ابنها ووحيدها وظلت هكذا وكأنها نهر يجرى حتى حفرت الدموع فى خديها خطين مميزين يسيل فيهما الدمع الثخين.

عجزت الشـرطة عن معرفة أى خيط يقودهـا إلى معرفة ما جرى للابن المفقود، وكذلك كان الأمر مع أصدقاء أمجد وزملائه وأترابه فلا مخفر الشـرطة نجح فى الاسـتدلال على ما جرى له، ولا المستشفيات عثرت على اسمه بين النزلاء بها، مما زاد الأمر تعقيدا. طفق الجميع يبحث عنه دون جدوى!.

فى مستشـفى الدكتور حسـين كان المريض المجهـول يفيق من حالتـه التى انتابته، ويسترد عافيته رويدا رويدا بعد أن أحاطت به رعاية الله التى استجابت لدعوات والديه، وأخذ يتذكر ما جرى له فى الليلة الليلاء منذ شـهور ثلاثة خلت.. لقد دعاه صديقه فؤاد إلى جلسـة من تلك الجلسـات المشـبوهة والتى يتناوب فيها الجلسـاء تعاطى المخدرات واستجاب أمجد لدعوته وشد الرحال إلى المجلس اللعين فى ضاحية أبى قير بالإسكندرية حيـث انفض المجلـس فى الهزيع الثالث من الليل وإذ خرج أمجد من بؤرة الفسـاد هذه بعـد أن ذهـب كل صاحب له إلى وجهته، كان قد تعاطى كمية كبيرة من المخدرات، أراد أن يستقل عربة أجرة إلى حيث يقيم بناحية الإبراهيمية، ولكن المطر الشديد الذى حاصره كان ينزل على أم رأسـه جعله يترنح كما أن السـابله تفرقوا جميعا تحت وابل المطر الذى كان يتسـاقط عليهم مدرارا وكأنه أفواه القرب. هُرعوا إلى المظلات الواقية التى تمثلت فى أسـقف العمارات والنوافذ، أما أرتال السـيارات بما فيها عربات الأجرة فقد غيرت سيرها أو توقفـت تماما عن السـير خوفا من بطش المياه بها. أما هو فقـد حاول النزول من أفريز

الطريق فانزلقت قدماه من جراء امتلائه بمياه المطر وكان المخدر قد فعل فعله معه فأصيب بدوار قاتل ووقع أرضا. فى تلك اللحظة كان الدكتور حسين مستقلا سيارته متوجها بها من مدينة الإسكندرية إلى مدينة (أدكو) – إحدى أعمال محافظة البحيرة – فألفى أمجد مرميا على أرض الشارع فتوقف بسيارته وحمله إليها إلى المستشفى الخاص به بمدينة أدكو والتى تبعد عن الإسكندرية حوالى ستين كيلو مترا وعن طريق الأطباء الذين عاونوه فى الكشف على أمجد علم أنه من المدمنين – حاول معرفة هويته فلم يستدل عليها منعته الغيبوبة القاتلة التى كانت قد ألمت بأمجد عن معرفة شخصية أو الإستدلال على عائلته. آثر كتمان الأمر فلم يبلغ الشرطة. أشرف على علاجه بدأب وإخلاص لوجه الله الكريم. وصل به إلى بر الأمن والأمان. بدأ المريض يفيق أخذت الذاكرة تعود إليه شيئا فشيئا. تذكر أمجد والديه. طلب من الدكتور أحمد أن يصحبه إليهما. دق باب المهندس أحمد.. بيد مرتعشة مدت الأم أصابعها لكى تفتح الباب للطارق.. فوجئت بابنها احتواها بين ذراعيه. صرخت الأم من الفرحة الطاغية لرؤيتها لابنها وهى لا تكاد تصدق عينها. هرع الأب إلى باب البيت فوجئ بمنظر الأم وابنه. رمى نفسه بينهما وهو لا يكاد يصدق هو الأخر عينيه أنسكبت الدموع تبلل لحيته البيضاء التى كانت قد طالت واستطالت وهو يرفع يديه شكرا لرب السماء.

اعترف لهما أمجد – فيما بعد – بما اقترفته يداه فى حق نفسه، وكان قد عقد العزم على ألا يعود للتدخين – أو بالأحرى – للمخدرات فكلاهما الشر الوبيل.

وتيقن من عكوفه على الصلاة أن الله لا يغير بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

استمر دون كلل أو ملل يعكف على البحث والدرس والتحصيل. حصل على الثانوية العامة بتفوق كبير وانتظم فى سلك الجامعة بعد أن كان قد أدمن القراءة

قرأ لطه حسين والمازنى والعقاد وزكى مبارك وهيكل والرافعى وغيرهم من كبار الأدباء، وأقبل على أمهات الكتب القديمة ينهل منها، نهاية الأرب فى فنون الأدب، والعقد الفريد، والأغانى، والأمالى، ولسان العرب وغيرها. تعلم أن القراءة هى مفتاح الشخصية كما عبر فيلسوف الصين (هيوانج شونج). كما آمن بقول الله عز وجل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾. [سورة الرعد – الآية ١١] صدق الله العظيم.

❑❑❑

التاريخ يتكلم

من خلال الهجوم الضارى الذى تعرضت له مصر بعد تأميم الرئيس جمال عبد الناصر – رحمه الله – لشركة قناة السويس كتبت هذه الكلمة ونشرت بجريدة الأخبار بتاريخ ١٩٥٦/٩/١٨.

فى عام ١٧٩٨ استطاع شعب مصر أن يتصدى لقوات نابليون ويلحق بها الخسائر والهزائم، وفى ١٨٠١ استطاع الشعب المصرى أن يطرد قوات فرنسا من بلاده وفى ١٨٠٧ تصدى المصريون لقوات «فريزر» فى رشيد وفتكوا بها.

وفى ١٨٨٢ استطاع الشعب المصرى أن يشتت قوات الإنجليز فى الصحراء حتى يئسوا من البقاء فى البلاد وجلو بجيوشهم عنها نهائيا لولا الخيانة التى مكنتهم فى ١٥ سبتمبر ١٨٨٢ من أن يحتلوا مصر عن طريق قناة السويس.

وفى ١٩١٩ قام الشعب بثورته العظيمة واستمر يكافح حتى انتصر فى ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢، وفى ١٩٥٦ استطاعت مصر بقيادة قائدها جمال عبد الناصر أن تجلى الجيوش الأجنبية عن أراضيها ثم استكملت سيادتها بتأميم شركة القناة.

هذه انتصاراتنا على الإنجليز والفرنسيين، فماذا سيكون مصير المعركة الراهنة؟ أن التاريخ وحده يجيب على هذا السؤال؟

❑❑❑

أيها الثلاثة الصغار

كنت قد انخرطت فى سلك المتطوعين للدفاع عن أرض مصر ضد العدوان المحتمل والذى اكتمل فى أكتوبر عام ١٩٥٦ بالهجوم الثلاثى المدبر من قبل إنجلترا وفرنسا وإسرائيل وحملنا السلاح الروسى بعد أن تدربنا على إطلاقه على يد الضابطين الوطنيين «ليون» و«نعيم» فى مدرسة الفيوم الثانوية فكتبت هذه الكلمة ونشرت فى جريدة الشعب «بتاريخ ١٤ أغسطس سنة ١٩٥٦» قلت فيها: منذ أعلن الرئيس جمال عبد الناصر تأميم مصر لشركة قناة السويس ودول الغرب الثلاثة تعيش فى ذهول تام فقد كانت هذه الدول تنتظر إليها بانسحابها من مشروع السد العالى ستذل مصر وتجعلها تركع على ركبتها متوسلة تستدر منها العطف لى تعينها على القيام بهذا المشروع الذى تعلق عليه مصر جسام الآمال.. وجاء رد مصر على هذه الدول قويا على لسان جمال الذى أعلن أن مصر قد أممت شركة قناة السويس وهى بذلك ستبنى السد العالى بأموال مصرية وسواعد مصرية، وكانت هذه الضربة التى أصابت هذه الدول.. دول الاستعمار فجعلتها تتخبط وتعيش فى هذا الذهول الى لم تستطع منه مخرجا إلا بهذا القرار الذى أعلنته على لسان صغارها الثلاثة – أيدن – بينو – دلاس.. ولكن مرحى مرحى أيها الثلاثة الصغار! أن القناة ملك شرعى لمصر وهى بتأميمها إياها أنما تسترد حقا من حقوقها.. فلم إذن هذه الضجة؟!

وعلى أى أساس إذن أتخذتم هذا القرار!

لا لا أيها الثلاثة الصغار.. إن القناة ملك وحق لمصر وستدافع عنها بكل قواها وجوارحها.. فأننا جميعا على استعداد لبذل آخر قطرة من دمائنا على ألا نسمح لأى دولة من الدول أن تنتقص من سيادتنا وحريتنا وسنسير قدما إلى الأمام والله معنا.

.. وهاكم ما قله زعيم الاتحاد السوفيتى «خروشوف»: «أن مصر كانت تحكم نفسها بنفسها عندما كانت أوروبا تعيش فى الكهوف والجبال»!

❑❑❑

الروك آند رول.. صفعة لمبادىء الأخلاق

انتشـرت هـذه الرقصة الماجنة بين الشـباب فى مصر فكتبت بتاريـخ ٢٢/ ٥ /١٩٥٧ بجريدة الشعب أقول:

منعتها إنجلترا التى ينتشر فيها مذهب العرى ويتزايد! ونبذتها روسيا.

وقال عنها «شبيلوف» فى مؤتمر الموسيقيين السوفييت: «إنها انفجار لأحط أنواع الغرائز إنها نوع من تهتك الأقوام البدائيين فى كهوفهم.. إنها صفعة لمبادىء الأخلاق!

هـذه هـى رقصة «الروك أند رول»! تلك الرقصة الأمريكيـة المبتذلة التى بدأت تتغلغل أو قل تغلغلت فعلا بين شبابنا وشاباتنا.. وعلى الأخص شباب وشابات الجامعات! حتى أنهم يعقدون لها اليوم البطولات.. ويقيمون لها المسابقات!

وأيـن يجرى كل ذلـك؟! فى مصر زعيمة العـالم العربى والإسـلامى التى لها دينها وتقاليدها وأخلاقها.

إنهم إذا كانوا يعتبرونها - فى الغرب - تقدما فى عالم الرقص فنحن هنا فى الشـرق نعتبرها تقدما فى عالم المجون والخلاعة التى لا يحرص عليها سـوى المنحلين الفاسـدين ذوى النفوس الضعيفة.

إننـى أطالب المجلس الأعلى لرعاية الشـباب بأن يمنـع - فورا - هذه الرقصة المثيرة للفتنة والغرائز الداعية للمجون والإنحلال حتى لا تؤثر على أطفالنا وهم لم يشبوا عن الطوق بعد فتؤثر فيهم وتؤثر عليهم بما يعرضهم لخطر محيق.

ولقد صدق الإمام «أبو حامد الغزالى» عندما قال:

«إن الطفـل جوهـرة نفيسـة سـاذجة خاليـة مـن كل نقش وصـورة وهـو قابل لكل ما ينقش عليه».

❑❑❑

ارحموا شعور الطلبة يا بنات الجامعات

كتبت هذه الكلمة إبان التحاقى بكلية الآداب جامعة عين شمس قبل انتظامى بكلية الحقوق جامعة الإسكندرية نشرت فى جريدة الأخبار باب أخبار الجامعات بتاريخ ١/ ١١/ ١٩٦١ وأتت بأثر طيب.

إذ أصدر الدكتور أحمد عزت عبد الكريم عميد كلية الآداب جامعة عين شمس بعدم دخول طالبة تخالف الحشمة إلى الحرم الجامعى بعد أن ألقى محاضرة ناصحا ومنذرا الطالبات بأن أية طالبة تتبرج فى زياها سوف تمنع من دخول الكلية كما أصدر الدكتور محمد مرسى أحمد رئيس الجامعة قراره النهائى بعدم السماح لأية طالبة بدخول الجامعة ما لم تكن محتشمة فى زيها ومظهرها العام.

كما أن الدكتورة «نفسية الغمراوى» عميدة معهد التربية الرياضية للبنات أقامت أسبوعا لمحاربة الجونلات الضيقة بالمعهد. علقت لافتات فى أنحاء المعهد تقول أحداها «ضيق الملابس ضد الخلق القويم» وطلبت أن تكون الجونلة تحت الركبة كلفت المدرسات بقص الجونلات الضيقة لتوسيعها أثناء طابور الصباح. واشترطت أن تكون «كسرة الجونلة» من الخلف ٢٠ سم على الأقل.

وهاجمت السيدة «زاهية مرزوق» اقبال الطالبات على ارتداء الأزياء الضيقة والكاشفة حيث قالت: الطالبات ليس لديهن ذوق فى اختيار الملابس أنهن يخترن الملابس غير اللائقة.

وانتقدنى أحد الكتاب تحت عنوان «موكب الجهل فى جامعاتنا» قال فيه إن كاتب مقال «ارحموا شعور الطلبة يا بنات الجامعات»: هو صوت ساذج يطالب بتوحيد زى طالبات الجامعة ولو استمعنا له سترتفع أصوات أخرى تطالب بتوحيد زى كل سيدات مصر وفرض الملاية اللف عليهن والمقال كان ممهورا باسم السندباد البحرى.

أما الأستاذ الكبير «على أمين» فقد كتب فى «فكرة» بتاريخ ٢ ديسمبر ١٩٦١ ذاكرا أنه عندما دخل جامعة شيفلد عام ١٩٣١ لم يلبس الروب الأسود إلا مرة واحدة بيد أنه أردف قائلاً: إنه معه معارضته لتوحيد الزى بين طالبات الجامعة فليس معنى هذا أن نسمح لطالبة الجامعة أن تذهب إلى المحاضرات بفستان سهرة؟!

على حين أن الأستاذ «عباس محمود العقاد» كتب فى يومياته بجريدة الأخبار يقول: ليس نظام الزى الجامعى فيما أرى مناقدا لفكرة الاستقلال الدراسى.. ولكنه يفضل استقلال كل جامعة بزيها تحقيقا لهذه الغاية.

وقد نشرت جريدة الأخبار فى تاريخ ١٩٦١/١١/٢٩ تحت عنوان: «جمعية محاربة الملابس غير اللائقة فى آداب بالقاهرة» وقالت: إن كلية الآداب جامعة القاهرة قد أعلنت الحرب على الملابس الخليعة التى تظهر بها بعض طالبات الجامعات وتزعم الحملة سعد الدين إبراهيم المعيد بقسم الاجتماع ورائد أسرة الزحف المقدس.

والمقال هو:

أليس لنا من سبيل للقضاء على تلك الأزياء الخارجة عن الذوق والتى تتحدى على الملأ الآداب العامة، وقف بالمرصاد لتُقاليدنا وعاداتنا وأخلاقنا فى الجامعة؟!

تعالى إلى «الحرم» الجامعى – وياليتهم ما سموه حرما – لتعرف بنفسك كيف استبيح هذا الحرم حتى أصبح أشبه بصالة عرض أو كرنفال يختلط فيه الحابل والنابل ويتداخل معه الأبيض مع الأحمر مع الأسود الأمر الذى أصبح فذى لكل عين وجرحا للنفس الحساسة؟!

وأنا والدعوة موجهة إلى المرحوم الأستاذ أحمد لطفى حسونة إلى قيادة حملة أخرى على أزبائهن التى لا تقل خلاعة عن الأغانى التى حاربتها!

وأننى أدعو عميد كل كلية إلى محاربة هذه الأزياء التى أهانت «الحرم الجامعى» وخدشت عفة الكثيرين.. ورحم الله مصطفى صادق الرافعى حين قال:

لو جيء لى بفتى يعاكس فتاة لنظرت إلى الفتاة فلو وجدتها متزينة متعطرة مصقولة لحكمت عليها بعقوبتين الأولى: لأنها خدشت عفة الفتى والثانية لأنها كشفت اللحم للهر؟!

وما أكثر فتياتنا اللائى يكشفنا لحومهن للهرر!

❑❑❑

استغلال الطاقة الشمسية

نشرت فى جريدة الأهرام بتاريخ ٧/ ٦/ ١٩٥٧.

أذيع منذ أسابيع قلائل نبأ تكوين جمعية يونانية تضم سبعة من أكبر علماء أثينا للعمل على استغلال الطاقة الشمسية فى الأغراض التى تفيد الشعب اليونانى.. وتنمى ثروته.. واقتصاده.

وفى اليابان استطاع البروفسور «أنصيماتسو» الأستاذ بجامعة طوكيو أن يخترع غلاية شمسية تستخدم الآن على نطاق واسع فى أغراض الطهى فى البيوت اليابانية.. وهذه الطاقة تولد ٩,٣٣٤ سعرا حراريا فى الدقيقة الواحدة أى ما يعادل الحرارة الناتجة من موقد كهربى قوته ٦٠٠ كيلو وات.

.. وفى الهند.. تمكن عالم من علمائها أن يخترع موقد شمسيا لشى اللحوم وطهى الأطعمة فى دقائق معدودات!..

.. وفى روسيا تأسس مصنع خاص لإنتاج البخار من الطاقة الشمسية.

وفى أمريكا تستخدم الطاقة الشمسية فى إنتاج الثلج!

حبذا لو وجه علماؤنا اهتمامهم إلى هذا الميدان الهام، الذى يمكن أن نفيد منه أعظم إفادة، لا سيما وأن مصر قد وهبها الله من «الميزات المناخية» ما يسهل لها استغلالها لطاقتها الشمسية.. على خير وجه.

❑❑❑

سائلوا القاضى.. واتقوا الله فى القضاء..؟!

فــى غضون عام ١٩٧٩ كتب المرحــوم (والدى) فى يوميات الأســتاذ «أحمد الصاوى» بجريدة الأخبار يقول:

ســائلوا القاضى عن عمله كيف يؤديه، وعن خلقــه كيف يقوم عليه، وعن عمله كيف يصرفه، وعن علاقته بالحق تبارك وتعالى.

سائلوه عن إدارته للجلسة، وكيف يسوى بين الخصمين حتى فى النظرة.

سائلوه عن مظهره وجوهره، وحلمه ووقره، وعن أموره الداخلية، ومعاملاته الخاصة.

سائلوه عن كل صغيرة بل عن كل هذا وحاسبوه عن كل أولئك حسابا عسيرا.

اطلبوا منه أن يتسامى فى عمله حتى يأمن فى ظله السائل ويقوى عنده الضعيف، وماله من منة على أحد إذا أنهكه التعب أو فاض به السقم أو هده سهاد الليل.

ألم تجعله الدولة رمزا لكرامتها وسيادتها؟

أو ليس ينتهى إليه صرخة المظلوم وأنه المكلوم.

أو ليس ينتهى إليه الفصل فى خصومات الناس لينشر عدل الله فى أرضه فترسو قواعد الأمن وتستقر المعاملات.

ولقد لبثت أتعبد فى محراب القضاء سنين عددا لا أبتغى غير وجه ربى الأعلى وكنت دائما وابدا أدافع عن سدنته كلما جد ما يدعونى إلى ذلك.

وها أنذا اليوم أقرأ على صفحات الجرائد أن السيد وزير العدل سيصرف لرجال القضاء حوافز إنتاج وقد نما إلى علمى أن كلا من رجال القضاء ســيصرف له خمسة عشر فى المائة «للمتفوقين منهم»!!

وإننا نرى أن هذا الخبر فى طياته إهانة كبرى لرجال القضاء.

فإنــه من غير المعقــول أن يمنح القاضى حوافز إنتاج كما لو كان عاملا فى أحد المصانع وهو ما يختلف اختلافا جذريا عن طبيعة عمل القاضى.. وهذا لا يليق بكرامة القضاء الذى يجب أن يسمو فى عمله على كل اعتبار.

إن هــذا المســلك المزمع الأخذ به يجب أن تنأى عنه الدولــة حفاظا على كرامة القضاء وحفظا لقدسية القضاء.

وجدير بالذكر أن إنجلترا تعطى لكل قاض من قضاتها شـيكا مفتوحا على البنك يبيح له أن يأخذ أى مبلغ يشـاء أن يأخذه على حسـاب الدولة.. وأن كان مثل هذا الشـيك لم يستعمله قضاة الإنجليز حتى الآن.

ولا ريب أن السر فى هذا هو ارتفاع مرتب القاضى الإنجليزى إلى مبالغ خيالية.

وليذكـر أصحاب الرأى الآخر ما حدث فى بلاد الإنجليز أيام الحرب العظمى الأخيرة فى عهد «تشرشـل» حين تضرر أحد القضاء من وجود مطار للطائرات الإنجليزية المحاربة بجـوار المحكمة، فقامت الحكومة الإنجليزية بنقلـه فى الحال إلى جهة أخرى نائية عن المحكمة احتراما منها لقضائها وقضاتها.

وأنه لمن غير المفهوم أن يعترض أحد على زيادة رواتب القضاة أو فى القليل عن منحهم بدل تفرغ فالقضاء المصرى هو الدرع الواقى لأمجاد هذه الأمة ومقدساتها.

وأخـيرا فأننـى أرجو من وزير العدل «أن يتدبر الأمر وألا يحاول أن يقدم خدمة لرجال القضاء فى ثوب لا يليق بكرامتهم التى تعلو على كل كرامة».

❑❑❑

المحامون الأدباء.. والقضاة النبغاء

ثمة علاقة وطيدة بين الأدب والصحافة وبين الأفذاذ من رجال القضاء الجالس والواقف على السواء أشار إليها المحامى الأديب الأستاذ «محمود كامل» فى كتابه «يوميات محام مصر» فقد عرف تاريخ القانون فى مصر الزعيم خالد الذكر «سعد زغلول» وقبل أن يتبوأ دست الزعامة ويتقلد كرسى القيادة سعد زغلول المحامى النابغ الذى كان صوته الجهورة وعقله الألمعى يهز ساحات المحاكم دفاعا عن الضعفاء والمظلومين وعمل بالصحافة محررا فى جريدة «الوقائع المصرية» وكذلك عرفت ساحات المحاكم الأستاذ «محمود الهلباوى» الذى كان محاميا جهبذا يشار إليه بالبنان وكحذلك الزعيم «محمد فريد» الذى وصل إلى درجة رئيس نيابة ثم استقال وعمل بالمحاماة مفضلا إياها على القضاء.

أما معلم الجيل الفيلسوف «أحمد لطفى السيد» فقد خلع وشاح القضاء، وارتدى رداء المحاماة وأصدرت جريدة «الجريدة» عام ١٩٠٧.

وجاء الدكتور «محمد حسين هيكل» الذى نال درجة الدكتوراه فى الحقوق من فرنسا وعمل بالقضاء ثم لفظ القضاء، وآثر أن يعمل بالصحافة وأصدر جريدة «السياسة» عام ١٩٢٢ لسان حال حزب الأحرار الدستوريين.

ناهيك عن سلسلة متعاقبة من أعاظم المحامين الذين تألقوا فى سلك المحاماة تألقا لم يكن يتاح لهم لولا اشتغالهم بهذه المهنة الرفيعة مهنة المحاماة منهم «مكرم عبيد باشا» الخطيب المفوه الذى كانت تهتز له أعواد المنابر صاحب الثقافة الرفيعة والمواقف السياسة الرائعة حتى أن الإنجليز أضطروا لنفيه مع سعد زغلول إلى جزيرة سيشل ومصطفى النحاس باشا الزعيم الوطنى والمحامى القدير «أحمد رشدى» غيرهم وغيرهم من النبغاء من المحامين البلغاء.

وقبل ذلك بسنوات شهدت المحاكم الفرنسية العديد من عباقرة المحامين أمثال Jean de la bruyere الذى جمع بين الفلسفة والأدب وفافر Favre الذى استغل كل مواهبه الأدبية فى الدفاع عن أصحاب الحقوق ومن أقواله: «إن الحكومات تسقط بسبب الأخطاء التى ترتكبها هى بنفسها وأن الله قد أعد نكبات لا حصر لها ولا يتوقعونها لهؤلاء الذين لا يعترفون بالقوانين الإلهية».

والمحامـــى «فرنان لابـــورى» الذى هوى الأدب وأغرم بالموســـيقى وأولع بالصحافة وقد ترافـــع فى قضية «دريفوس» الذى اتهم بقضية التجســـس لصـــالح ألمانيا وصدر الحكم عليه بتجريـــده من رتبته العســـكرية حيث كان يعمل ضابطا بالجيش الفرنســـى وكان بريئا من التهمة المنسوبة إليه وتولى الدفاع عنه هذا المحامى الأديب ناهيك عن أدباء فرنسا النابغين وهم «إميل زولا ومرســـيل بروســـت وأناتول فرانس» وقد ألف إميل زولا هذا الكتاب العالمى العبقرى كتابا دفاعا أسماه «إنى أتهم» وقد أصدرت محكمة النقض الفرنسية حكما ببطلان الحكم السابق على دريفوس فى ١٢ يوليو سنة ١٩٠٢ واعادته إلى الجيش العامل ومنح بعد ذلك وسام الشرف الفرنسى.

وقد اتخذت اليهودية العالمية من قضيته ذريعة فى صياغة النظرية الصهيونية السياسية وتكئة فى التدليل على معاداة الشـــعوب لهم وكان ذلك ســـببا فى خروج اليهود من أوروبا وتجميعهم فى وطن خاص بهم فى أرض فلسطين السليبة.

❑❑❑

خطاب إلى والدى

أقبل يديكم الكريمتين وأهنئكم بحلول العام الجديد جعله الله عاما سعيدا عليكم وعلى الوالدة الجليلة والإخوة الأعزاء..

وبعد:

لقد اشتقت كثيرا إليكم وعسى أن يوفقنى الله واتمكن من الحصول على إجازة ولو سريعة حتى أحظى بلقياكم فى عيد الأضحى المبارك أعاده الله عليكم بالصحة واليمن والبركات، فسوف يحصل زميلى الذى أعمل معه على إجازته ليزور بلدته فى العيد وكذلك زملائى الآخر، ولن يكون هناك فى نيابة قنا سواى ومن هنا فلو تأخرت قليلا فى المجىء وربما يكون هذا بعد العيد بأسبوعين أو ثلاثة، فأرجو أن تطمئنوا على وألا تقلقوا فكل الأمور بحمد الله وبفضل رضاكم على أنتم والوالدة تسير على خير ما يرام.. ويسرنى أن أخبر حضرتكم أننى سوف أحضر معى التذاكر الخاصة بسفركم بإذن الله أنتم والوالدة الفاضلة واخوتى من القاهرة إلى الأقصر ذهابا وإيابا ولقد تسلمتها بالفعل.. وعسى أن تكون دعوتى هذه دعوة مقبولة لديكم فتشرفونى بالزيارة هنا فى قلب الصعيد.. ليس هناك من جديد أقصه على حضرتكم سوى أننى الآن أقيم بصفة دائمة فى الأقصر فى البيت الذى استأجرته لا أبارحه البتة اللهم إلا لدقائق معدودات مرة أو مرتين فى الأسبوع لأننى متفرغ لإنجاز عملى.. وفى كل مساء وصباح أعكف على تجهيز الشاى الى تفضلتم وأهديتمونية، على «الوابور» الذى تفضلت الوالدة فأعطتنيه.. أما البوتاجاز الذى استطعت أن أقتنيه.. فلم تصل «أنبوبته» حتى الآن..

ولقد وجهت إلى دعوة من الدكتور جمال مختار المشرف على آثار الأقصر لحضور حفل افتتاح مشروع الصوت والضوء والتى حضرها الدكتور عبد القادر حاتم وما أن جهزت نفسى لتقبل هذه الدعوى وكنت قد أزمعت الحديث مع الدكتور عبد القادر حاتم عن أمر انتدابى حتى جاء من يدق على الباب يخبرنى بوقوع جريمة قتل فى إحدى الجزر المتاخمة للبر الغربى للأقصر «القرنة» فشددت الرحال إلى هناك.. وفوّت على هذا فرصة اللقاء بحاتم.. وإن كنت قد قلت لنفسى لعل الله قد أراد بك خيراً.

والدى العزيز:

وهكـذا تدور الأيام، فمن القاهرة إلى قوص ونقادة ومن قوص ونقادة إلى اسـنا ومنها إلى الأقصـر والله وحده يعلم أين سـأكون غدا والواقع أن حياة الغربـة بما فيها من بعد عنكم هى حياة رتيبة ثقيلة ولكن بالصبر يهون كل شىء وفى سبيل المستقبل لا بد للإنسان وأن يضحى كما علمتمونا جميعا وكنتم أنتم خير المثل وأروع المثال فى الصبر وفى التضحية وفى الجهاد وكلما ضاق بى الأمر تذكرت كفاحكم المشـرف الطويل وأضعه أمام ناظرى نبراسـا أسـتضىء به على مشـقة الحياة التى لا أنيس فيها ولا جليس ولا أخ ولا صديق وقد كنتم ولازلتم وسوف تظلون أبدا نعم الأب الصديق.. الصديق الأول والأخير أنتم ووالدتى الجليلة واخوتى الأعزاء.. وإن كنت قد بعدت عنكم بجسـدى فأنا دائما معكم بروحى وأشعر أنكم معى فى كل لحظة من اللحظات.

أما عن الأقصر فلم أرها جيدا حتى الآن مع مكوثى فيها لمدة تنيف عن الستة شهور كما تعلمون ولسـت أدرى هل أنا أقيم فى مدينة أو أسـكن فى قرية؟ فهى خليط من هذا وذاك وأحيانا تشـرق صورتها أمام ناظرى فأرى فيها وجه المدينة بصخبها وضوضائها.. وأحيانا أخرى تظلم الصورة فألفى أمامى قرية صغيرة بسـكونها وهدوئها واضمحلال حجمها وطيبة أهلهـا.. ويوجـد بها من النقائض ما يجعلها تبدو لى تارة أخرى أنها أشـبه بسـطح القمر ببرودتها الشـديدة.. وسـكونها الدائم إذ ينسـدل الظلام عليها وتخلو طرقاتها من السابلة وكأنها قبر كبير يعج بآثار الفراعين فهى ليس فيها أى أصر للحياة إلا النذر اليسير منها.

وإن كنت قد تركت قوص بشيخها القوصى.. فها هنا سيدى أبى الحجاج الأقصرى بطل الأقصر «كما يسـمونه» وشـيخها ووليها الصالح الذى تحكى عنه القصص وتسرد الروايات وكذلك سـاحة الرضوانية التى تذكر باسـم ولى الله الشيخ أحمد الرضوان الذى تحكى عنه الكرمات بين الحين والحين.. وهو لهذه المناسـبة من الأصدقاء المقربين للرئيس جمال عبد الناصر وهذه الساحة تمتد باتساع على أرض ذات فجاج كل من يزور الأقصر يقوم بزيارتها وتنـاول أطايب الطعام فيها بـل ويخلو البعض إلى النوم فى أروقتها ويأتى إليها دوما كبار الشخصيات فى مصر للتبرج بالشيخ الرضوان رحمه الله وملاقات أبنائه.

ويقع مسـجد سـيد أبو الحجاج فى قلب آثار الفراعنة فـى منظر بديع جميل خلاب فمئذنتـه التى تشـرئب إلى السـماء وكأنها هى الأخـرى من آثار الفراعنـة بطولها ورهبة ارتفاعها.. تشير إلى دلالالات وتوحى بإيحاءات يهتز لها قلب الإنسان.

فهذه هى الحضارة الإسلامية متمثلة فى هذا البيت الكريم من بيوت الله يمتزج بحضارة مصرية ضاربة فى القدم مرت عليها أزمان وأزمان فمن جوف الآثار تخرج مئذنة شامخة تشير إلى وحدة الحضارة ووحدة الإنسان فى كل زمان وفى كل مكان.. وها هم الفراعنة الذين كانوا أول من عرف التوحيد على يد «أخناتون» ينبعث الصوت الخالد من داخل أرماسهم ومعابدهم مرددا صوت المؤذن فى كل صلاة «الله أكبر.. الله أكبر.. لا إله إلا الله» ينبه العاقل ويذكر الظالم ويبشر المظلوم.

والدى العزيز:

استمح حضرتكم – عذرا – إن كنت قد أطلت عليكم ولكنها الرغبة الجارفة فى الحديث إليكم أكرر لكم تهنئتى القلبية بعيد الأضحى المبارك أعاده الله عليكم وعلى والدتى العزيزة الجليلة وإخوتى الفضلاء بالخير واليمن والإقبال.

وكل عام وحضرتكم بخير

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ابنكم المخلص

محمد

فجر ١٩٧٠/١٢/٣١

❑❑❑

القاضى المستشار «محمد مرشدى بركات»
فى سطور

ـ تخرج القاضى المستشـار محمد مرشـدى بركات فى كلية الحقوق – جامعة القاهرة – وعين وكيلا لنيابة قوص ثم وكيلا لنيابة إسنا، فوكيلا لنيابة الأقصر.

ـ وعين قاضيا ثم رئيسـا لمحكمة الأقصر الوطنية، فرئيسـا لمحاكم الغردقة، وسـفاجا، والقصـير، والزقازيق، وبنها، وطنطا، وشـبين الكوم، ومحكمة جنوب القاهرة، فرئيسـا لمحكمة مصر الجديدة عام ١٩٨٠، ومستشـارا بمحكمة الاسـتئناف العالى ببنى سـويف، ثم المنيا، فالسويس، والإسماعيلية، وبورسعيد.

فنائبا لرئيس محكمة استئناف القاهرة، فرئيسا لمحكمة الاستئناف العالى بها.

ـ انتدب إبان عمله بمحكمة القاهرة مستشارا للأمانة العامة لمجلس الوزراء لمراجعة قضايا المفصولين من غير الطريق التأديبى.

ـ ورحـل إلى قطـر للعمل فى القضاء هناك، ثم عاد منها حيث أسـند إليه رئاسـة مركز التحكيم الدولى الأفريقى.

منذ سـن باكرة اتصل المستشـار بكبار أدباء مصر وعلى رأسهم: «الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد». مما يذكر أن الأسـتاذ «العقاد» قد أرسـل له برقيات هاتفية فى مناسبات مختلفة جاء فى واحدة منها:

[نرجو للمرشدى ذروة المجد الأدبى والخلود الأبدى]

ـ حاز على جائزة التفوق الاجتماعى وهو ينتظم فى الصف الثالث الثانوى، وكانت تتيح له الالتحاق بالجامعة دون التقيد بدرجات المجموع، وكذلك الإعفاء من المصاريف المدرسية.

ـ حصـل على العديـد من جوائز الدولـة: أولاها الجائزة الأولى فـى أول عيد للعلم عام ١٩٥٩ – ١٩٦٠ عـن بحـث فى تحليل شـخصية الرئيس الراحل «جمـال عبد الناصر» وطبع بحثه على نفقة الدولة مع الفائزين الأربعة الآخرين، وكرمه الرئيس الراحل «جمال عبد الناصـر» فى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة وسـلمه شـهادة امتياز ميدالية

تقدير وشـيك بمبلغ من المـال فى هذا الاحتفال الذى كان علـى رأس المحتفى بهم عميد الأدب العربى الدكتور «طه حسين».

فـى السـنة التالية فاز كذلك فى عيد العلم الذى كان يحضـره الرئيس الراحل «جمال عبد الناصر» فى نفس المكان السالف ذكره وسلمه الجوائز الخاصة به عن بحثه فى مشكلة تنظيم الأسرة وكان من المحتفى بهم فى هذا العيد الأستاذ الكبير «عباس محمود العقاد».

ـ فاز بالجائزة الأولى فى بحثه عن (احتكار العلم) وسلمه جوائزه الأستاذ الدكتور «حسين سعيد» وزير التعليم العالى.

وكذلك سلمه المرحوم الأستاذ «صلاح دسوقى» محافظ القاهرة جوائزه فى بحثه الذى فاز فيه بالجائزة الأولى عن: (البترول العربى).

– فاز بالجائزة الأولى من جامعة القاهرة فى بحثه عن (مشـكلة السـكان فى مصر) وسلمه الجائزة الأستاذ الدكتور «حسين فوزى» وكيل جامعة القاهرة.

– كما نال الجائزة الأولى فى القراءة من وزارة التعليم العالى.

– كتب فى الصحف والمجلات المختلفة، وكانت أولى مقالاته بجريدة الأخبار مقال (التاريخ يتكلم) عام ١٩٥٦.

– كتب العديد من المقالات فى صحف الأهرام والوفد والمصور وروز اليوسـف وآخر ساعة.

– نشر له المرحوم الأستاذ الكبير «أحمد الصاوى محمد» مقالات مختلفة له فى بابه «ما قل ودل».

والده المغفور له (بإذن الله) المستشـار «محمد مرشـدى بركات» رئيس محكمة استئناف القاهرة.

ـ وانتخـب والـده عضوا بمجلس نادى قضـاة مصر.. وأمينا للصندوق لـه (بالتزكية لمدة خمسة عشر عاما).

ولـه مقالات عديدة فى صحيفتـى «الأهرام»، و «الأخبار» تدور كلها حول المناسـبات الكبرى فى حياة الرسول «محمد» – عليه الصلاة والسلام –.. ناهيك عن مقالته فى الدفاع عن القضاء فى فترة تعرض فيها القضاء للعصف.

متزوج وله ابنان «خالد محمد مرشدى بركات» وقد حصل على ليسانس الحقوق جامعة

عين شمس – قسم اللغة الإنجليزية – ثم تحصل على الماجستير من ذات الجامعة، ثم دبلوم فى Arbitration، وكذلك دبلوم من الجامعة الأمريكية، ودبلوم العلوم الإدارية، ويعمل قاضيا بمجلس الدولة.

و«سارة محمد مرشدى بركات» وقد حصلت على ليسانس الحقوق جامعة عين شمس – قسم اللغة الإنجليزية – بتقدير جيد جدا، ثم تحصلت لشغل الماجستير من ذات الجامعة، وكذلك على دبلومة من الجامعة الأمريكية، ومرشحة تشغل منصب وكيل النيابة الإدارية.

❑❑❑

obeikandl.com

الفهرس

إهداء..... ٣
مقدمة الكتاب..... ٥
رسول السماء وريحانة الأنبياء..... ٩
المسلمون الألبان.. والشيخ تركمان؟!..... ١٣
بابا مصر والعرب.. غزير العلم وجم الأدب..... ١٦
رؤية قبطية للفتح الإسلامى..... ٢٢
أحمد زويل.. العبقرى المصرى..!..... ٢٥
أخطاء تتحدى الصواب..؟!..... ٢٨
أخطر يوم فى تاريخ القاهرة..؟!..... ٢٩
الإسراف فى حياتنا..؟!..... ٣٢
القاضى الأول فى الجاهلية.. وفى الإسلام..... ٣٥
الأعياد.. والعباد..... ٣٩
الإفتئات على الحقد.. وعلى عظمة الرجال..... ٤١
الإهتمام بقواعد اللغة العربية..... ٤٤
الدفاع عن كرامة القضاء..... ٤٥
الرحالة العظيم..... ٤٧
الرسول وتعدد الزوجات..... ٥١
مهزلة الرفق بالحيوان.. لدى الغرب؟!..... ٥٤
الرقص على البارود..؟!..... ٥٦
السبت الدامى.. وضرورة القبض على الجانى..... ٥٨
الشعب الذى يفرط فى كرامته.. تضيع هيبته؟!..... ٦٠
الصحراء الغربية.. والحدائق الشيطانية؟!..... ٦٣
الصفات التى يجب أن يتحلى بها القاضى..... ٦٧
العقاد وأفول العقل؟!..... ٦٩

obeikandl.com

الغُنم بالغُرم.. والهنود الحمر؟!..... ٧٣
ألف ليلة وليلة.. والقضاء المصرى..... ٧٥
القضاء المصرى.. بين التقليد.. والتقاليد؟!..... ٧٦
القضاء بين الماضى والحاضر..... ٧٩
القضاء ذلك الحصن..... ٨٠
المكتبات الموسيقية..... ٨٤
تعمير صحراء سيناء..... ٨٦
النائب العام.. محامى الشعب..... ٨٧
النفاق جرثومة الداء.. وسـر البلاء.. وفساد العباد والبلاد؟!..... ٨٨
أنيـس منصور بين تفاحة الصحافة وجنة الأدب..... ٩٢
مأساة طبيب عظيم..... ٩٥
بل.. عندما تصبح القضية امرأة..؟!..... ٩٧
تاريخنا. هل يكتب من جديد؟..... ٩٩
تراجع اللغة العربية.. تراجع للنعرة القومية (رسـالة إلى وزير التعليم)..... ١٠١
رؤيتى للثورة المصرية ٢٥ يناير ٢٠١١ والمأمول منها..... ١٠٤
ثورة عبرت جميع الأجيال.. وحققت الآمال..... ١٠٨
جلال القضاء..... ١١٢
وجيش مصر العظيم.. كذلك يستحقها..... ١١٣
حق الجار على جاره..... ١١٥
من قـاض مصرى.. إلى الرئيس أوباما..... ١٢١
خطر الماسونية والمؤامرة العالمية..... ١٢٣
خواطر قاض.. ردًا على خواطر مؤرخ..... ١٢٦
المتاحف ذاكرة الشعوب..... ١٣٢
ذكرى مصطفى النحاس.. سيد الناس..... ١٣٤
راسبوتين وشعب مصر الحزين..... ١٣٨
رأينا فى الدستور..... ١٤٠
رحمة الله على الموتى.. وسـلامه على الأحياء..... ١٤٢
رسالة.. قاضى القضاة..... ١٤٤

رسالة الصحافة بين عبد الله النديم والشيخ حمزة فتح الله..... ١٤٦
سرجيوس.. قس الشيوخ.. وشيخ القسوس..؟!..... ١٥٠
يوم أن مات سعد زغلول..... ١٥٢
سلام الله.. على مصر..... ١٥٧
سيناء.. هل نعمرها بالدعاء..... ١٥٩
صاحب الجلالة.. عباس محمود العقاد..... ١٦٤
صدقت يا أستاذ عباس.. فموعدنا الآن مع الوسواس الخناس..... ١٦٩
ضربة منشة.. سبب احتلال الجزائر..... ١٧١
ضريبة الذهب الأسود.. فى عهد المصريين القدماء..... ١٧٣
عقوبة الإعدام.. بين القانون المصرى وقناة دريم..... ١٧٥
فرية صبت فى الأذان.. ومجتها الأذهان!..... ١٧٨
فن البناء..!..... ١٨١
فنادق لإنعاش الريف..... ١٨٢
فى ذكرى ميلاد.. أعظم المفكرين العرب فى القرن العشرين..... ١٨٣
حياة كالموت.. يحياها اللاجئون الفلسطينيون..... ١٨٧
من خواطر الشباب..... ١٩٣
منية المرشد.. القرية.. التى لها تاريخ؟!..... ٢٠١
فلسطين والعم سام.. غير الأمين..؟!..... ٢٠٦
كلمات لها معنى.. ولها مغزى..... ٢٠٨
العقاد.. عبقرية علمية..... ٢١٣
إبراهيم باشا.. قائد ثورة ١٩١٩؟!..... ٢١٦
يوم أن مات سعد زغلول (٢/٢)..... ٢١٩
يوم أن تعانق الهلال مع الصليب..؟!..... ٢٢٢
يوم أن غرقت إيلات..... ٢٢٦
وداعًا.. فارس الكلمة الحرة..... ٢٢٨
وداعا المستشار محمد وجدى عبد الصمد..... ٢٣٠

obeikandl.com

وداعا.. شيخ الدعاة..؟!..... ٢٣٢
هكذا كانت مصر..... ٢٣٤
نقطة الماء.. تقدر بنقطة الدماء..؟!..... ٢٣٥
نقادة.. ذلك المجهول؟!..... ٢٣٦
من تعاليم قدماء المصريين..... ٢٣٩
من قاض مصرى إلى حاكم العراق..... ٢٤٢
ملحمة أكتوبر السادات.. وصائد الدبابات..... ٢٤٤
مصطفـى أمين.. فى ذكرى الأربعين..... ٢٤٧
مجلس الدولة.. حامى حمى الحريات فى مصر..... ٢٤٩
متحف محمد عبده..... ٢٥٣
مبدأ المساواة أمام القانون وأمام القضاء..... ٢٥٤
ما هو الكتاب؟!..... ٢٥٧
ما قل ودل..... ٢٥٨
لو.. عاد إدوارد لين إلى الإسكندرية..؟!..... ٢٥٩
لمن تُدق الأجراس؟!..... ٢٦٤
كفافيس عاشق الإسكندرية..؟!..... ٢٦٦
حدث.. ذات ليلة..؟!..... ٢٦٩
التاريخ يتكلم..... ٢٧٣
أيها الثلاثة الصغار..... ٢٧٤
الروك آند رول... صفعة لمبادئ الأخلاق..؟!..... ٢٧٥
ارحموا شعور الطلبة يا بنات الجامعات..... ٢٧٦
استغلال الطاقة الشمسية..... ٢٧٨
سائلوا القاضى.. واتقوا الله فى القضاء؟!..... ٢٧٩
المحامون الأدباء.. والقضاة النبغاء..... ٢٨١
خطاب إلى والدى..... ٢٨٣
القاضى المستشار محمد مرشدى بركات فى سطور..... ٢٨٦

رقم الإيداع	٢٠١٣ / ٤٢٥٣
الترقيم الدولى	ISBN 978-977-02-7756- 0

١ / ٢٠١٣ / ٢٩

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع)

Obeikandl.com